سيدة عشر محمد

عليها السلام

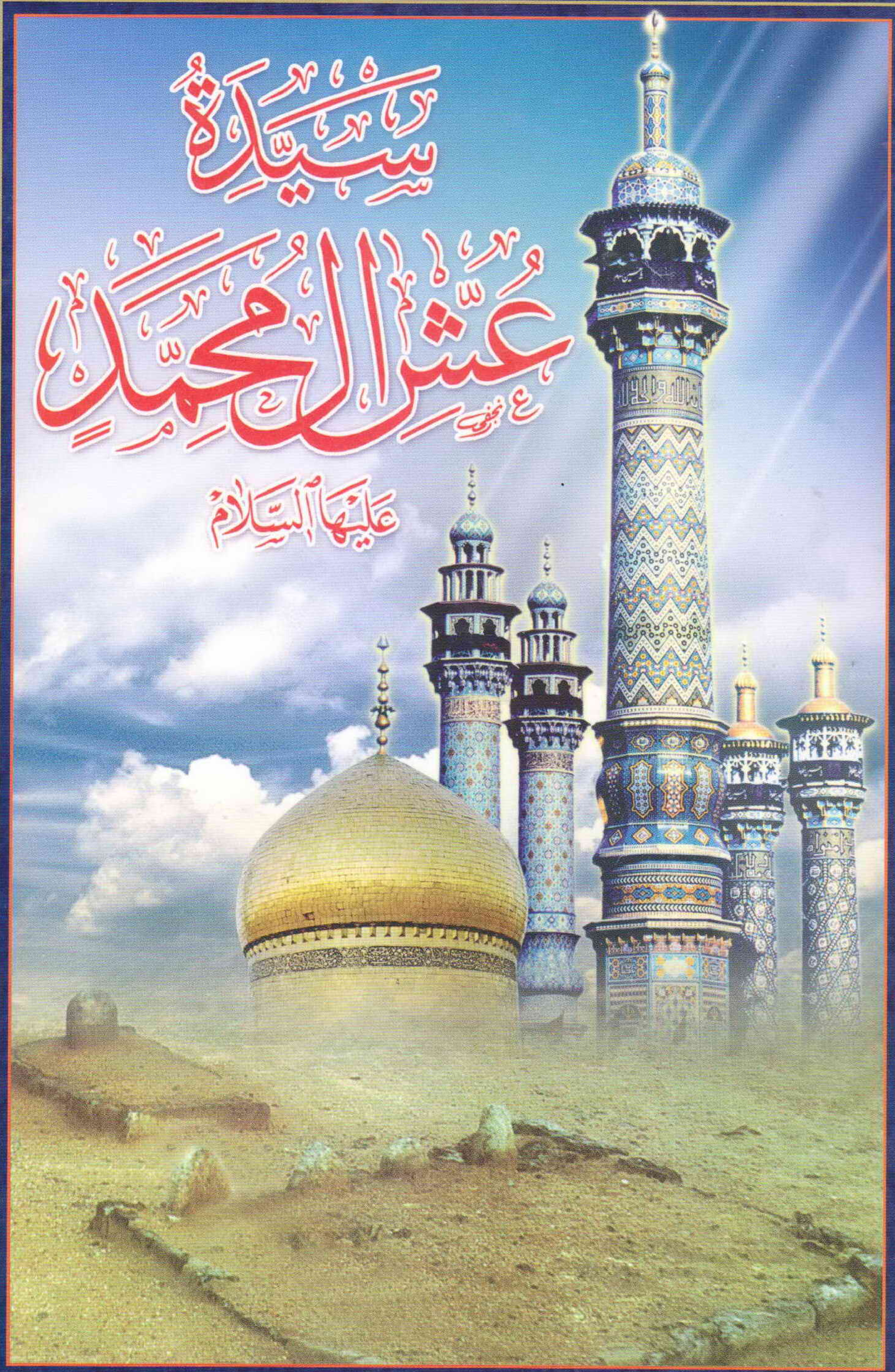

الطبعة الثانية – مزيدة ومنقحة

السيد علي فؤاد الدين الموسوي

(أبو الحسن هاشم)

سيدة عشر المحمد

عليها السلام

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

تأليف

السيد علي فؤاد الدين الموسوي

(أبو الحسن هاشم)

مكتبة فدك

سيّدة عُتُق آل محمّد

السيد علي نور الدين الموسوي

- الناشر: مدين
- الكمية: ٣٠٠٠نسخة
- المطبعة: سرور
- الطبعة: الأولى
- تاريخ الطبع: ٢٠٠٥م ـ ١٤٢٦هـ.ق
- القطع وعدد الصفحات: وزيري ـ ٢٨٠صفحة
- تصميم الغلاف: مؤسسة نور الكوثر

شابك: ٧ـ١٤ـ٨٩٠١ـ٩٦٤

عنوان الناشر: ايران ـ قم ـ شارع انقلاب ـ بناية ميلاد ـ رقم ٢٣٨ ـ تلفون: ٧٧٢٢٦٠١

مركز التوزيع: ايران - قم - مجمّع الإمام المهدي (عج) - الطابق الأرضي

رقم ١١٦،١١٧ - تلفون: ٧٨٣٣٦٢٤

مكتبة فدك

«قم عشّ آل محمّد ومأوى شيعتهم»

عن الإمام الكاظم عليه السّلام

تاريخ قم ـ/ المترجم ـ: ٩٨

عنه في بحار الأنوار: ج٥٧/٢١٤، ح٣١

ملاحظة:

ما يُنقَل عن كتاب بحار الأنوار فهو من طبعة بيروت، ولتحصيل الرواية من طبعة طهران يلزم إضافة العدد ٣ لاستخراج رقم المجلّد.

مثلاً: الحديث أعلاه: ج٥٧ - ٣ = ج ٦٠ من طبعة طهران.

الإهْداء

إلى سيّد شباب أهل الجنّة ...

إلى سيّد الشهداء وأبي الأحرار ..

إلى سيّدنا ومولانا أبي عبدالله الحسين عليه السّلام في ذكرى استشهاده .. أقدم هذه الصفحات عن حياة ابنة الرابع من وُلْدك: السيدة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السّلام.

سيّدي أبا عبدالله:

أطرق بابك بكلمات ذلك الأعرابي:

لم يخب الآنَ مَنْ رَجاكَ ومَنْ ... حَرَّكَ مِنْ دون بابك الحلقه
أنتَ جَوادٌ وأنت مُعْتَمِدٌ ... أبوكَ قد كان قاتل الفَسَقَه
لَوْلا الذي كان منْ أوائلكم ... كانتّ علينا الجحيمُ مُنْطَبقَه

وأما الحاجة التي مِنْ أجلها أطرق بابَكَ فهي:

أنْ نحيا حُسَيْنيين، وأنْ نموت حسينيين، وأَنْ نُحْشَرَ حسينيين، وأَنْ ندخل الجنّة حسينيين.

سيّدي:

طَرَقتُ بابك، وأرجو نَوالَك

في يوم عاشوراء محرم ١٤٢٦ هـ

ياوارِدَ هـــذا البلدِ الطَّيِّبِ قُمْ[١]

فيـه بوظائف العبـوديـــة قُمْ[٢]

قُمْ[٣] مِنْ أَدَبٍ بِحَضْرَةِ المعصـومـة

بالجَفْـــنِ[٤] ذلـــكَ المشهـدِ قُمْ[٥] [٦]

---

(١) أي مدينة قم.

(٢) أي إئتي.

(٣) أي قفْ.

(٤) الجَفْن: غطاء العيْن.

(٥) أي أُكْنُس.

(٦) نقلاً عن «تاريخ مذهبي قم»: ٢٨٢.

والبيتان للميرزا قوام الدين محمد بن محمد مهدي الحسيني القزويني،المتوفّى سنة ١١٥٠ هـ. عالمٌ فاضلٌ نادرٌ في فنون العربية وغيرها شاعرٌ مجيد، وفقيهٌ نبيه، له مهارة عظيمة في الشعر، فنظم اللمعة الدمشقية، والكافية، والشافية، والقانون، والزبدة وخلاصة الحساب ومختصر الحاجبي. وله القصائد والمقطّعات وأشعار كثيرة في المراثي وفي مدايح الأئمة عليهم السّلام، وفي البراءة من أعداء الدين، وغير ذلك.

وقد أجازهُ العلامة المجلسي ـ قدّس سره ـ بعد أن أخذ منه شطراً من العلوم الدينيّة والمعارف اليقينية في مجالس عديدة.

وأطراه السيد على خان، وأدخله في كتابه الموسوم بالسلافة بعد أن التقى به.

وكان بينه وبين السيد نعمة الله الجزائري من المصافاة والمخالطة مابين الخليطيْن المتصادقين، لايرى أحدهما في الدنيا فضلاً إلاّ للآخر. ومن شعره ماكتبه في السيد نعمةالله الجزائري في جواب كتابٍ له:

نورُ الهدايةِ قَدْ بَدَا مِنْ تُسْتَرا تَأْبى فضائلُ سَيِّدي أنْ تُسْتَرا

ـ راجع ترجمته في أعيان الشيعة: ج٨ / ٤٥٢، وج٩ / ٤١٢. والكنى والألقاب: ج٢ / ٥٦٧.

قَبْرٌ إذا حَلَّ الوفـودُ بِرَبْعِـهِ

رَحلوا وحطَّت عنهم الآثـــامُ

مَنْ زارَها في اللهِ عارِفَ حقِّها

فَالمَسُّ مِنْهُ على الجحيم حرامُ[1]

* * *

(١) أنوار المشعشعين: ج٢ / ٢٧٠.

وقد أُوْرِدَتْ نفس هذه الأبيات في السيد عبدالعظيم الحسني المدفون في الري، ولكن مع تذكير الضمائر في الشطر الأول من البيت الثاني، حسب ما أوردها في نفس المصدر السابق: ج٢ / ١٠٦.

في هذا الكتاب

إستئذانٌ واعْتذار ١٥
نورٌ مُمتدٌ بين مرقدها عليها السّلام وبين السماء ١٧
السيدة عليها السّلام تُعاقِب فاجرة ٢٠
الإمام الصادق عليه السّلام يبشّرُ بالسيدة قبل ولادتها ٢٢
الجنّةُ: لمن زارها عارفاً بحقها ٢٣
في عصمتها عليها السّلام ٢٥
مَنْ هو المعصوم؟ ٢٦
كيف يمتنع المعصوم باختياره ؟ ٢٧
ما الدليل على لزوم عصمة النبي والإمام ؟..... ٢٨
هل العصمة ممكنة في غير الأنبياء والائمة عليهم السّلام؟..... ٣١
كيف يمكن معرفة العصمة الصغرى في مَنْ حباهم الله بها؟ ٣٤
هل هناك دليل على عصمة السيدة المعصومة عليها السّلام؟ ٣٤
عظمتُها وعُلوُّ شأنها..... ٣٧
لماذا: قم عشّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ ٣٨
ولادتُها ونشأتها ٤٣
السيدة تُكْتَم ٤٤
أخلاق السيدة تُكْتَم ومزاياها ٤٦
أسماء أخرى للسيد تُكْتم ٤٨
ماهو وجه تسميتها بالسيدة تُكْتَم؟ ٥٢

قبر السيدة تُكتَم ٥٦
متى وُلدت السيدة المعصومة عليها السّلام؟..... ٥٧
من جنايات التأريخ والمؤرخين ٥٩
إخوتها ٦١
ألقابُها ٦٣
المعصومة ٦٣
كريمة أهل البيت ٦٣
أخت الرضا ٦٤
هل تزوّجت السيدة المعصومة عليها السّلام؟..... ٦٧
عبادتُها ٧٦
معاناتُها ٧٧
العصر العباسي عصر الظلم والظلمات ٧٧
محنةُ افتقاد أبيها ٨٣
اعتقال أبيها الإمام الكاظم عليه السّلام ٨٣
الإمام عليه السّلام رهين السجون ٨٧
السجن الأخير ٩٦
إبن السِّكيت وموقفه تجاه الإمام عليه السّلام ٩٦
جارية هارون الجميلة تنقلب إلى عابدة ١٠٠
مؤامرات الرشيد لقتل الإمام عليه السّلام ١٠٢
جنودٌ من رطب .. ولكن..... ١٠٣
وجاء موعد الكرامة: الشهادة ١٠٦
التجاوز على النَّعْش الشريف ١١١

فتنةُ الواقفية.. و ولادة المولود المبارك ١١٣
ولادة الإمام الميمون المبارك ١١٤
الإمام الجواد: أعظم مولودٍ بركةً على الشيعة ... كيف؟ ١١٧
المأمون يرعب ودائع آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم..... ١٢٤
الوداع الأخير ١٣٦
المهاجرة إلى ربّها ١٤٢
مصير إخوتها في شيراز ١٤٧
ركب السيدة يُحاصر في «ساوة» ١٥٠
لماذا سميت هذه البلدة بـ«قم»؟ ١٥٢
في فضل «قم» وأهلها ١٥٦
هل وردَ الإمام الرضا عليه السّلام على «قم»؟..... ١٥٩
قم تستقبل السيدة المعصومة عليها السّلام ١٦٢
جنودٌ من عَسَل ١٦٣
السيدة المعصومة في مثواها الأخير ١٦٤
تأريخ وفاتها ١٦٦
تنبيهٌ: في أنّ السيدة تُوفيت قبل أخيها الإمام ١٦٧
زيارتها ١٦٩
مَنْ جاورَ المعصومة عليها السّلام؟ ١٧٧
المعصومةُ تحدثنا ١٨٥
تحدثنا عن يوم الغدير ١٨٧
بشائر لشيعة علي عليه السّلام ١٨٨
الموت على حبّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ١٩٠

معجزاتها وكراماتها ١٩٣
ماهي المعجزة؟ ولماذا يُؤْتى بها؟..... ١٩٥
هل تفترق الكرامة عن المعجزة؟..... ٢٠٠
التفسير المادي للمعجزات..... ٢٠٤
إزاحة شبهة ٢١٢
الشفيعة ٢٢٣
مصيبة ومأساة ٢٢٥
لكي لاتُسْرق وتُدَمّر عقائدنا !! ٢٢٦
ما معنى التوسل؟ وما معنى الشفاعة؟ وما هو الفرق بينهما؟ ٢٢٨
أدلتنا على صحة الشفاعة ٢٣١
شبهات وردود: ٢٣٦
الشبهة الأولى: شبهة الشرك بالله تعالى ٢٣٦
الشبهة الثانية: هل الإستغاثة بالميت استغاثة بالمعدوم؟..... ٢٤٠
الشبهة الثالثة: هل الشفاعة وسيلة داعية للمعاصي والفساد؟ ٢٤٦
أفراد لاتنالهم الشفاعة إلاّ بعد أن تطهّرهم النار آلاف السنين ٢٥٠
أصناف لاتنالهم الشفاعة ٢٥١
أعمالٌ تحجب الشفاعة ٢٥٢
ففيمن تكون الشفاعة إذن؟..... ٢٥٥
كيف يستحق أهل الكبائر الشفاعة؟..... ٢٥٥
دفع توهّم: كيف يتغلّب أمرٌ مستحب على أمرٍ حرام؟ ٢٥٨
يا فاطمةُ اشفعي لي في الجنّة..... ٢٦٣
الفهارس العامّة ٢٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصَلِّ اللهم على خير خلقك أجمعين، محمدٍ سيّد المرسلين، وخاتم النبيّين، وعلى أهل بيته الأئمة الهادين، العلماءِ الصادقين، الأبرارِ المتّقين، دعائمِ دينك، وأركانِ توحيدك، وتراجمةِ وحيك، وحججك على خلقك، وخلفائك في أرضك، الذين اخترتهم لنفسك، واصطفيتهم وارتضيتهم لدينك، وخصَصْتهم بمعرفتك، وجلَّلْتهم بكرامتك، وغشّيتهم برحمتك، وربَّيْتهم بنعمتك، وغَذَّيتهم بحكمتك، وألبستهم نورَك، ورفعتهم في ملكوتك، وحَفَفْتهم بملائكتك، وشرَّفتهم بنبيّك صلواتك عليه وآله. والعَن اللّهم أعداءَهم أجمعين.

استئذان .. واعتذار

سيّدتي ومولاتي فاطمة المعصومة عليها السّلام:

أتأذنين لي أنْ أكتُبَ عنك هذه الصّفحات؟

وإنّي لأتجاوَزُ قَدْري إذا زَعَمْتُ أوْ تَوَهَّمْتُ أنّني قادرٌ على إيفاء حَقّك وحَقّ آبائك وأبْنائهم عليهم السّلام .

وأنْ أبْلغَ القَصْدَ كُلَّه ـ فأكْتُبُ عن بياض ذلك الطُّهْر بسواد هذه اليَد ـ مَطْمَحٌ أسْتَحي أنْ أزْعُمَهُ ..

ولكنْ إيماناً بقداسة الواجب، واعترافاً بالجميل، وتعبيراً عن الحُبِّ والوَلاء، أُقَدِّمُ هذه الصفحات، راجياً منكم الصَّفْحَ والقبول.

نور ممتد بين مرقدها عليها السّلام وبين السّماء

أصوات التكبير والتهليل تتعالى وترتفع من ساحة الحَرم الشريف للسيدة المعصومة عليها السّلام، ومن أسطح المنازل..

فما الذي حدث ياتُرى؟

جهانگير ميرزا قاجار[١] ـ رحمه الله تعالى ـ يحدثنا عن ذلك:

«مما ظهر من الإعجاز من المرقد المبارك للسيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام، أنّه في بعض أوقات الليل، كان يتصاعد نورٌ من المرقد الشريف إلى عنان السماء، وكان يمتدُّ طيلة يوم، بحيث إنّ جميع أهل البلد كانوا يشاهدونه، فتتعالى من ساحة الحَرَم الشريف، ومن أسطح المنازل، أصوات التكبير والتهليل عبر الأثير»[٢].

---

(١) وهو مترجم كتاب آثار البلاد وأخبار العباد (١٢٢٥ ـ ١٢٦٩ هـ ق)، والكتاب من تأليف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني الشافعي (٦٠٥ ـ ٦٨٣هـ. ق) وما تمَّ نقله فَهو من إضافات المترجِم للكتاب إلى اللغة الفارسية، فالأصل عربي.

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد ـ المترجَم ـ: ٥١٦.

ومؤلف الكتاب: زكريا القزويني الشافعي، ينتهي نسبه الى مالك بن أنس خادم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. وُلد في قزوين، ورحل الى دمشق، وتولّى قضاء

واسط والحلّة في زمان المعتصم؛ وسقطت بغداد وهو في ذلك المنصب. له مؤلفات، أعجبها: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، وآثار البلاد وأخبار العباد، جمع فيه ماعرف وسمع وشاهد من خصائص البلاد والعباد، ولكن فيه الغث والسمين كما يوجد في أمثاله، توفي سنة ٦٨٣ هـ. ق [راجع ترجمته في الكنى والألقاب: ج٢ / ٥٤١، وكشف الظنون: ج١ / ٩، ونفس كتاب آثار البلاد وأخبار العباد].

وأما المترجم: فهو جهانگير ميرزا، الإبن الثالث لعباس ميرزا نائب السلطنة في الدولة القاجارية. وُلد المترجم سنة ١٢٢٥ هـ. ق، وُليَّ على بلدتَيْ «خوي» و «سلماس» وقائداً للجيش على تلك الثغور المتاخمة للدولة العثمانية.

ولكن في عهد «محمد شاه» الذي خَلَفَ «فتح علي شاه»، حاك له الميرزا أبوالقاسم القائم مقام وجماعة الدسائسَ، فَحُبس في قلعةٍ في أردبيل مع ثلاثة من إخوته: خسرو ميرزا، وأحمد ميرزا، ومصطفى قلي ميرزا. وفي ليلة الخامس عشر من رجب سنة ١٢٥٠ هـ. ق، وبأمر من القائم مقام أُعميت عَيْني جهانگير وأحد إخوته. وبقيا في تلك القلعة مدة سنة وستة شهور. وبعد أن قُتل القائم مقام، أشفقَ عليهما «محمد شاه» وأخلى سبيلهما. وعندما وصل «ناصر الدين شاه» إلى سدّة الحكم بتدبير وكفاية «أمير كبير»، أعاد الأخير عمّه جهانگير ميرزا مرة أخرى والياً على مدينة «خوي» في عام ١٢٦٦ هـ. ق.

وقد صرف جهانگير ميرزا أكثر عمره في تحصيل علوم اللغة والأدب العربي.

وفي أوائل شهر رجب ١٢٦٩ هـ. ق. عزم على أداء فريضة الحج مع عدّة، ولكنه ابتُلي بمرض الرعاف بالقرب من مدينة «خوي»، ونزف أنفه دماً حتى غُشي عليه، فأدركته الوفاة في شهر رمضان ١٢٦٩ هـ. ق. عن عمر يناهز الأربعة والأربعين عاماً، وحُمل نعشه الى قم، ودُفن في قبرٍ كان قد أعدَّه لنفسه.

وكان هذا المشهد يتكرر بين فترةٍ وأخرى بحسب ما نَقَلَهُ جهانگير ميرزا ومشاهداته، ومشاهدة أهلِ ذلك الزمان.

وقد نَقَلَ لي بعض شيبة أهل قم مشاهدتهم لمثل هذا النور، ولكنه انقطع. فلماذا؟ وما هو هذا النور الذي كان يَعُمُّ بلدة قم وضواحيها؟

فهل انقطع هذا النور في زماننا؟ أم أنّ أعيننا فقدت قابليتها لرؤية هكذا نور فيلزم إصلاح أنفسنا؟

ترك جهانگير ميرزا أربعة كتب قيّمة: ١ـ تاريخ نو، أي التاريخ الجديد ٢ـ كتاب في علم العروض ٣ـ كتاب طرائف الظّرائف ٤ـ ترجمة كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، الذي ترجمه حال عماه وقبل وفاته بسنة، رحمه الله تعالى، فقد كان موالياً لأولياء الله ومعادياً لأعداء الله، وهو الأمر الذي دعانا لترجمته.

[تمت هذه الترجمة بالإستفادة من مقدمة محقق الكتاب: ١٤ ـ ١٨].

السيدة عليها السّلام تعاقِب فاجرة

النّاس يجتمعون عند ضريح السَّيدة المعصومة عليها السّلام، ويلْتفُّون حَوْلَ امرأة قد التَصقَتْ يداها بالضريح، ولاتستطيع فكاكهما.

الكُلُّ يَسْتطْلِعُ الخبر ليعرفَ حقيقة الأمر...

إنّها امرأةٌ فاجرة كانت تُمسكُ بأطراف الضريح وتُغَرِّرُ بشابة لتسوقَها إلى الحرام.

فهي تَهتكُ حرمة المكان الشريف، فكانَ أن عاقَبَتْها السَّيدة المعصومة عليها السّلام بإلصاق يديها بشبّاك الضريح.

ولحلِّ المشكلة لَجأوا الى أحد مراجع ذلك العصر[1].

فأمَرَهم بوضعِ شيءٍ من تربة الامام الحسين عليه السّلام في الماء، ثمَّ يُصَبُّ على يَدَيْ تلك المرأة.

فصنعوا ما أمَرَهم به. وما أنْ صَبُّوا ذلك الماء الممزوج بتربة سيِّد الشهداء على يدَيْها إلاّ وانفكَّتا عن الضريح.

ولكنّ هذه الفاجرة على أثر تلك الحادثة كانت قد فَقَدَتْ

---

(١) المرحوم آية الله السيد محمد الحجّة المتوفّى في عام ١٣٧٢ هـ ق.

عَقْلَها، ولهذا كانت تجوبُ الشّوارعَ والأسواقَ والأزقَّة هائمة على وجهها، فكانت بذلك عِبْرةً لمن يَعتَبِرْ.

إلى أنْ جاء يومٌ دَهَسَتْها فيه سيارة، فخُتمتْ حياتها السَّوداء بذلك[1].

وظهر تحت قبتها عليها السّلام ما يبهر العقول من المعاجز والكرامات، ومايعجز عنه الحصر، ويَكِلُّ عنه الكلام، من شفاء المرضى، وأداء دَيْن المديونين، وقضاء الحوائج، ورفع الشدائد، ودفع المصائب، ودوِّنت في ذلك كتب خاصة كثيرة ومُتعدِّدة، فمن أراد المزيد من هذه المعجزات فعليه الرجوع إليها.

---

(١) كريمة أهل البيت، المعجزة رقم (٧٠) ص٢٨٨، بتصرُّف في العبارة فقط.
ومن ذلك ما «رُوي أنّ امرأةً كانت تزني وتضع أولادها فتحرقهم بالنار، خوفاً من أهلها، ولم يعلَم به غير أمّها، فلما ماتت دُفنت، فانكشف التّراب عنها، ولم تقبلها الأرض، فنُقِلَت عن ذلك الموضع إلى غيره، فجرى لها ذلك، فجاء أهلها إلى الامام الصادق عليه السلام وحكوا له القصة، فقال لأمها: ما كانت تصنع هذه في حياتها من المعاصي؟ فأخبرته بباطن أمرها. فقال عليه السلام: إنّ الأرض لاتقْبل هذه، لأنها كانت تعذّب خلق الله بعذاب الله. اجعلوا في قبرها شيئاً من تربة الحسين عليه السلام.
ففُعِل ذلك، فسترها الله تعالى».
[مُنتهى المطلب: ج٧ / ٣٨٦، البحث الخامس: في الدفن، عنه بحار الأنوار: ج٧٩ / ٤٥ ح٣١].

الإمام الصادق عليه السّلام يبشر بالسيدة قبل ولادتها

فقد رُوي عنه عليه السّلام أنه قال:

«إنّ لله حرماً وهو مكّة، وإنّ للرسول [صلّى الله عليه وآله وسلّم] حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين عليه السّلام حرماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستُدفن فيها امرأة من أولادي تُسمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة»[1].

ويستفاد من الحديث الشريف أمور:

١ـ «قم» حرمٌ لأهل البيت عليهم السّلام.

٢ـ إخبار الإمام عليه السّلام عن ولادة السيدة، وأنها سَمِيَّةُ جدّتها سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السّلام.

٣ـ وأنّها تُدفن في مدينة «قم» على بعد آلاف الأميال من مدينة آبائها عليهم السّلام.

٤ـ وحَثَّ عليه السّلام على زيارتها، وأنّ من زارها وجبت له الجنّة.

وبالنتيجة: إمامٌ معصوم، يُخبر عن ولادة حفيدة له، ويبشّر بها قبل أن تولد بسنين. وهذا ليس مجردُ إخبار، بل هو إنباءٌ عن عظمة السيدة عليها السّلام، وكَشْفٌ عن أمرٍ غيبيٍ، تتكفَّل السُّنون بإظهار بعض خفاياه ومستوراته.

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ٢١٥، وعنه في بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٦ ح٤١. وهناك حديث ثانٍ شبيه لهذا مع إضافةٍ سيأتي في مبحث: الشفيعة إن شاء الله تعالى.

الجنة: لمن زارها عارفاً بحقها

ثلاثةٌ من المعصومين عليهم السّلام يبشّرون زوارَها بالجنّة:

١ـ ما مرَّ عليك مما رُوي عن الإمام الصادق عليه السّلام قبل ولادتها، وبشراهُ لزوارها بالجنة.

٢ـ «عن سعد بن سعد، قال: سألتُ أبا الحسن الرضا عليه السّلام عن زيارة فاطمة بنت موسى عليه السّلام.

فقال: مَنْ زارها فلهُ الجنّة»[١].

٣ـ «وعن الإمام الجواد عليه السّلام أنه قال:

من زار عمّتي بقم فله الجنّة»[٢].

والسؤال الآن: هل كلّ منْ زارَها تجب له الجنّة حتى لو كان فاسقاً فاجراً مخالفاً لهم؟

يجيب الإمام الرِّضا عليه السّلام على ذلك فيقول:

«ياسعد! عندكم لنا قبر؟[٣]

---

(١) كامل الزيارات: ٣٢٤ ح١، وثواب الأعمال: ٩٨، وعيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج٢ / ٢٦٧.

(٢) كامل الزيارات: ٣٢٤ ح٢.

(٣) أي: هل عندكم لنا قبرٌ في قم؟ وسؤاله عليه السّلام طلبٌ للتقرير والإخبار وليس استفهاماً حقيقيّاً.

قال سعد: جعلتُ فداك، قبر فاطمة بنت موسى عليهما السّلام.

قال: نعم، مَنْ زارَها عارفاً بحقّها فله الجنّة»[١].

فما هو هذا الحقّ الذي أوَجَبَ الجنّة؟

ويلزم إمكان معرفة هذا الحق وإلاّ كيف رُتّبَ عليه الجنة؟

وحقُّ كلِّ واحدٍ بحسبه، فحقّ الإمام عليه السّلام: معرفة إمامته وولايته والعمل بنهجه، والتبرّي من أعدائه.

وحقّها: معرفة أنّها على طريقتهم وإمامتهم، وأنّها ضَحَّت بنفسها في ذلك، وهاجرت وبذلت ما بذلت في سبيل إحقاق إمامة أخيها وآبائها الكرام عليهم السّلام.

فليس كلّ مَنْ زارها تَجِبُ له الجنّة، وأنّى يكون ذلك للمخالف لهم في العقيدة والعمل؟!

وقد قال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«... والّذي نفسي بيده لايَنْتفعُ عبدٌ بعمله إلاّ بمعرفةِ حقِّنا»[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٩ / ٢٦٥ ح٤، ومستدرك الوسائل: ج١٠ / ٣٦٨ ح٣.

(٢) المحاسن: ج١ / ١٣٥ ح١٦٩.

في عصمتها عليها السلام

ماهو معنى العصمة لغة واصطلاحاً؟

العصمة لغةً معناها: الحفظ والوقاية والصون والمنع والإباء.

وعَصَمَ اللهُ عبده: أي منعه مما يوبقه ويهلكه.

وقوله تعالى على لسان إبن نوح: <**سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء**>[١]، أي يمنعني من الماء.

وقال عزّوجلّ:<**لاعاصم اليومَ من أمرالله إلاّ مَنْ رَحِم**>[٢]، أي لا مانع من أمر الله ـ وهو الغرق في الماء ـ إلاّ مَنْ منعَهُ الله تعالى.

وقال الله عزّوجلّ حكايةً عن امرأة العزيز حين راوَدَت يوسف الصدّيق عليه السّلام عن نفسه: <**فاستعصم**>[٣]، أي امتنع وأبى عن إجابتها.

ومن شِعْر سيدنا أبي طالب عليه السّلام في مدح سيد وُلْد آدم محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم:

ثِمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

---

(١) سورة هود: الآية (٤٣).

(٢) الآية السابقة..

(٣) سورة يوسف: الآية (٣٢).

عصمةٌ للأرامل: أي يمنعهم من الضياع والحاجة[١].

هذا هو المعنى اللغوي لكلمة: العصمة.

وأمّا معناها بحسب الإصطلاح:

فهي قوَّة قدسيّة، وملكة ربانيّة، يهبها الله مَنْ يشاء من عباده، يحفظه بها من العيوب والذنوب، ومن الخطأ والزلل، ويقيه من السهو والنسيان، ومن العثرات والهفوات، على وجه لايسلب منه الإختيار الذي هو من لوازم التكليف سواءٌ أكان في الأحكام أم في الموضوعات، وكان على وجه التبليغ أم على غير وجه التبليغ.

فمن هو المعصوم؟

يجيبنا على ذلك إمامنا الصادق عليه السّلام، حينما سأله الراوي:

ما معنى قولكم: إنّ الإمام لايكون إلاّ معصوماً؟

فقال عليه السّلام: «المعصوم هو الممتنع بالله عن جميع محارم الله»[٢].

---

(١) راجع العين: ج١ / ٣١٣.

ولسان العرب: ج١٢ / ٤٠٣ ـ ٤٠٤.

والأبيات نُقلت في أصول الكافي: ج١/٤٤٨ ح٢٩.

(٢) معاني الأخبار: ١٣٢ / ح٢.

فبقوله عليه السّلام: «هو الممتنع» يثبت جانب الإختيار.

وبقولـه: «بالله» يثبت أنها بسبب الإفاضة من الله، لاحتيـاج كـل ممكنٍ الى الله تعالى.

كيف يمتنع المعصوم باختياره؟

فلنستمع إلى الجواب من خـلال حـوار عميـق ولطيـف جـرى بين إثنين من خواصّ أصحاب الأئمة عليهم السّلام:

يقولُ محمد بن أبي عمير: ما سمعتُ ولا استفدتُ مـن هـشام ابن الحكم في طول صُحْبتي له شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام.

فإنّي سألتُهُ يوماً عن الإمام: أهو معصوم؟

فقال: نعم.

فقلتُ: فما صفةُ العصمة فيه؟ وبأيّ شيءٍ تُعْرَف؟

فقال: إنّ جميع الذّنوب لها أربعة أوجه ولا خامس لها:

الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، فهذه منفيةٌ عنه.

١ـ [فـ]لايجوز أن يكون حريصاً على هـذه الـدنيا وهـي تحـت خاتمه، لأنّه خازن المسلمين، فعلى ماذا يحرص؟

٢ـ ولايجوز أن يكـون حـسوداً، لأنّ الإنـسان إنّمـا يحـسد مَـنْ فوقه، وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟

٣ـ ولا يجوز أنْ يغضب لشيءٍ من أمور الدنيا إلاّ أنْ يكون غضبه لله عزّوجلّ، فإنّ الله عَزَّوجل قد فَرَضَ عليه إقامة الحدود، وأنْ لاتأخذهُ في الله لومة لائم، ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله عزَّوجلّ.

٤ـ ولا يجوز له أنْ يتّبع الشهوات ويُؤْثِر الدنيا على الآخرة، لأنّ الله عزّوجلّ حَبَّبَ إليه الآخرة، كما حبَّبَ إلينا الدُّنيا، فهو ينظر إلى الآخرة كما ننظر إلى الدنيا. فهل رأيتَ أحداً تركَ وجهاً حسناً لوجه قبيح، وطعاماً طيِّباً لطعامٍ مُرّ، وثوباً لَيِّناً لثوب خشن، ونعمةً دائمةً باقيةً لدنيا زائلة فانية[1]؟؟!

والعصمة من الحقائق ذات الدرجات والمراتب، وأعلاها درجة، وأسماها مرتبة، ما خَصَّ الله تعالى به رسوله الكريم وأهل بيته الطيبين الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين.

ما الدليل على لزوم عصمة النبي والإمام؟

ذُكِرَت على ذلك عدّة أدلة عقلية ونقلية، منها:

١ـ أنّهم حفظة الشريعة، فلو لم يكونوا معصومين لم يُؤْمَنْ منهم الزيادة والنقصان، ولو عهد منهم سهوٌ ونسيان لارتفَعَ الوثوق

---

(١) معاني الأخبار: ١٣٣ / ح٣.

منهم، ولو عُهد منهم خطيئة لتنفَّرت العقول من متابعتهم، ويسقط مقامهم عند النّاس، ويتعَذَّر عليهم حينئذٍ الإرشاد والتوجيه والتبليغ، فيفشلون في أداء مهمتهم، فتبطل الغايةُ من إرسالهم وتنصيبهم.

وبعبارة أخرى:

إنه لو جاز عليهم فِعْلُ الخطيئة، فهنا صورتان وحالتان:

ا ـ فإمّا يجب على الآخرين الإنكار عليهم.

ب ـ وإما لايجب ذلك.

فإن وَجَبَ الإنكار عليهم سقَطَ مقامهم من القلوب فلايُتَّبَعون، فيُنْتَقَض الغرض من إرسالهم وتنصيبهم.

وإن لم يجب على الآخرين الإنكار عليهم، سَقَطَ وجوب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، وهو باطلٌ.

فيلزم أن يكونوا معصومين.

٢ـ حديث الثقلين، المتواتر، والحجة في سنده عند الفريقين، فقد رَوَوْهُ مع اختلافٍ يسير لايضرّ بالمعنى والمضمون، وهو قوله صلّى اللّه عليه وآله وسلّم:

«إني تاركٌ فيكم الثقلَيْن: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يَرِدا

عَلَيَّ الحوض»[١].

«ولو لم يكن دليلٌ على عصمة الأئمة عليهم السّلام غير هذا الحديث لكفى به شاهداً ودليلاً.

وذلك لأن الكتاب العظيم الذي <**لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**>[٢] لايجوز عليه الغش والكذب والإضلال والخيانة في هدي البشر وإرشادهم إلى الحق، وإنَّ أهل البيت بحكم هذا الحديث عدْلُ القرآن وقرينه والعلماء به، فلو جازت عليهم هاتيك الرَّذائل من الغش والإضلال والكذب وأضرابها، لاختلفوا مع الكتاب وخالفوه ففارقوه، وهذا لايكون منهم أبداً لأنّهم الملازمون للكتاب حتى قيام الساعة، كما ينبئك عنه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، فما داموا والكتاب معاً سُلَّم الرشد ومنار الهدى، كانوا بريئين عن مثل الإضلال والإغواء والكذب عمداً وسهواً، كما كان قرينهم الكتاب، وإذا كان ذلك غير جائزٍ عليهم، كانوا معصومين

---

(١) راجع مصادر الحديث في كتب الفريقين، مثل صحيح مسلم الذي ذكَر أربع روايات لهذا الحديث الشريف في صحيحه في باب فضائل علي بن أبي طالب، كتاب فضائل الصحابة.

(٢) سورة فصّلت: الآية ٤٢.

لامحالة شأن الكتاب الكريم»[١].

وهذا أحد وجوه الإستدلال بهذا الحديث الشريف، ففيه عدة وجوه من الاستدلال، ونكتفي بما ذُكر من الوجه.

وهذه العصمة عصمة لازمة وواجبة في نبيِّنا وأئمّتنا صلوات الله عليهم أجمعين، وقد تبيَّن لكم سبب لزومها فيهم، ووجوبها ولزومها كلزوم العدل على الله تعالى، وهي فيهم ضرورة من ضروريات الدين أو المذهب.

هل العصمة ممكنة في غير الأنبياء والأئمة عليهم السلام؟

العصمة في غير الأنبياء والائمة عليهم السّلام ممكنةٌ، كإمكانها فيهم، لعدم استلزام وجودها في غيرهم أي استحالة عقلية ذاتية أو عرضيّة.

ولعلّه قد يُستدلّ على إمكانها في غيرهم، برواية صحيحة السند رواها الشيخ الصدوق في علل الشرائع، عن عبدالله بن سنان، قال:

«سألتُ أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السّلام فقلتُ:

---

(١) الثقلان: ٨٠ ـ ٨١.

الملائكة أفضل أم بنو آدم؟

فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام:

إنَّ الله عَزَّوجلّ ركَّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركَّب في البهائم شهوةً بلا عقل، وركَّب في بني آدم كليهما. فمن غَلَبَ عقلُهُ شهوتَه، فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غَلَبَت شهوتُهُ عَقلَه، فهو شرٌّ من البهائم»[1].

ووجه الإستدلال بالرواية الشريفة:

أنّ عنوان «بني آدم» بعمومه يشمل جميع البشر.

وأن الإنسان ـ بحسب الرواية ـ يمكن أنْ يكون أفضل من الملائكة، فكيف يكون الإنسان أفضل من الملائكة المعصومين بقولٍ مطلق ومن جميع الجهات، ولايصل إلى مرحلة العصمة التي هي إحدى خصائص الملائكة؟

ولكنّ هذا الإستدلال مناقَشٌ فيه:

فيمكن أن يكون الإنسان عادلاً ـ في أيّ مرتبة من مراتب العدالة ـ ولايصدر منه ذنبٌ، فيكون وهو على هذه الحالة من العدالة أفضل من الملائكة، وليس بالضرورة أن يكون معصوماً

---

(١) علل الشرائع: ج١ / ٣٩ باب ٦ ح١. وسند الحديث الشريف كالتالي: علي بن الحسين بن بابويه، عن سعد بن عبدالله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عبدالله بن سنان قال:...

لينال هذه الأفضلية.

والعقل لايمنع من حصول تلك العصمة ـ في الجملة ـ لكثير من عباد الله الكاملين وأوليائه المخلصين، ولكن ذلك يحتاج الى الدليل والبرهان في مقام الإثبات، كالدليل القائم على عصمة سلمان المحمدي ـ مثلاً ـ.

فتكون العصمة على قسمَيْن:

الأول: العصمة الكبرى، وهي العصمة الواجبة، كالموجودة في أنبياء أولي العزم والمعصومين الأربعة عشر عليهم السّلام.

الثاني: العصمة الصغرى، وهي غير واجبة، ويمكن وجودها في مَنْ له القابلية من عموم البشر.

وأهل هذه العصمة محتاجون الى من يسلك بهم السبل الواضحة ويميِّز لهم موارد الطاعة عن مساقط العصيان، أي هم بحاجة الى أصحاب العصمة الكبرى، والتي عُبِّر عنها بالعصمة الإستكفائيّة لعدم حاجتهم إلى غيرهم، لما أفاضَ الله عليهم من العلم والبصيرة.

يبقى أن نعرف فرق العصمة الصغرى عن العدالة:

فالعدالة قد تنفك عن صاحبها، ولكن العصمة فوق العدالة، إذ العصمة لاتنفك عن صاحبها، لأنّه منزّهٌ عنه الخطأ والخطيئة، وإلاّ لم يكن معصوماً.

والعادل قد يخطأ لشبهة أو خيال، ولاتنتفي عنه العدالة، لأنه معذور، وقد تنتفي عنه العدالة بأرتكاب معصية، ثم تعود إليه.

ولكنّ المعصوم لايشتبه، ولاتداخله الأوهام والتخيّلات، ولايقترف أيّ ذنْب.

فالحدّ الفاصل هو أنّ العدالة تمنع من إتيان المحرمات والفواحش عمداً، وإن أمكن صدورها سهواً أو نسياناً أو غفلة أو خطأً، ولكن المعصوم يمتنع عن إتيانها مطلقاً حتى سهواً ونسياناً وغفلةً وخطأً.

كيف يمكن معرفة العصمة الصغرى في مَن حباهم الله بها؟

ويمكن معرفة هذه القوّة القدسيّة في غير واجبي العصمة عن طريق شهادة أصحاب العصمة الكبرى في حقهم، ولاطريقَ آخر غير ذلك، أي عن طريق أحاديثهم عليهم السّلام في حقّ غيرهم.

هل هناك دليل على عصمة السيدة المعصومة؟

لانستدل على عصمتها عليها السّلام بمنطوق الحديث: «مَنْ زار المعصومة كمن زارني»، فمضافاً الى عدم وجود سند للحديث وإرساله، وانفراد كتاب ناسخ التواريخ بنقله، فمضافاً الى ذلك فإنّ هذا المروي يدل على المعنى اللغوي المنبيء عن عفّة السيدة،

ونقله الى المعنى الإصطلاحي يحتاج الى دليل.

ولانستدل على عصمتها عليها السّلام بحديث: «مَنْ زارها وجبت له الجنّة»، لعدم الملازمة بين العصمة وإيجاب الجنّة.

ولعلّه يمكن الإستدلال على عصمتها بالرواية الصحيحة السند المروية عن الإمام الرضا عليه السّلام على أنّ «مَنْ زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة»[١]. فأيّ حقٍّ لها سوى الحقّ الذي هو لآبائها وهو حق الطاعة المطلقة علينا بالنسبة إليهم، ولاتكون طاعةٌ مطلقة إلاّ لمن كان معصوماً. ونسبة هذا الحقّ ـ الذي هو للإمام ـ نسبتُهُ إليها يدل على عصمتها عليها السّلام، والله العالم.

وقد وَرَدَ مثل هذا النّص في حقّ الإمام المعصوم عليه السّلام، فعن الإمام الجواد عليه السّلام: «ضمنتُ لمن زار [قبر] أبي [الرضا] عليه السّلام بطوس عارفاً بحقّه، الجنّة على الله تعالى»[٢].

ولعلّه يمكن أن يُقال: إنّه لاملازمةَ بين معرفة حقّها وبين العصمة، فحقٌّ كلِّ ذي حقٍّ يكون بحسبه، فحقٌّ للأبوين على أولادهما، وحقٌّ للأولاد على الوالدين، وحقٌّ للزوجة على الزوج، وحقٌّ للزوج على الزوجة، وحقٌّ للإمام المعصوم على البشر، فهذه حقوقٌ مختلفة، وهكذا الحقّ المضاف الى السيدة المعصومة عليها

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٩ / ٢٦٥ ح٤، وج٤٨ / ٣١٦.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ / ٢٥٦ باب ٦٦ ح٧.

السّلام حقٌّ مختصٌّ بها، إلاّ إذا أمكن القول بأن حقَّها نُزِّلَ منزلة الحقّ الذي هو للإمام عليه السّلام، أو أنّ الأثر الذي هو مرتّبٌ على حقّ الإمام المعصوم، مرتَّبٌ على الحقّ الذي هو للسيدة المعصومة عليها السّلام.

وهذا أقصى ما تيسَّر لنا في هذا الموضوع.

عظمتها وعلو شأنها

كان ما مضى بعضاً مما وصل إلينا في حقّ السيدة المعصومة على لسان المعصومين عليهم السّلام، وكيف أنّها كانت محوراً لأحاديثهم.

ومَرَّ عليكم بعضٌ من معجزاتها وكراماتها الباهرة، وسيأتي بعضٌ آخر..

وكل ذلك يكشف ـ بالكشف الإنّي ـ عن عظمتها وجلالة قدرها.

فما هو سرُّ هذه العظمة وجلالة القدر؟

لكي نعرف حقيقة الأمر، لابدّ أن نرجع الى الوراء، ولنبدأ رحلتنا مع السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام ـ سيّدة عش آل محمّد ـ منذ ولادتها، مروراً ببعض أحوالها ومعاناتها، وخَتْماً بمصيبة ارتحالها عليها السّلام.

ولكن يلزم أنْ نعرف أوّلاً:

لماذا: قم عش آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟

كلمة «عُشّ» وكلمة «وَكْر» لهما معنىً واحد، فقولهم: وَكْر الطائر أي عُشُّه ومأواه.

وهاتان الكلمتان وَرَدَتا في كلمات العرب كثيراً، وفي الروايات كذلك.

وهما من المعاني ذات الإضافة، فتحتاج إلى متعلَّق، فيكون حُسْن المعنى وقُبْحُهُ بحسب حُسْن وقُبْح المضاف إليه والمتعلَّق.

فعلى نحو المثال:

قد وَرَدَ في الحديث الشريف: «الغناء عشّ النّفاق»[١].

ومن خطبة السيدة زينب عليها السّلام في مجلس يزيد، أنها قالت:

«فتلك قلوبٌ قاسية، ونفوسٌ طاغية، وأجسامٌ محشوَّة بسخط الله ولعنة الرسول، قد عشّش فيها الشيطان...»[٢].

وقولهم: وَكْرُ الجاسوسيّة.

---

(١) الكافي: ج٦ / ٤٣١.

(٢) الإحتجاج: ج٢ / ١٢٨.

هذا من حيث الإضافة إلى المعاني السيئة.

ومن حيث الإضافة إلى المعاني الحسنة:

ما وَرَدَ في الحديث الشريف: «إن الله جعل قَلْبَ وليّه وَكْراً لإرادته»[١].

أي مركزاً ومحلاً لإرادته.

ومنها ما نَقَلَه الأصمعي[٢]، فقال:

كنتُ بالبادية وإذا أنا بشابٍّ منعزلٍ عنهم، في أخمارٍ رثَّةٍ، وعليه سيماء الهيبة.

فقلتُ [له]: لو شكوتَ إلى هؤلاء حالَك لأصلحوا بعض شأنك.

فأنشأ يقول:

لباسي للدنيا التَّجلُّد والصبر ولبسي للأخرى البشاشةُ والبُشْر

[إلى آخر الأبيات...]

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٦ / ٢٥٦ ح ٣١.

(٢) الأصمعي: أبو سعيد عبدالملك بن قُرَيْب بن عبدالملك بن علي بن أصمع من مشاهير لغوي العرب وكان ناصبياً. ولمّا مات الأصمعي، خرج يمشي خلف جنازته صديقٌ شيعي له وهو يقول:

لَعَنَ اللهُ أعْظُماً حملوها لديارِ البلى على خَشَباتِ

أعْظُماً تكرهُ النبي وأهلَ البيتِ والطيّبين والطّيباتِ

راجع ترجمته في تنقيح المقال، وسفينة البحار: ج٥ / ١٧٨.

[قال الأصمعي]: فتعرّفتُهُ فإذا هو علي بن الحسين عليهما السّلام.

فقلتُ: أبى أن يكون هذا الفرخ إلاّ من ذلك العُشّ[١].

أي من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ومنها مارُوي عن الإمام الكاظم عليه السّلام أنه قال:

«قم عشُّ آل محمّد، ومأوى شيعتهم»[٢].

فعظمة هذا العشّ مكتسبة من عظمة المضاف إليه، أي «آل محمّد» صلّى الله عليه وآله وسلّم، وعظمتُهم عظمةٌ لاتصل إليها أي عظمة، ولايُطاولها أي عظيم.

فما هو الوجه في تسمية «قم» بـ «عُشِّ آل محمّد»؟

الجواب: لعلّ الوجه في ذلك، هو أنّ العُشّ هو المكان الذي تصنعه الطيور، فتضع فيه بيضها ليفقس عن أفراخ صغار، تظلُّ ترعاهم، وتزقّهم الطعامَ حتى يكبروا، وعندها تستطيع الأفراخ الطيران والتحليق في الجوّ.

كذلك «قم» بالنسبة إلى «آل محمّد» فهي المكان الذي كان ولايزال يحتضن شيعة أهل البيت، ويزقّهم العلم الصحيح، فيتربّون فيها على تعاليم أهل البيت عليهم السّلام، ويترعرعون عليها، حتى

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٦ / ٩٧ ـ ٩٨ عن مناقب ابن شهرآشوب.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٤ ح٣١.

يتخرّجوا من هذه المدرسة المقدّسة. عندها ينتشرون في أنحاء الأرض وأرجائها، فيبثّون ما تعلموه من علوم آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وينشرونها.

ولذلك تخرَّجَ من مدينة «قم» الكثير الكثير من العلماء والمحدّثين ونحوهم. وكان القميّون يطردون مَنْ يعتمد على المرسَل وغير المسنَد من الأحاديث، وليس هذا من جهة الطعن في وثاقة الراوي، وإنما من جهة التحفّظ على كنوز آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم من الأحاديث والروايات.

وكان كل مُضْطَهَدٍ من ذريّة آل الرسول، وكل مظلومٍ من شيعة أهل البيت، يلجأ إلى «قم».

وهذا ماورد في الحديث الشريف:

«إذا أصابتكم بليّةٌ وعناء فعليكم بـ «قم»، فإنّها مأوى الفاطميين، ومستراح المؤمنين»[1].

فكانت «قم» ـ حقيقةً ـ عشّاً ومأوى لهذه البذور الطيّبة، وكانت قلوب أهل الطاعة والإخلاص نُزَّع إلى هذا العشّ، وكانت شواردُ الدين، تؤوب إليه، مثل الطيور إلى أوكارها، فهي العش والمعقل الذي يُؤْوى إليه، والعَلَم الذي يُهتدى به.

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ٩٨، عنه في بحار الأنوار ج٥٧ / ٢١٤ ح٣٢.

فلعلّ هذا، هو وجهٌ من وجوه تسميتها بـ «عشّ آل محمّد».

وكانت السيدة الطاهرة فاطمة المعصومة عليها السّلام سيدةَ هذا العش، وراعيتَهُ، والقائمة عليه، والمأوى والملاذ فيه، ولذلك كان عنوان هذا الكتاب الذي بين أيديكم:

«سيّدةُ عشِّ آل محمّد»

فَلْنَشْرع في هذه الرحلة الممتعة والمحزِنة والقصيرة..

فهي ممتعةٌ لأنها عن حياة إحدى بنات الوحي والإمامة..

وهي حزينةٌ لأنها مملوءةٌ بالمآسي والأحزان والمعاناة..

وهي قصيرةٌ لأن التاريخ بَخِلَ علينا فظلمها، فلم يذكر عنها إلاّ النَّزْر اليسير، كما هو دَيْدَنُهُ مع بقية أهل ذلك البيْت الطاهر.

ولادتها ونشأتها

لاشكّ أنّه بعد أنْ سَمعَ أهل العلم والفكر وبقية شيعة أهل البيت عليهم السّلام، التباشير بولادة السيدة فاطمة المعصومة على لسان جدّها الإمام الصادق عليه السّلام قبل ولادتها[١]، كانوا يعدُّون الأيام والشهور، وينتظرون بفارغٍ من الصبر هذه الولادة الميمونة لهذه السيدة العظيمة.

لاريبَ أنّ أشدّ من كان ينتظر ولادتها هو أبوها الإمام موسى الكاظم عليه السّلام، لعلمه بما سيكون لابنته من إنجازات وآثار، ومستقبلٍ مشرقٍ وضّاء.

وهكذا كان كل أفراد بيت الإمامة ينتظرون ذلك، وعلى رأسهم الإمام الرضا عليه السّلام، حيث كانت السيدة فاطمة المعصومة أختاً له من أمّه، فأمّهما واحدة[٢]، وبقية الأخوة والأخوات من أمهات شتى.

فمن كانت أمُّهما؟ وكيف اختارها الإمام الكاظم عليه السّلام

---

(١) قد مرّ عليكم في ذلك الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السّلام.

(٢) دلائل الإمامة: ٣٠٩.

لتكون أمّاً لخير أهل الأرض بعده وهو الإمام الرضا عليه السّلام وأمّاً لسيدةٍ هي من خيار سيّدات أهل البيت عليهم السّلام؟

هذا ما سنقرأه في الحديث التالي:

السيدة تكتم:

رُوي أنّ الإمام الكاظم عليه السّلام قال لهشام بن أحمد[١]: هل عَلمْتَ أحداً من أهل المغرب قَدِم؟

قال: لا.

فقال عليه السّلام: بلى قد قَدِم رجلٌ أحمر[٢]، فانطلق بنا.

قال هشام: فركب وركبنا معه حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجلٌ من أهل المغرب معه ر قيق[٣].

---

(١) هشام بن أحمد أو أحمر كما في الكافي الذي نقل نفس الحديث في: ج١ / ٤٨٦ ح١.

(٢) رجلٌ أحمر: أي أبيض، لأن العرب لاتقول رجلٌ أبيض، إنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب، كقول سيدنا أبي طالب عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم:

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه.....

وعلى كل حال يطلق لفظ الأحمر على غير العرب من الموالي والأعاجم.

راجع لسان العرب: ج٤ / ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٣) أي عبيد أو جواري أو كليهما.

فقال عليه السّلام: أعرض علينا[١].

فعرض علينا تسع جوارٍ، كل ذلك وأبو الحسن يقول له: لاحاجة لي فيها.

ثم قال له: أعرض علينا.

قال: ما عندي شيء.

فقال عليه السّلام: بَلى أعرض علينا.

قال: لا والله! ما عندي إلاّ جارية مريضة.

فقال له: ما عليكَ أنْ تعرضها؟

فأبى عليه صاحب الرقيق، ثم انصرف عليه السّلام.

قال هشام: ثم إنه عليه السّلام أرسلني من الغد إليه..

وقال لي: قُلْ له كم غايتك فيها؟ فإذا قال: كذا وكذا، فَقُلْ: قد أخذتها. فأتيتُهُ...

قلتُ: كم غايتُكَ فيها؟

فقال: ما أريد أنْ أُنْقِصَها من كذا[٢].

فقلت: قد أخذتها.

فقال: هي لك، ولكن مَنْ الرجل الذي كان معك بالأمس؟

فقلت: رجلٌ مِن بني هاشم.

---

(١) أي أعرض ما عندك من الرقيق.

(٢) أي لا أريد أنْ تَنقُص قيمة الجارية عن مبلغ كذا.

فقال: من أيّ بني هاشم؟

فقلت: من نقبائهم[١]

فقال: أريدُ أكثر.

فقلت: ما عندي أكثر من هذا.

فقال: أُخبركَ عن هذه الوصيفة؟[٢] إنّي اشتريتها من أقصى بلاد المغرب، فلَقيتني امرأة من أهل الكتاب..

فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟

فقلت: اشتريتها لنفسي.

فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه الوصيفة عند مثلك!! إنّ هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فلاتلْبث عندهُ إلاّ قليلاً حتى تَلدَ منه غلاماً يَدينُ له شرقُ الأرض وغربها.

قال هشام: فأتيت الإمام عليه السّلام بالجارية[٣].

أخلاق السيدة تكتم ومزاياها:

وكانت لهذه الجارية عدة أسماء منها: نجمة وتُكْتَم[١].

---

(١) فأطمَعَهُ ذلك في مزيدٍ من المال.

(٢) أي: هل أُخبركَ عن هذه الوصيفة؟ أو: أريد أن أُخبركَ عن هذه الوصيفة. والوصيفة هنا أي الجارية.

(٣) اصول الكافي: ج١ / ٤٨٦ ح١، وعيون أخبار الرضا: ج١ / ١٧.

وقد كانت بِكْراً حينَ شرائها[٢].

والظاهر أنّ الإمام عليه السّلام اشتراها ـ ابتداءً ـ لأمّه حميدة المصفّاة.

وكانت من أفضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة حتى أنّها ما جَلَسَتْ بين يديها إجلالاً لها[٣].

ثم إنّ السيدة حميدة ذَكَرتْ أنّها رأتْ في المنام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لها: يا حميدة! هبي نجمة لابنك موسى، فإنّه سيولَد له منها خير أهل الأرض[٤].

فقالت لابنها موسى عليه السّلام: يابني! إنّ تُكْتَم جاريةٌ ما رأيتُ جاريةً قط أفضل منها... وقد وهبتها لك[٥].

وكان الإمام عليه السّلام ـ لمّا أتى بها ـ قد جمعَ أصحابه وأخبرهم بأنّه ما اشتراها إلاّ بأمرٍ من الله ووحيه..

قال عليه السّلام: بَيْنا أنا نائم، إذْ أتاني جدّي رسول الله وأبي

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٦، ١٧.

(٢) المصدر السابق: ج١ / ١٧.

(٣) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٤.

(٤) المصدر السابق: ١٧.

(٥) المصدر السابق: ١٤.

عليهما السّلام ومعهما شِقَّةُ حريرٍ[١]، فنَشَراها فإذا قميصٌ وفيه صورة هذه الجارية.

فقالا: ياموسى! لَيَكونَنَّ لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك. ثم أمراني أنْ أُسمِّه عليّاً.

وقالا لي: إنّ الله تعالى يُظهرُ به العدل والرأفة، طوبى لمن صَدَّقه، وويْلٌ لمَنْ عاداهُ وجَحَدَهُ[٢].

ولمّا ولَدتْ الإمام الرضا عليه السّلام قالت: أعينوني بمُرضِعة!!

فقيل لها: أنَقَصَ الدَّرُّ؟[٣]

قالت: ما أكذِب. ما نَقَصَ الدَّر، ولكنْ عَلَيَّ وِرْدٌ مِن صلاتي وتسبيحي[٤].

وهذا مما يدل على حرصها على عبادتها ووِرْدِها وانقطاعها إلى الله تعالى.

أسماء أخرى للسيدة تكتم:

قد ذُكرت لوالدة السيدة المعصومة عليها السّلام ـ السيدة

---

(١) أي قطعةُ حريرٍ.

(٢) إثبات الوصيّة: ١٧٠.

(٣) أي: هل نَقَصَ لَبَن الرِّضاع؟

(٤) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٥.

تُكْتَم ـ أسماء أخرى، منها: نجمة، أروى، سُمان، سكن أو سُكنى..[١]

وتُكْتم هو ما استقرَّ عليها اسمها حين ملكها الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام[٢].

فلمّا وَلَدتْ له الإمام الرضا عليه السّلام سمَّاها الطاهرة[٣].

وكانتْ تُكنَّى: أمّ البنين[٤].

وبعض هذه التسميات جاءت عبر الروايات الشريفة التالية:

١ـ نجمة:

فقد رُوي عن أبي بصير، قالَ: لمّا حضر أبا جعفر ـ محمد بن علي الباقر عليهما السّلام ـ الوفاةُ، دعا بابنه الصادق عليه السّلام لِيعهَدَ إليه عَهْداً ... ثم دعا بجابر بن عبدالله الأَنصاري.

فقال: ياجابر! حدِّثنا بما عايَنْتَ من الصحيفة؟

فقال له جابر: نعم يا أبا جعفر. دخلتُ على مولاتي فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لأُهنِّيها بولادة الحسين عليه

---

(١) المصدر السابق: ١٦، ١٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٥، ١٧.

(٤) أصول الكافي: ج١ / ٤٨٦، وعيون أخبار الرضا: ج١ / ١٦.

السّلام، فإذا بيدها صحيفة بيضاء من دُرّة.

فقلتُ: يا سيدة النسوان! ما هذه الصَّحيفة التي أراها معكِ؟

قالت: فيها أسماء الأئمة من وُلْدي.

قلتُ لها: ناوليني لأنظر فيها!

قالت: يا جابر! لولا النَّهي لكنتُ أفعلْ، ولكنَّه قد نُهيَ أنْ يَمَسَّها إلاّ نبي أو وصي نبي أو أهل بيت نبي، ولكنّه مأذونٌ لكَ أنْ تنظر إلى باطنها من ظاهرها.

قال جابر: فقرأتُ، فإذا فيها:

أبو القاسم محمد بن عبدالله المصطفى، أُمُّهُ : آمنة.

أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى، أُمُّهُ: فاطمة بنت أسد ابن هاشم بن عبد مناف.

أبو محمد الحسن بن علي البَرّ.

أبو عبدالله الحسين بن علي، أُمُّهُما: فاطمة بنت محمد.

أبو محمد علي بن الحسين (العَدْل، أُمُّهُ: شهربانو بنت يزدجرد.

أبو جعفر محمد بن علي الباقر، أُمُّهُ: أم عبدالله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب.

أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق، وأُمُّهُ: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

أبو إبراهيم موسى بن جعفر، أمُّهُ جارية إسمها: حميدة المصفَّاة.

أبو الحسن علي بن موسى الرضا، أمُّهُ جارية إسمها: نجمة...»[١] الحديث.

فالسيّدة نجمة، نجمةٌ تألَّقت في سماء بيت الإمامة حيث إنها وَلَدَت الإمام الرضا عليه السّلام.

٢ـ طاهرة:

لمَّا اشتَرتْ أمُّ الإمام موسى بن جعفر عليهما السّلام هذه الجارية ـ نجمة ـ، ذَكَرتْ حميدة أنها رأت في المنام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لها: يا حميدة! هَبي نجمة لابنك موسى، فإنه سَيُولد له منها خير أهل الأرض... فلمّا ولدت له الرضا عليه السّلام سَمّاها الطاهرة[٢].

ومن قَبْلها كانت سيدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السّلام تُسمى بالطاهرة، كما وأنَّ أمّها خديجة عليها السّلام كانت أيضاً تُدْعى بالطاهرة.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ / ٤٠، وإكمال الدين: ج١ / ٣٠٥.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٦.

٣ـ تُكْتَم:

وتُكْتَم آخر أسمائها، وعليه استقرّ اسمها حين مَلَكَها أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام[١].

قالَ الصولي: والدليل على أنّ اسمها تُكْتم قول الشاعر يمدح الرضا عليه السّلام:

ألا إنّ خيرَ الناسِ نَفْساً وَوَلَداً ... وَرَهْطاً وأجداداً (عليٌّ) المعظَّمُ

أَتَتْنا به للعِلْم والحِلْم ثامناً ... إماماً يُؤدِّي حجةَ اللهِ تُكْتَم[٢]

ما هو وجه تسميتها بـ (تكتم)؟

لابأس بصَرْفِ عنان الكلام للبحث في معنى كلمة (تُكْتَم)، ووجْه تسمية السيدة بهذا الإسم الجميل:

(تُكْتَم) من أسماء نساء العرب، قد جاءت في الأشعار كثيراً، منها في قولهم:

طافَ الخيالان فهاجا سَقَمَا ... خيالُ تُكْنى وخيالُ تُكْتما[٣]

وفي القاموس المحيط: «تُكْتَم: ـ على ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُه[٤] ـ

---

(١) المصدر السابق: ج١ / ١٤، ١٧.

(٢) (تُكْتَم): فاعلُ (أَتَتْنا)، والمعنى: أَتَتْنا تُكْتَمُ به. عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٥.

(٣) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٦.

(٤) أي مبني للمجهول، فيُضَمُّ أوّله ويُفتَح ما قبل آخره، وهو عَلَمٌ على وزن الفعل.

إمرأة، واسم بئر زمزم»[١].

وفي لسان العرب: «في حديث زمزم: أنّ عبدالمطلب رَأى في المنام قيل: إحْفر تُكْتَم بين الفرث والدم؛ تُكتَم: إسم بئر زمزم، سمِّيت بذلك لأنّها كانت اندفَنَتْ بعد (جُرْهُم)[٢] فصارت مكتومة حتى أظهرها عبدالمطلب»[٣].

فلماذا سُمِّيت السيدة بهذا الإسم؟ هل ـ ياترى ـ من مناسبة لذلك؟ إذْ غالب التسميات إنما تكون لسبب أو مناسبة، فمثلاً: الإمامان الحسن والحسين عليهما السّلام إبْنا وصيّ نبيّ الإسلام سُمِّيا باسم ابْنَيْ هارون وصي موسى عليهما السّلام، وسيدتنا ومولاتنا الزهراء سُمّيت بفاطمة لأنّ الله فطمها وَوُلْدَها ومحبّيهم من النار، وهكذا.

فما هي المناسبة في تسمية السيدة نجمة بـ (تُكْتَم)؟

وهل هناك وجهُ شبهٍ بين تسمية السيدة بـ (تُكْتَم) وبين تسمية بئر زمزم بهذا الإسم؟

الجواب: يمكن أن يكون سببُ هذه التسمية أحد الأوجه التالية:

---

(١) القاموس المحيط: ج٤ / ٢٣٩ باب الميم فصل الكاف.

(٢) أي قبيلة جُرْهُم: إحدى القبائل العربية.

(٣) لسان العرب: ج١٢ / ٥٠٨، باب الميم فصل الكاف.

الوجه الأوّل:

عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «ماءُ زمزم خيرُ ماءٍ على وجه الأرض...»[١].

وفي حديث آخر: «خيرُ ماءٍ يَنْبعُ على وجه الأرض ماءُ زمزم...»[٢].

وقد مرَّ عليكم الخبر المروي عن الإمام الكاظم عليه السّلام أنه رأى في المنام جدّه رسول الله وأباهُ صلوات الله عليهما يقولان له: ياموسى لَيكوننّ لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك»[٣].

والسيدة حميدة المصفَّاة ذَكَرتْ أنّها رأت في المنام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول لها: يا حميدة هَبي نجمة لابنك موسى فإنه سيولَد له منها خير أهل الأرض»[٤].

فكما أنّ بئر زمزم ـ التي كانت تُسمى تُكْتَم ـ خيرُ نبْع على وجه الأرض لأنَّها ينبُعُ منها خير ماء، إذ ماءُ زمزم شفاءٌ من كل

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٥، كتاب الأطعمة والأشربة / ٢٦٠ باب ١٦ الحديث الأول.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ كتاب الأطعمة والأشربة / ١٨ باب ١٣ الحديث الثالث.

(٣) إثبات الوصية: ١٧٠.

(٤) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٧.

داء[١]، ودواءٌ لما شُربَ له[٢].

فكذلك السيدة نجمة سُمّيت بـ «تُكْتَم» لأنّها ستَلدُ خير أهل الأرض بعد أبيه، ومنه سيولَد أربعة من أنوار أهل بيت العصمة والطهارة، آخرهم إمامنا وسيدنا صاحب العصر والزمان ـ عجّل الله ظهورَه الشريف ـ، والخير كل الخير يكون ممَّن «بيمنه رُزِق الوَرى، وبوجوده ثبتت الأرض والسما».

الوجه الثاني:

إنّ زمزم كانت خافية ومكتومة عن الجميع فأظهرها عبدالمطَّلب عليه السّلام، كذلك السيدة نجمة كانت مكتومة وخافية، فأظهَرَها الإمام عليه السّلام، إذ البائع كَتَمَ أمرها، وأراد أنْ يدَّخرَها لنفسه لولا أنّ الإمام عليه السّلام أظهرها.

---

(١) فقد روي عن الامام الصادق عليه السّلام أنه قال: «ماء زمزم شفاء من كل داء». مستدرك وسائل الشيعة: ج١٧ ، كتاب الأطعمة والأشربة / ١٧ باب ١٣ ح١.

(٢) روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «ماء زمزم دواءٌ مما شرب له». وسائل الشيعة: ج٢٥ كتاب الأطعمة والأشربة / ٢٦١ باب ١٦ ح٢.

الوجه الثالث:

قد تكون تسميتُها بـ «تُكْتَم» كنايةً عن العفّة والطهارة، فهي امرأة مكتومة وخافية عن الرجال، وشاهدُهُ ما ذكره الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا: «... كانت نجمة بكراً لمّا اشترتها حميدة»[1].

والوجوه كلها تقبل الانطباق على السيدة تكتم، وتجتمع فيها.

قبر السيدة تكتم:

المشهور والمسموع من أهل المدينة أنّ السيدة «تُكْتَم» دُفنت في مشربة أم ابراهيم، سُميت بذلك لأنّ «مارية» وَلَدت فيها إبراهيم ابن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم قد أسْكَنها فيها.

المشْرَبَة: أي الغرفة.

نعم... هذه كانت السيدة تُكتَم والدة السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام وقد عرفتم كيفيّة انتخاب الإمام الكاظم عليه السّلام لها، فوَلَدتْ له خير أهل الأرض بعده، وهو الإمام الرضا عليه السّلام، وولدت له من خيرة النساء: السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام.

وهنا قد تتساءل:

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٧.

متى ولدت السيدة المعصومة عليها السلام؟

إنّ السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السّلام ـ كما مرّ عليك ـ هي أختُ الإمام الرضا لأمّه، فأمّهما واحدة، وهي مَنْ قد عرفْتَ فضلَها وعقلَها ودينَها.

وأبوها مَثَلُهُ كمثَل الشمس في وسط السماء، فهو «مَعْدن التّنزيل وصاحب التأويل، وحاملُ التوراة والإنجيل»[١]، «وصيُّ الأبرار، وإمامُ الأخيار، وعَيْبَة[٢] الأنوار، ووارث السكينة والوقار، والحِكَمِ والآثار، الذي كان يُحيى الليل بالسَّهر إلى السَّحَر بمواصَلَة الإستغفار، حليف السجدة الطويلة، والدموعِ الغزيرة، والمناجاة الكثيرة، والضّراعات المتّصلة. ومَقرّ النُّهى والعَدل، والخير والفضل، والنَّدى والبذْل، ومَأْلَف البَلْوى والصبر...»[٣].

فالسيدة المعصومة عليها السّلام قد وُلدَتْ في بيت لايُتَنَفَّسُ فيه إلاّ عبير التقى، ولايُرتَضَعُ فيه إلاّ بلبان الإيمان، ولا يُتَرَبَّى فيه إلاّ بتربية القرآن، ولايُنْهَلُ فيه إلاّ من رُواء العلم، ولايُطْعَم فيه إلاّ من رياض الخُلق والأدب والطّهْر والعفة.

---

(١) لاحظ مصباح الزائر: ٣٨٠.

(٢) عَيْبَةُ الشيء خاصّتُهُ وموضع سرّه.

(٣) لاحظ مصباح الزائر: ٣٨٢.

وأمّا تأريخ ولادتها: ذكروا أنّها سلام الله عليها قد وُلِدَتْ في المدينة المنوّرة في غُرّة ذي القعدة من سنة ١٧٣ هـ[١]، وعلى هذا التأريخ يكون عمرها الشريف حين وفاتها ثمان وعشرين سنة حيث تُوفِّيتْ في عام ٢٠١ هـ ق،

وعلى كل تقدير لايمكن أن يُتصوَّر عمرها الشريف أقل من إثنين وعشرين عاماً، أي ولادتُها لاتُتصوَّر بعد عام ١٧٩ هـ ق. لماذا؟ وكيف؟

ففي أصول الكافي: «... قُبِضَ عليه السّلام[٢] ببغداد في حبس السندي بن شاهك، وكان هارون حَمَلَهُ منْ المدينة لعشر ليال بَقينَ من شوال سنة تسع وسبعين ومائة، وقد قَدِمَ هارونُ المدينة منصَرَفهُ من عُمْرة شهر رمضان، ثم شَخَصَ هارونُ الى الحج وحَمَلهُ معه، ثم انصرَفَ على طريق البصرة فحبَسَهُ عند عيسى بن جعفر[٣]، ثم أشخَصَهُ إلى بغداد، فحبَسَهُ عند السندي بن شاهك، فتُوفِّي عليه السّلام في حَبْسِه...»[٤].

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٨ / ٢٥٧ مادة «فَطَمَ».

(٢) أي الإمام الكاظم عليه السّلام.

(٣) أي عيسى بن جعفر المنصور الدوانيقي والي هارون على البصرة، الذي حَبَسَ الإمام عليه السّلام لمدة سنة. راجع الإرشاد: ج٢ / ٢٣٩.

(٤) أصول الكافي: ج١ / ٤٧٦.

فالإمام الكاظم عليه السّلام قد فارَقَ بيتَهُ ومدينة جدِّه صلّى الله عليه وآله وسلّم في شوال سنة ١٧٩ هـ ق. وعليه فولادة السيدة المعصومة عليها السّلام كان قبل هذا التأريخ[١]، فيكون عمرها الشريف ـ على أقل التقادير ـ حين وفاتها إثنتين وعشرين سنة، ولكنّ الأقرب أنّ سنّها كان أكثر من ذلك، إذ إنّها كانت كبرى الفاطميْن أو الفَواطِم، حيث إنّ سبط بن الجوزي ذكَر أنّ للإمام عليه السّلام أربعاً كلٌّ منهن تُسمى فاطمة[٢].

من جنايات التأريخ والمؤرّخين:

اعتماداً على الحدس والتّخمين تارةً، يسعى الكُتّاب والمحقّقون لإثبات يوم ولادة ووفاة السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام، وتارةً أخرى يَسْتَلُّ أولئك وجهاً من الكتب بعنوان دليلٍ على ذلك.

ولكنها كلها في النهاية مجرد ظنّ لايصل الى مرحلة القطع واليقين.

وهذه سِيرة التأريخ والمؤرخين مع أهل بيت الوحي والرسالة،

---

(١) وعلى هذا فلايَصحُّ ما ذُكِر من أنّ ولادتَها عليها السّلام كانت في المدينة المنوَّرة سنة ١٨٣ هـ ـ أي سنة وفاة أبيها عليه السّلام الذي كان رهين السجون .

(٢) تذكرة الخواص: ٣٥١.

ومع أصحاب الحقّ والفضيلة.

فلانعلم متى وُلِدَت أمهات أئمة الهدى عليهم السّلام؟ ومتى تُوفِّينَ؟

وأين دُفِنَّ؟

وما هي أحوالهن وخصائصهن؟

وهكذا الأمر بالنسبة لأولادهم وبناتهم.

بل إنّ التأريخ والمؤرخين جَفَوا وأعرضوا حتى عن نفس أئمتنا عليهم السّلام، وإنْ ذكروا شيئاً عنهم، فَنَزْرٌ يَسير مشوب بالتشويه والتمويه..

فكيف بأبنائهم وبناتهم عليهم السّلام؟

ولكنْ من ناحية أخرى، تجد التأريخ والمؤرّخين يحفظون لنا أسماء المغنيات والراقصات في بلاط وقصور بني أميّة والعباس ويُفَصِّلون أحوالَهن وخصائصهن. ويُسجِّلون لنا أعراس الأمويين والعباسيين وحفلات ختان أولادهم، وما صرفوه من أموال طائلة في تلك الأعراس والحفلات، كل ذلك مع تصوير دقيق لتلك الأيام والليالي الساهرة في طاعة الشيطان إلى الصباح.

فَأَنَّى لأولئك أن يقتربوا من حَظيرة القدس والتقوى..؟

وكيف لهم أنْ تَخُطَّ أيديهم الملوَّثة أحوال أهل الصّلاح والطُّهْر والإيمان، ليكتبوا لنا تأريخ ولادتهم ووفاتهم، وليسجلوا

أحوالهم ويوميّاتهم؟؟!

إخوتها

ذَكَر الشيخ المفيد في الإرشاد أنه كان لأبي الحسن موسى عليه السّلام سبعةٌ وثلاثون ولداً ذَكَراً وأنثى.

فالذكور: الإمام الرضا عليه السّلام، وإبراهيم، والعباس، والقاسم، لأمَّهات أولاد[1].

وإسماعيل، وجعفر، وهارون، والحسين، لأمّ وَلَدْ.

وأحمد، ومحمد، وحمزة، لأمّ ولد.

وعبدالله، وإسحاق، وعبيدالله، وزيد، والحسن، والفضل، وسليمان، لأمَّهات أولاد.

والإناث:

فاطمة الكبرى، وفاطمة الصغرى، رقيّة، ورقيّة الصغرى، وأم أبيها، وحكيمة وكلثم، وأم جعفر، ولبابة، وزينب، وخديجة، وعليّة، وآمنة، وحسنة، وبريهة، وعائشة، وأم سلمة، وميمونة، وأم كلثوم، لأمهات أولاد[2].

وذَكَر النوبختي أنّ للإمام عليه السّلام ثلاثةً وثلاثين ولداً:

---

(١) أمّ ولد: هي الجارية التي أولدَها مالكها، فتصبح حُرَّة وتُعْتَق من نصيب وَلدِها.

(٢) الإرشاد: ج٢ / ٢٤٤.

ثمانية عشر ذكراً وخمس عشرة بنتاً[١].

وفي تاريخ اليعقوبي أنّ له عليه السّلام واحداً وأربعين ولداً: ثمانية عشر ذكراً، وثلاث وعشرين بنتاً[٢].

وفي عمدة الطالب أنّ له عليه السّلام ستين ولداً: ثلاثة وعشرين إبناً، وسبعاً وثلاثين بنتاً[٣].

فهذه أربعة أقوال، ولعلَّ الأقرب هو ماذكره الشيخ المفيد والنَّوْبختي، لأنه يوافق مارُوي عن الإمام الكاظم عليه السّلام نفسه في الخبر الذي ذكره الشيخ الصّدوق في عيون أخبار الرِّضا عليه السّلام، مِنْ أنَّ هارون العباسي سألَ الإمام عليه السّلام عَنْ عياله، فقال:

«... أمّا الوَلَد فَلي نَيِّفٌ[٤] وثلاثون...»[٥].

---

(١) فرق الشيعة: ٨٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ / ٤١٥.

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٢٢٦.

(٤) نَيِّف: هو مازاد على العشرات من أعداد الآحاد، فيشمل من واحد إلى تسعة.

(٥) عيون أخبار الرضا: ج١ / ٨٩ باب ٧ ح١١.

ألقابها

للسيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليهما السّلام عدة ألقاب، منها:

المعصومة

وهي أكثر ما تُعرَف به، وقد نُقل عن الإمام الرّضا عليه السّلام أنه قال: «مَنْ زارَ المعصومة بقم كمن زارني»[1].

كريمة أهل البيت

يُنقَل عن آية الله السيد محمود المرعشي (قُدِّس سرّه) أنه كان قد توسَّلَ كثيراً بهم صلوات الله وسلامه عليهم، والتَمَسَ منهم وفيراً، أنْ يُبيِّنوا له موْضِع قبر الصدّيقة الطاهرة سيدةِ النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

لكن في المآل أجابوه (صلوات الله عليهم) أنه لاتطلب منّا هذا الشيء فإنه ليس من المقدَّر أن نُظهِر قبرها المخفي، لكن كلّ

---

(١) ناسخ التواريخ: ج٧ / ٣٣٧.

مَنْ أراد أنْ يدرك ثواب زيارتها فعليه بزيارة كريمة أهل البيت..

فاستفْسَر السيد: ومَنْ هي كريمة أهل البيت؟

أجابوه: فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السّلام المدفونة بقم.

* * *

فهذه وإن كانت رُؤيا صالحة، ولكنَّ الواقع الخارجي يُصدِّقها، فما نسمعُهُ ونراهُ من كبير كرم، وحُسْنِ استضافة هذه السيدة الجليلة لدليلٌ واضح على ذلك، ولاعجب فهي سليلة أَصل الجود والكرم.

ويكفي في كرمها احتضانُها لحوزة التشيُّع في العصر الأخير، بل منذ العصور الغابرة، حيث كانت قم بلدَ التشيّع، ومركز حَفَظةِ أحاديث وعلوم أهل البيت عليهم السّلام.

فببركة التَّمسُّك بحبل ولاهم عليهم السّلام أفاضوا على قم وأهلها مما أفاضوا، ولكن عَبْرَ سليلتهم الكريمة، فاطمة المعصومة.

أخت الرضا

... قال أحمد بن محمد بن أبي نصر البَزَنطي[1] للإمام الجواد

---

(١) أحمد بن محمد بن أبي نصر البَزَنطي: من أصحاب الامام الكاظم عليه السّلام، ومن خواصّ أصحاب الامام الرضا عليه السّلام، كما وأنه أدرك الامام الجواد عليه السّلام و(بَزَنط): موضعٌ بالعراق.

عليه السّلام: إنّ قوماً من مخالفيكم يزعمونَ أباكَ إنّما سمَّاهُ المأمون الرِّضا لَمَّا رَضيَهُ لولاية عهده.

فقال عليه السّلام: كذبوا والله وفجروا، بل الله تبارك وتعالى سَمَّاهُ الرِّضا، لأنَّه كانَ رِضىً لله عزّوجلّ في سمائه، ورضىً لرسوله والأئمة من بعده ـ صلوات الله عليهم ـ في أرضه.

قال الرّاوي: ألَم يَكُنْ كلٌّ واحد من آبائكَ الماضين ـ عليهم السّلام ـ رضىً لله تعالى ولرسوله والأئمة ـ عليهم السّلام ـ؟

فقال عليه السّلام: بلى.

قال الراوي: فلِمَ سُمِّي أبوك من بينهم الرِّضا؟

قال: لأنَّه رَضيَ به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه، ولم يكنْ ذلك لأحد من آبائه ـ عليهم السّلام ـ فلذلك سُمِّي من بينهم الرّضا ـ عليه السّلام ـ»[1].

فلأنّ الإمام رَضيَ به المخالف والمؤالف، كانَ كلٌّ مَنْ يتّصل به نسباً يُنسَب إليه، فالإمام الجواد عليه السّلام عُرِفَ بابن الرضا، وكان من ألقابه[2]، كما أنّ الإمام الهادي والعسكري عليهما السّلام كانَ يُعرف كلٌّ منهما في زمانه بابن الرضا[3].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ / ٣٧٩.

(٣) المصدر السابق: ج٤ / ٤٢١.

ولذلك أيضاً كانت السيدة المعصومة عليها السّلام تُعرف بـ «أُخت الرِّضا».

وهذا وإنْ لم يُذكر في كتابٍ معتبر، ولكنّ الشواهد السّالفة كافية لإثبات هذا اللقب لها. فهي وإنْ كانتْ عليها السّلام أختَ الرضا حقيقةً، عُرِفت به لقباً كذلك.

٣ ـ هل تزوجت السيدة المعصومة عليها السّلام؟

حتى نحصلَ على إجابة هذا السؤال، لابدّ لنا من قراءة متأنّية في وصيَّتيْن لأبيها الإمام الكاظم عليه السّلام وفي روايات أُخرى.

فتعالوا نَسْتطلِعْ الروايات والتأريخ لنحصلَ على الجواب، ونعرفَ حقيقة الأمر.

قال اليعقوبي ـ المؤرِّخ ـ: «أوصى موسى بن جعفر ألاّ تتزوج بناته، فلم تتزوّج واحدةٌ منهنّ إلاّ أم سلمة، فإنّها تزوّجتْ بمصر، تزوّجها القاسم بن محمد بن جعفر بن محمد، فجرى في هذا بينه وبين أهله شيء شديد حتى حَلفَ أنّه ماكشفَ لها كَنَفاً، وأنّه ما أرادَ إلاّ أنْ يحجَّ بها»[١].

ولكنْ عند الرّجوع إلى وصيّة الامام الكاظم عليه السّلام التالية نرى أنّ الإمام لم يوصِ بذلك وإنّما أوصى أن يكون أمر زواجهنّ بيَد أخيهنّ الإمام الرّضا عليه السّلام حيث إنّه قال: «... وإلى عليٍّ أمرُ نسائي دونهم[٢]... وإنْ أرادَ رجلٌ منهم[٣] أنْ

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ / ٤١٥.

(٢) أي دون بقية إخوته.

(٣) أي من إخوته.

يزوِّجَ أُخته فليسَ لهُ أنْ يزوِّجَها إلاّ بإذنهِ وأمرِه، فإنّه أعْرَفُ بمناكح قومه...»[١].

ثم إنه عليه السّلام يؤكّد على ذلك في موضع آخر من نفس الوصيَّة: «... ولايُزوِّج بناتي أحدٌ من إخوتهنَّ من أمهاتهنَّ، ولاسلطان، ولا عمّ، إلاّ برأيه ومشورته[٢]، فإن فعلوا غير ذلك فقد خالفوا اللهَ ورسولهَ، وجاهدوهُ في ملكه، وهو أعرفُ بمناكح قومه، فإن أراد أنْ يزوِّج زوَّج، وإنْ أرادَ أنْ يتركَ ترَك»[٣].

فالإمام ـ بحسب الوصيّة ـ لم يمنع بناته من الزواج ـ كما ادَّعى اليعقوبي ـ وإنما جعلَ أمرَ زواجهنّ بِيَد أخيهن الإمام الرضا عليه السّلام.

وفي وصيّةٍ أخرى له عليه السّلام لتعيين أوقافه وصدقاته وكيفيّة تقسيمها، قال: «... يُقسَّم في مساكين أهل القرية مِن وُلْد موسى بن جعفر للذَّكر مثل حظّ الأنثيين، فإنْ تزوَّجتْ امرأةٌ مِن وُلْد موسى بن جعفر فلا حَقَّ لها في هذه الصدقة حتى ترجع إليها بغير زوج، فإنْ رجعَتْ كانَ لها مثل حظّ التي لم تتزوّج من بنات

---

(١) أصول الكافي: ج١ / ٣١٦، وعيون أخبار الرضا: ج١ / ٣٣.

(٢) أي إلاّ برأي ومشورة الإمام الرضا عليه السّلام.

(٣) أصول الكافي: ج١ / ٣١٧.

موسى...»[١].

ويبدو أنّ هذه الوصيَّة هي التي جَعَلتْ اليعقوبي يقول بأنّ الإمام أوصى أنْ لاتتزوَّج بناتهُ من بعده، ولكن الظاهر منها أنّ التي تتزوَّج فهي في عيلولة زوجها، وهو ينفقُ عليها، فإنْ ماتَ أو طلَّقَها رجَعتْ وكان لها مثل حظّ التي لم تتزوَّج.

ومع ذلك كلّه فإنّه لقائل أن يقول: يُشَمُّ من هذه الوصيَّة ومن سابقتها عدم رغبة الإمام في تزويج بناته، بل إنّ الواقع الخارجي يُصدِّق ذلك، فلا الإمام الكاظم نفسُهُ في زمان حياته زوَّجَ واحدةً منهنّ، ولا الإمام الرّضا، بل كان هذا سائراً في بناتهم، وقد أوقف الإمام الجواد عليه السّلام عَشْر قُرى في المدينة أوقفها على أخواته وبناته اللاتي لم يتزوّجْن، وكان يُرسل نصيب الرِّضائية[٢] من منافع هذه القرى من المدينة إلى قم[٣].

فيستوقفنا ـ هنا ـ سؤالٌ وهو:ـ

رَغّبَ الشرع المقدَّس في الزّواج وحَثَّ عليه، ونَفَّرَ من العزوبة وحَذَّر منها، وقد وردَت في ذلك رواياتٌ متعددة.

منها: ماوَرَدَ عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال: «مِن سعادةَ

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج١ / ٣٧.

(٢) أي بنات وحفيدات الإمام الرضا عليه السّلام، فهنَّ يُنسبْنَ إليه فيُقال: الرِّضائية.

(٣) تاريخ قم ـ المترجم ـ: ٢٢١.

المرْء أنْ لاتَطمث[١] ابنتُهُ في بيته»[٢].

وما وَرَدَ عنه عليه السّلام أيضاً، قال: «جاءَ رجلٌ الى أبي عليه السّلام فقال له: هل لك من زوجة؟

قال: لا.

فقال أبي: ما أُحِبُّ أنَّ ليَ الدنيا وما فيها وأنّي بتُّ ليلةً وليست لي زوجة.

ثم قال: الركعتان يصلّيهما رجل متزوّج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره.

ثم أعطاهُ أبي سبعة دنانير.

ثم قال: تزوّجْ بهذه»[٣].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «رُذّال موتاكم العزّاب»[٤].

ورُوي أيضاً أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «أكثر أهل النار

---

(١) لاتطمثْ: أيْ لا تحيض.

(٢) وسائل الشيعة: ج ٢٠ كتاب النكاح / ٦١، باب ٢٣، ح ١.

(٣) وسائل الشيعة: ج ٢٠ كتاب النكاح / ١٩، باب ٢، ح ٤.

(٤) المصدر السابق: ح ٣.

العزّاب»[١].

وبعد هذا كلّه، فهل الإمام الكاظم عليه السّلام ـ وهو لسان الشرع المقدَّس ـ يرغب عن تزويج بناته؟ حاشا، وألف حاشا.

فكيف نوفّق بين هذا الترغيب الأكيد في الزّواج والتزويج، وبين عدم تزويج الامام الكاظم عليه السّلام لبناته، ثم من بعده الإمام الرِّضا عليه السّلام لم يُزوِّجهنَّ كذلك، علماً أنّ الإمام الرضا قد رُحِّلَ إلى خراسان في عام مائين للهجرة، أي بعد وفاة أبيه بسبعة عشر عاماً، ولم يذكر التاريخ أنّ إحداهُنَّ تزوّجت في هذه الفترة؟

قد يُجاب عن هذا السؤال بأحد الأوجه التالية:

الوجه الأوّل:

إنّ العزوبة وإن كانت مكروهة عند الشرع المقدَّس، لكنَّها قد تَحِلُّ[٢] في بعض الأزمنة.

فعن إبن مسعود قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لَيأتيَنَّ على الناس زمانٌ لايَسلَم لِذي دِينٍ دينُهُ إلاّ مَنْ يَفِرُّ من

---

(١) المصدر السابق: ح٧، والمعنى: أن الإقتضاء في العازب لأن يكون من أهل النار أكثر من اقتضائه في المتزوّج، وهذا واضح لأن المتزوج قد اتّقى من الحرام بزواجه.

(٢) تَحلّ: بمعنى الرّجحان والجواز.

شاهقٍ إلى شاهق، ومن جُحْر إلى جُحْر كالثعلب بأشباله.

قالوا: ومتى ذلك الزّمان؟

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: إذا لم ينل المعيشة إلاّ بمعاصي الله، فعند ذلك حَلَّت العزوبة»[١].

فالعزوبة تَحلُّ في بعض الأزمنة، وعليه قد يكون الإمام عليه السّلام قد مَرَّ بما يماثل تلك الأزمنة، فلاتنافيَ بين ترغيب الإمام في الزواج، وبين عدم تزويجه لبناته.

فالحكم الأوّلي للعزوبة هو الكراهة، ولكن الحكم الثانوي المستفاد من هذه الرواية هو ارتفاع كراهة العزوبة في بعض الأوقات.

الوجه الثاني:

أنه عليه السّلام لم يُزوِّجهنَّ لعدم الكفؤ لهنَّ، فإنهنّ ودائع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وكريماتُهُ، فينبغي أنْ لايتزوّجْنَ إلاّ بمؤمنٍ تقيٍّ يعرف مكانتهن، ويقدِّر منزلتهنّ، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أنكحوا الأكفاء وانكحوا فيهم واختاروا لنطفكم»[٢].

فلو أنّ الإمام عليه السّلام قد زوّجهنَّ من غير الأكفاء لَما

---

(١) بحار الأنوار: ج١٤ / ٣٥١.

(٢) الكافي: ج٢٣٢/٥، كتاب النكاح، باب اختيار الزوجة ح٣.

عُرفَت مكانتهنّ، ولهُدرَتْ حقوقهن، وما في ذلك من المهانة والإذلال لودائع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وحاشا للإمام أن يفعل ذلك.

بل قد يكون تزويجهنَّ من غير الأكفاء عامل ضغط على الإمام عليه السّلام تُمارِسُهُ الحكومة العباسيّة لتكبيلٍ أشَدَّ للإمام، وتقييدٍ أكثر لحريّته.

ولذا نجد أنّ الإمام عليه السّلام في وصيَّته قد جعلَ أمرَ تزويج بناته بيد الإمام الرِّضا عليه السّلام معلِّلاً ذلك بأنّه أعرف بمناكح قومه.

الوجه الثالث:

ما أجابَ به الإمام عليه السّلام هارونَ عندما سأله: «... قال: فَلِمَ لاتُزوِّج النّسوان من بني عمومتهنّ وأكفائهنّ؟

قال: اليد تَقْصُرُ عن ذلك.

قال: فما حال الضَّيعة[1]؟

قال: تُعطي في وقت، وتمنعُ في آخر...»[2].

فالإمام عليه السّلام علَّلَ عدم تزويجهنّ لِقِصَر ذات اليد، وضَعْف الإمكانات الماديَّة، للمحاصرة الإقتصادية على الإمام عليه

---

(١) الضَّيْعَة: العقار، والأرض ذات الغَلَّة.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج١ / ٨٨ ح١١.

السّلام، ومَنْع الشيعة من إيصال الحقوق الشرعية إليه.

الوجه الرابع:

نتيجةُ الضغوطات العنيفة، والممارسات التّعسّفية التي كانت السلطة العبّاسيّة تنتهجها تجاه الإمام عليه السّلام وشيعته، نتيجةً لذلك ما كان أحدٌ ليَجْرَأ أنْ يتقدَّم من الإمام ليطلب كريمته أو أخته.

بل إنّ الشيعة ـ في فترات مختلفة من الزمن ـ ما كانوا ليقتربوا من دار المعصومين عليهم السّلام في استفتاءاتهم، ولذا كان بعضهم يلجأ إلى الحيلة فيلبس ثياب بائع خيار ويحمل سَلَّة الخيار حتى يتمكّن من دخول دار الإمام، فيستَفتيَهُ ويخرج.

فإذا كان أتباع أهل البيت عليهم السّلام لا يستطيعون استفتاء الإمام، فما ظنُّكَ بمن يريدُ القرب من الإمام بالزّواج من إحدى بناته؟

إنّ الراغبين لشرف مصاهرة الإمام ـ سواء أكانوا من أولاد العمومة أم من خيار الشيعة ـ كان أمرُهُم دائراً بين مقتولٍ بأيدي الغدر والعدوان، وبين مُعْتَقَل معذَّبٍ في قعْر السّجون، وبين مطاردٍ من قِبَل جلاوزة السّلطة قد استخفى عن أعينهم...!!

فمن ذا الذي يجرأ ـ بعد هذا ـ أنْ يطلب الوُصْلَة بالإمام عليه السّلام؟

النّتيجة:

إنّ السَّيّدة المعصومة عليها السّلام ـ كسائر أخواتها ـ لم تتزوَّج، وعدم تزويج الإمام لهن لاينافي الترغيب والأمر بالزواج.

وظاهرةُ عدم تزويج أكثر من إمام لبناته أو أخواته لَهِيَ ظاهرةٌ تستحقُّ دراسةً أكثر، وبحثاً أعمق، للتعرُّف على أسباب وملابسات هذه الظاهرة وتحليلها، فهي حلَقَة من حلقات معايشة ومعاناة المعصومين عليهم السّلام في ظروف عصيبة ومختلفة. فعسى الله أن يُقيِّضَ مَن يبحثُها ويكشفَ عن غوامضها.

نعم، قد مرّ عليكم زواج واحدةٍ منهن كما في تاريخ اليعقوبي وهي أم سلمة، وأن الذي تزوجها هو القاسم بن محمد بن الامام الصادق عليه السّلام[١].

وفي كتاب العبيدلي أنها تُدعى فاطمة وأمّ الذّريّة، وصرَّح أيضاً بزواجها من القاسم[٢].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ / ٤١٥.

(٢) أخبار الزينبات: ١٣٢ ـ ١٣٣.

عبادتها

مَنْ كان أبوها يحيى الليل بالسَّهر إلى السَّحَر بمواصلة الإستغفار، وكان حليف السجدة الطويلة، والدّموع الغزيرة، والمناجاة الكثيرة، والضَّراعات المتّصلة.

ومَنْ كانت أمّها تريد الإستعانة بمرضع تُرضع لها ولدها، حتى لاينقص شيءٌ من وِرْدِها وتسبيحها على أثر الولادة، مما يدلّ على حرصها على عبادتها، وانقطاعها إلى الله تعالى[١].

فإذا كانت السيدة فاطمة المعصومة قد ترعرعت وشَبَّت في بيتٍ انقطع أهلها إلى عبادة الله عزّوجلّ، مستغرقين في المناجاة والتضرّع، فكيف ستكون عبادتها عليها السّلام؟ وماذا ياترى يكون النّتاج؟

النتاج والثمرة هو أن تكون زيارتها موجبةً للجنة.

وقد كانت عليها السّلام تتعبّد في محلّة مشهورة وموجودة إلى الآن، في بيت موسى بن خزرج ويُسمَّى ببيت النور[٢]، وهو مورد زيارة الزوار والموالين.

---

(١) لاحظ عيون أخبار الرضا: ج١ / ١٥.

(٢) في ميدان «مِير».

معاناتها

العصر العباسي: عصر الظلم والظلمات

بعدَ أنْ دَمَّر العباسيون بني أميّة وأبادوهم حيث ثقفوهم، بدعوى الإنتقام لآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم..

وبعد أنْ صَعَدَ العباسيون الى الحكم على أكتاف آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، مدَّعين بأنَّ ما قاموا به إنّما هو في مقابل الدّماء الزاكيات للإمام الحسين عليه السّلام والصّفوة من أهل بيته وأصحابه والتي أُريقت على أرض كربلاء.. ولكنّهم بعد أنْ استتبَّ لهم الحكم، عملوا بسياسة أخرى تجاه آل الرسول وعامة العلويين، حتى لايتبادر إلى أذهانهم منافسة العباسيين في الحكم...

فقد انتهجوا أولاً سياسة كتم الأنفاس..

ثم أردفوها بسياسة إزهاق الأرواح... فكانت أيّامهم وأعوامهم تصرخ من مظالمهم، بحيث إن الشيعة والموالين لآل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من شدة الخوف والإضطراب انصهروا في عامة الناس، فكانوا يأخذون أحكام دينهم من غير أئمة أهل البيت عليهم السّلام، وهذا بتصريح روايةٍ عن الإمام الصادق عليه

السّلام حيث قال:

«كانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر [أي الباقر] عليه السّلام، وهم لايعرفون مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم، حتى كان أبو جعفر، ففتَح لهم، وبَيَّنَ لهم مناسك حجّهم وحلالهم وحرامهم، حتى صار الناس يحتاجون إليهم مِنْ بعدما كانوا يحتاجون إلى الناس[1] ....»[2].

ولكن ما كان أحدٌ يَجْرَأ أن يتّصل بالإمام من أئمة أهل البيت عليهم السّلام، حيث إن بني العباس مَنعوا الناس عنهم، ومنعوهم من استقبال أيّ أحد، وحاصروهم أشد المحاصرة، حتى أنه كان يقع لأحدهم مسألة في دينه، في نكاح أو طلاق أو غير ذلك، فلايكون علم ذلك عندهم، ولايمكن الوصول الى الإمام عليه السّلام، فكان الرجل يعتزل زوجته،[3] لعلّه يصل إليه فيستفتيه مسألته.

---

(١) الناس هنا بمعنى العامّة، فبعد أن كانت الشيعة ـ بسبب انصهارهم في المجتمع خوفاً على حياتهم ـ يأخذون أحكامهم من غير أئمتهم عليهم السّلام، صار الناس يرجعون إليهم في الفتيا ببركة الائمة عليهم لاسّلام.

(٢) أصول الكافي: ج٢ / ١٩ ـ ٢٠ ح٦، عنه بحار الأنوار: ج٦٥ / ٣٣٧ ح١١.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٧ / ١٨٠ ح٢٧.

بل إنّ بعض الشيعة كان يحتال بحيلةٍ حتى يصل الى الإمام عليه السّلام كما في الرواية التالية:

«انّ هارون بن خارجة قال: كان رجلٌ من أصحابنا طلَّق امرأته ثلاثاً[١]، فسأل أصحابنا، فقالوا: ليس بشيء.

فقالت امرأتُهُ: لا أرضى حتى تسأل أبا عبدالله عليه السّلام.

وكان [عليه السّلام] بالحيرة[٢] إذ ذاك أيام أبي العباس [السَّفَّاح].

قال: فذهبتُ الى الحيرة، ولم أَقْدِر على كلامه ـ أي التكلّم معه ـ ،إذ منعَ الخليفةُالناسَ من الدخول على أبي عبدالله عليه السّلام.

وأنا أنظرُ كيف ألتمسُ لقاءَهُ، فإذا بسواديّ[٣] عليه جبَّة صوف يبيع خياراً.

فقلتُ له: بِكَمْ خيارك كلّه؟

قال: بدرهم.

فأعطيتُهُ درهماً، وقلتُ له: أعطني جُبَّتكَ هذهْ فأخذتُها ولبستُها، وناديتُ: من يشتري خياراً؟..

---

(١) أي طلّقها ثلاثاً في مجلسٍ واحد.

(٢) بالقرب من الكوفة.

(٣) أي عراقي، إذْ يطلق على أرض العراق أرض السواد لكثرة نخيلها وزروعها. أو لعلّه نسبةً الى قرية بالكوفة تُعرَف بـ (السَّواديَّة).

فإذا غلامٌ من ناحيتي ينادي: يا صاحب الخيار!

فقال [الإمام] عليه السّلام لي لمّا دنوت منه: ما أجودَ ما احْتَلْتَ! أيُّ شيءٍ حاجتك؟

قلتُ: إنّي ابتُليتُ فطلّقتُ أهلي ثلاثاً في دفعة، فسألتُ أصحابنا فقالوا: ليس بشيء. وإن المرأة قالت: لا أرضى حتى تسأل أبا عبدالله عليه السّلام.

فقال:إرْجعْ إلى أهلك، فليس عليك شيءٌ»[1].

هذه الروايات كانت لبيان نماذج من سياسة كَتْم الأنفاس.

وأما سياسة إزهاق الأرواح:

فقد حُكي عن رسائل الخوارزمي: ص١٦٥، أنه قال:

«مات المنصور وقد مُلئت سجونه بأهل بيت الرسالة ومعدن الطِّيب والطّهارة، قد تتبَّعَ غائبهم، وتلفَّظَ حاضرهم... هذا قليلٌ في جنب ما قتله هارون منهم... إلى أن مات هارون، وقد حَصَدَ شجرة النبوّة، واقْتَلَعَ غرس الإمامة، ويقتلون مَنْ عرفوه شيعيّاً، ويَسْفكون دم مَنْ سمَّى ابنه عليّاً... وكانا ـ أي هارون والمتوكّل ـ لايعطيان مالاً، ولايبذلون نوالاً، إلاّ لمَنْ شَتَمَ آل أبي طالب، ونَصَرَ مذهب النّواصب».

---

(١) الخرائج والجرائح: ج٢ / ٦٤٢ ح٤٩، عنه بحار الأنوار: ج٤٧ / ١٧١ ح١٦.

وللمأمون العباسي اعترافٌ بجناياته وجنايات بني العباس، وظلمهم لأهل البيت عليهم السّلام وذراريهم ومواليهم وشيعتهم.

وهذا الإعتراف منه نُسجّلُهُ للتاريخ والأجيال بياناً لحقيقة المأمون وبني العباس، حيث قال في جواب رسالةٍ عن بني هاشم:

«... حتى قضى الله تعالى بالأمر إلينا، فأخَفْناهم، وضيَّقْنا عليهم، وقتلناهم أكثر من قتل بني أميّة إيّاهم.

وَيْحَكُمْ! إنَّ بني أميَّة إنّما قتلوا منهم مَنْ سَلَّ سيفاً، وإنّا مَعْشَر بني العبّاس قَتَلناهُم جُمَلاً.

فلتسألنَّ أعْظُم الهاشمية بأيّ ذنبٍ قُتلت؟!

ولتسألنَّ نفوسٌ أُلْقيت في دجلة والفرات، ونفوسٌ دُفِنَت ببغداد والكوفة أحياء!!

هيهات! إنّه مَنْ يعمل مثقال ذرّةٍ خيراً يَرَه، ومَن يعمل مثقال ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه..»[1].

هكذا وُضعت مصائر آل الرسول وشيعتهم ومواليهم على مائدة بني العباس كصِحاف طعامٍ بمأدبة ذئاب!!

---

(١) عن صاحب الطَّرائف عن ابن مسكويه، نقلها في بحار الأنوار: ج٤٩ / ٢١٠.

وفي هكذا عصور مظلمة، وأجواء خانقة، كانت تفوح منها رائحة الدم.. مليئة بالكراهية والحقد، شَبَّها العباسيون ناراً مدمّرة على آل الرسول، وذريّة الزهراء البتول..

في هكذا عصرٍ كانت تعيش سيّدتنا ومولاتنا فاطمة المعصومة عليها السّلام، وعانت ما عانَت من أولئك الطّغاة، وكابدت ما كابدت في ذلك العصر المظلم..

محنة افتقاد أبيها عليهما السّلام

ليلة ٢٠ من شهر شوال

سنة ١٧٩ هـ

المدينة المنوّرة

المرقد الشريف لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم[١]

اعتقال أبيها الامام الكاظم عليه السّلام

بعد أنْ وشى الواشون بأبيها الإمام الكاظم عليه السّلام، وسعى به السّاعون بأن الأموال تُجبى وتصار إليه من المشرق والمغرب، ويُسَلَّم عليه بالخلافة، قَدِمَ هارون العباسي الى المدينة لإلقاء القبض ـ بنفسه ـ على الإمام عليه السّلام، متذرِّعاً بأنه يريد أن يعقد الأمر والبيعة لابنه محمد بن زبيدة، وجعله وليّ عهده، وجعل الأمر من بعده لأخيه المأمون.

---

(١) الكافي: ج١ / ٤٧٦.

فلما ورد هارون المدينةَ، استقبله الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام في جماعة من الأشراف، وانصرفوا من استقباله.

ومضى الامام عليه السّلام ـ كعادته ورَسْمه ـ الى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقام يصلّي عند رأسه الشريف.

وأمر الرشيد باعتقال الإمام عليه السّلام، فدخلوا عليه في مسجد جده، وهتكوا حرمته، وقطعوا على الإمام صلاته، وحُمِل وهو يبكي ويقول: إليك أشكو يا رسول الله ماألْقى.

وأقْبَلَ الناس من كل جانب يبكون ويضجّون.

فلما أُدْخِل على هارون، شَتَمَ الإمامَ عليه السّلام وجفاه ثم قَيَّده، وجعله في قُبّةٍ مستورةٍ على بَغْلٍ، وأمر بقبّة مستورةٍ خاليةٍ على بَغْلٍ آخر، وخرج البَغْلان في مجموعةٍ من الخيل.

ولكن هارون أمر بحمل الإمام عليه السّلام سرّاً وخفاءً إلى البصرة، وأن يُسَلَّم إلى عيسى بن جعفر ـ ابن المنصور ـ ابن عمّ هارون، ووجّه القُبّة الاخرى ـ الى الكوفة نهاراً علانيةً، ليوهم الناس، وليعمى عليهم أمر الإمام عليه السّلام[1].

---

(١) راجع ا لمصادر التالية:

عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج١ باب ٧ ح١ / ٦٩، عنه بحار الأنوار: ج٤٨ ح٧ / ٢٠٧.

وسيدتنا ومولاتنا فاطمة المعصومة عليها السّلام ـ وهي بعدُ طفلة صغيرة ـ تَرى وتنظر أو تسمع: كيف اعتُقل أبوها عليه السّلام؟ وكيف اقتيد الى خارج مدينة جده رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟

فحُرمت عليها السّلام عطف الأبوّة منذ نعومة أظفارها، وأخذت تشمّ رياح اليُتمْ منذ تلك اللحظة.

وكانت الآلام تَعصر قلبها الحزين، وقلب كلّ محبّ ومُوالٍ لأهل هذا البيت الطاهر، حينما كانوا يَروْن الإمام الرضا عليه السّلام ينامُ في كل ليلة على باب دار أبيه ـ بوصيّةٍ منه ـ، حيث يُفْرش له في الدهليز، وكأنّه يريد أن يقول للملأ العام، ويُذكّر الشيعة الكرام، بأنّ إمامكم قد اقتيد، ولم يُفرج عنه إلى الآن.

واستمر مبيتُ الإمام الرضا عليه السّلام في كل ليلة على باب الدار أربع سنين[1].

عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج١ باب ٧ ح٢ / ٧٢، عنه بحار الأنوار: ج٤٨ ح٨ / ٢١٠.

عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج١ باب ٧ ح١٠ / ٨٥، عنه بحار الأنوار: ج٤٨ ح٢٥ / ٢٢١.

الإرشاد: ج٢ / ٢٣٩.

(١) الكافي: ج١ / ٣٨١ ح٦، عنه بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٤٦ ح٥٣.

وكان الإمام الكاظم عليه السّلام في هذه المدّة ينتقل من سجنٍ الى آخر، ومن يَدِ سَجَّانٍ إلى يد سجّانٍ آخر.

ولابدّ أن السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام كانت تستقصي أخبار أبيها، ومايجري عليه من مصائب.

فماذا ـ ياتُرى ـ كان يجري على الإمام عليه السّلام في تلك المدّة؟

الإمام عليه السّلام رهين السجون

أواخر سنة ١٧٩ هـ

البصرة

سجن عيسى بن جعفر ـ ابن عم هارون ـ
ووالیه على البصرة

جواسيس عيسى يرفعون التقارير عن أحوال الإمام في السجن، وحركاته وسكناته.

رَفَعَ أحدهم في تقريره يقول:

إنه يسمعه كثيراً يقول في دعائه: «اللهمَّ! إنَّك تعلمُ أنّي كنتُ أسْألُكَ أنْ تُفَرِّغَني لعبادتك، اللهمَّ وقد فَعَلْتَ فلكَ الحمد».

جاسوسٌ آخر يتحدث الى مثله عن الإمام عليه السّلام فيقول:

لقد سمعَ هذا الرجل الصالح في أيّامه هذه، في هذه الدّار التي هو فيها من ضروب الفواحش والمناكير ما أعْلَمُ به...

وكان لايُفْتَح الباب على الإمام عليه السّلام إلاّ في حالتيْن: حالة يخرج فيها الى الطَّهور، وحالة يُدْخَل إليه بالطعام.

وكان عليه السّلام مشغولاً بالعبادة، يُحيي الليلَ كلَّه صلاةً وقراءةً للقرآن ودعاءً واجتهاداً، ويصوم النّهار في أكثر الأيام، ولايَصْرِفُ وجهه عن المحراب...

وبَعْد سنة:

هارون يكتب إلى ابن عمه ووالیه على البصرة بالتخلّص من الإمام عليه السّلام وسفك دمه.

عيسى بن جعفر يستدعي بعض خاصته فيستشيرهم في ما كُتب إليه.

فأشاروا عليه بالتوقّف والإستعفاء من ذلك.

فكتب إلى هارون يستعفيه من ذلك ويقول له:

قد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرتُ حالَهُ ووضعتُ عليه العيون طول هذه المدّة فما وجدتُهُ يَفْتُرُ عن العبادة، ووضعتُ من يسمعُ منه ما يقول في دعائه، فما دعا عليك ولاعليَّ ولا ذكَرَنا في دعائه بسوء، وما يدعو لنفسه إلاّ بالمغفرة والرحمة، فإن أنت أنفَذْتَ إليَّ مَنْ يستلمه منّي وإلاّ خَلَّيْتُ سبيله، فإنني متحرِّجٌ من حبسه.

فوجّه الرشيد من يتسلّمه من عيسى بن جعفر، وصَيَّر به الى بغداد الى سجن الفضل بن الربيع[١].

(١) راجع الآتي:

عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج١ / ٨٦ ح١٠.

الإرشاد: ج٢ / ٢٣٩ ـ ٢٤١.

أواخر سنة ١٨٠ هـ

بغداد

سجن الفضل بن الربيع

الفضل بن الربيع جالسٌ على سطح الدار التي سُجن فيها الإمام عليه السّلام.

يقول الراوي:

فَدَخَلْتُ عليه.

فقال لي: أُدْنُ منّي واشْرُف إلى البيت في الدار! ما ترى في البيت؟

قلتُ: ثوباً مطروحاً!!

فقال: أُنظُر حسناً.

فتأمَّلْتُ ونظرتُ، فتيقَّنت.

فقلتُ: رجلٌ ساجد

فقال لي: أتعرفهُ؟

قلتُ: لا.

قال: هذا مولاك.

قلتُ: ومَنْ مولاي؟!

فقال: تتجاهل عَلَيَّ؟!

فقلتُ: ما أتجاهل، ولكنّي لا أعرف لي مولى!

فقال: هذا أبو الحسن موسى بن جعفر. إنّي أتفقّدهُ الليل والنّهار، فلم أجده في وقتٍ من الأوقات إلاّ على الحال التي أُخبرك بها:

إنّه يُصلّي الفَجر، فيُعقّب ساعةً بعد صلاته إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلايزال ساجداً حتى تزول الشمس، وقد وكَّلَ مَنْ يترصَّد له الزّوال، فلستُ أدري متى يقول الغلام: قد زالت الشمس، إذْ يثب فيبتدئ بالصلاة من غير أنْ يُجدِّد وضوءاً، فأعلمُ أنّه لم ينم في سجوده ولا أغفى. فلايزال كذلك إلى أنْ يفرغ من صلاة العصر، فإذا صلَّى العصر سجد سجدةً فلايزال ساجداً إلى أن تغيب الشمس، فإذا غابت الشمس، وَثَبَ من سجدته فصلّى المغرب من غير أنْ يُحْدِث وضوءاً، ولايزال في صلاته وتعقيبه الى أنْ يصلّي العتمة ـ أي العشاء ـ، فإذا صلَّى العتمة، أفطر... ثم يجدِّد الوضوء، ثم يسجد، ثم يرفع رأسه فينام نومةً خفيفة، ثم يقوم فيجدِّد الوضوء، ثم يقوم، فلايزال يصلّي في جوف الليل حتى يطلع

الفجر، فلستُ أدري متى يقول الغلام: إن الفجر قد طلع! إذْ قد وثبَ هو لصلاة الفجر، فهذا دَأْبُهُ منذ حُوِّلَ إليَّ[١].

وكان هارون يأتي إلى حبس الإمام يتفقَّدُ أمْرَهُ لئلاّ تدخل الرأفة والرحمة قلب السجَّان وجلاوزته فيوسَّع عليه.

فجاء ذات يوم وصعد السطح ليُشرف منه على الإمام عليه السّلام.

فقال هارون للربيع [وكأنه متجاهلٌ]: ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع؟

قال الربيع: ماذاك بثوبٍ، وإنما هو موسى بن جعفر، له كل يومٍ سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال.

فقال هارون: أما إنّ هذا من رُهبان بني هاشم.

فقال الربيع: فمالكَ، فقد ضيّقتَ عليه في الحبس؟

فأجاب هارون قائلاً: هيهات!! لابُدَّ من ذلك!!![٢]

ومكث الإمام عليه السّلام في سجن الربيع مدّة طويلة، وأمره هارون بقتل الإمام عليه السّلام فلم يستجب له.

---

(١) لاحظ: عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج١ ح١٠ باب ٨ / ١٠٦، عنه بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢١٠ ح٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج١ ح١٤ باب ٧ / ٩٥، عنه بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٢٠ ح٢٤.

فحَوَّلَهُ إلى سجن الفضل بن يحيى، وهو ـ أيضاً ـ لم يمتثل أمر هارون بسفك دم الإمام عليه السّلام.

فلم يجدْ هارون إلاّ أن يُسلّمه إلى السندي بن شاهَك. وأمرهُ أنْ يقيِّدَهُ بثلاثة قيود من الحديد وزنها ثلاثين رطلاً[1].

والرِّطل بحسب ما هو مذكور في بيانات المعصومين عليهم السّلام في كتاب الطهارة وفي كتاب الزكاة يختلف عن الرطل الذي كان سائداً عند العرب وعامة الناس.

فنصاب الغلاّت في كتاب الزكاة الذي هو ٢٧٠٠ رطل عراقي = ٨٤٧ كليوجراماً.

فالرطل العراقي = ٣١٤ جراماً = ١٣٠ درهماً.

وعليه فإن الثلاثين رطلاً = ٤٢ و٩ كليوجراماً.

بينما الرطل عند العرب هو اثنتا عشرة أوقية بأواقي العرب والأوقيّة أربعون درهماً، فذلك أربعمائة وثمانون درهماً.

فالرطل عندهم = ٤٨٠ درهماً = ١٥٩ و١ كيلوجراماً.

فتكون الثلاثون رطلاً = ٣٥ كيلوجراماً تقريباً.

---

(١) الهداية الكبرى: ٢٦٥، ومشارق أنوار اليقين: ١٧٢، وإثبات الهدى: ج٣/١٩٩ ح٩١.

ولعلّ المراد من الرطل هنا ليس هو الوزن، وإنما ذلك المكيل، فكل تسعة أرطال كانت صاعاً، وعليه فإن الثلاثين رطلاً تزيد عن ملأ ثلاثة أصوع.

ويمتلئ كل صاع بثلاثة كيلوجرامات من الحنطة.

ولو مُلئت رملاً لزاد وزن ما في الصاع كثيراً.

فإذا كان هذا الحجم من المكيل مملوءاً بالحديد المصهور لزاد الوزن بشكلٍ كبير.

وعلى كل حال، فإن إمامنا عليه السّلام قد عُذِّب في سجون هارون ـ التي كان آخرها سجن السندي بن شاهك ـ أيّما تعذيب وأثّرت في جسمه القيود والأغلال.

ولقد نَقَل السيد ابن طاووس زيارة جاء فيها:

«.. والمعذَّب في قعر السجون، وظُلَم المطامير، ذي الساق المرضوض بحلق القيود..».

يقول الشيخ الأميني في الغدير:

«نَصْبُ السندي بن شاهَك الرَّمْلي[1] وعداؤُه لأهل البيت الطّاهر، وضغطه واضطهاده الإمام موسى بن جعفر صلوات الله عليه

---

(١) الرَّمْلي: نسبة إلى الرَّملة من أرباض فلسطين / راجع الغدير.

في سجن هارون، مما سارت به الرُّكبان، وسُوِّدَت به صحيفة تاريخه»[١].

ولابدّ أنّ الركبان قد أوصلوا تلك الأخبار الى المدينة، وبالتالي تصل الى أسماع السيدة المعصومة عليها السّلام، ممّآ يُشكِّل فصلاً كبيراً من معاناتها وصبرها على الشدائد.

(١) الغدير: ج٤ / ١٥.

السجن الأخير

بغداد

سجن دار المسيَّب

السجّان: السِّندي بن شاهَك

ابن السكّيت وموقفه تجاه الإمام عليه السّلام

ابن السِّكّيت[1] الذي سَجَّل موقفاً فريداً تجاه ولايته لأمير المؤمنين والحسنين عليهم السّلام حينما سأله المتوكِّل:

---

(١) هو أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق، ويُعرف بابن السِّكّيت.

والسِّكّيت لقب أبيه إسحاق، لأنه كان كثير السكوت وطويل الصمت، وكان أبوه نحوياً من أصحاب الكسائي.

وكان ابن السّكّيت من أعلم الناس باللغة والشعر والنحو والأدب، وحامل راية العلوم العربية، ومن الرجال الثقات وأفاضل الإمامية، وكان ثقةً لدى علماء الرجال وأرباب السِّيَر، وكان عالماً بالقرآن، ونحو الكوفيين.

راجع الخلاصة: رقم الترجمة (١١١١)، ص٢٩٩.

ووفيات الأعيان: ج٦ / ٣٩٥ رقم ٨٢٧

وأعيان الشيعة: ج ١٠ / ٣٠٥.

أيّما أحبّ إليك؟ إبناي هذان ـ يعني المعتزّ والمؤيَّد ـ أم الحسن والحسين؟

فقال ابن السكّيت: والله إنّ قنبراً خادم علي بن أبي طالب خيرٌ منك ومن ابنيْك.

فقال المتوكّل لجلاوزته: سلُّوا لسانه من قفاه!

ففعلوا فمات سعيداً.

ها هو ذا يسجِّل موقفاً آخر مشرِّفاً قبل موقفه مع المتوكّل:

يقول الراوي ـ أبو الأزهر ناصح بن عليّة البرجمي ـ:

جمعني وابن السكيت مسجدٌ بإزاء دار السندي بن شاهك، فتفاوضنا في اللغة العربية، ومعنا رجلٌ لانعرفه.

فقال ابن السِّكيت ـ بلا أي خوف من أن تصل كلماته الى السندي والحرّاس ـ يا هؤلاء! أنتم إلى إقامة دينكم أحوج منكم إلى إقامة ألسنتكم...

إنّ إمامَكم، ليس بينكم وبينه غير هذا الجدار.

قلنا: تعني هذا المحبوس موسى؟

قال: نعم.

قلنا: سَتَرْنا عليك، فَقُمْ مِنْ عندنا، خيفةً أنْ يراكَ أحدٌ جَليسَنا فَنُؤْخَذ بك...

قال ابن السّكّيت: والله لايفعلون ذلك أبداً! والله ما قلتُ لكم إلاّ بأمرِه، وإنه ليرانا ويسمع كلامنا، ولو شاء أن يكون ثالثنا لكان[1].

قلنا: فقد شئْنا فادْعُهُ إلينا.

فإذا قد أَقْبَلَ رجلٌ من باب المسجد داخلاً، كادت لرؤيته العقول أنْ تذهل، فَعلِمْنا أنه موسى بن جعفر عليه السّلام.

ثم قال لهم عليه السّلام: أنا هذا الرّجل.

ثم تركنا، وخَرجَ من المسجد مبادراً. فسمعنا وجيباً[2] شديداً، وإذا السندي بن شاهَك يعدو داخلاً إلى المسجد، معه جماعة.

فقلنا: كان معنا رجلٌ فدعانا الى كذا وكذا، ودخَلَ هذا الرجل المُصَلَّى، وخرجَ ولم نَرَهُ.

فأمرَ بنا فأمْسكنا.

ثم تقدَّمَ إلى موسى بن جعفر وهو قائمٌ في المحراب، فَأَتاهُ من قِبَلِ وجهه ونحن نسمع، فقال السِّنْدي:

---

(١) لأنه حجة الله على خلقه، فيسمع ذلك كما سمع سليمان عليه السّلام كلام النملة: <قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ≅ فتبسّم ضاحكاً من قولها...> النمل ١٨ ـ ١٩ فهو يعلم ذلك بإذن الله، وليس في ذلك أي شائبة غُلوّ، فلايوسوس لك الشيطان وأتباعه ممن نفخ في روحهم الشيطان فلايرون المعروف إلاّ منكراً والمنكر إلاّ معروفاً.

(٢) الوجيب: صوت الخيول والدواب.

ياوَيْحكْ كَمْ تَخْرُج بسحركَ هذا وحيلتك من وراء الأبواب والأغلاق والأقفال، وأرُدُّكَ فلو كُنْتَ هَرَبْتَ كانَ أحَبَّ إليَّ من وقوفك هاهنا!! أتريدُ ياموسى أنْ يقتلني الخليفة؟!

فقال موسى بن جعفر ـ ونحن نسمعُ كلامه ـ:

كيفَ أهربُ ولله في أيديكم مَوْقتٌ لي يسوقُ إليها أقداره، وكرامتي على أيديكم ـ أي الشهادة ـ[1]...

فأخذ السندي بيده ومشى.

ثم قال للقوم: دعوا هذيْن ـ أي ابن السِّكّيت وأبو الأزهر ـ، واخْرُجُوا إلى الطريق، فامْنَعوا أحداً يمرّ من الناس، حتى أتمّ[2] أنا وهذا إلى الدار ـ أي إلى السجن في الدار ـ[3].

≅ ≅ ≅

كانت هذه صورة مصغَّرة للأجواء خارج السجن، وتأثيرات حَبْس الإمام عليه السّلام على تلك الأجواء.

---

(١) لعله يخطر ببال البعض أن الامام عليه السّلام قادرٌ على المعجزة في كل وقت، فلماذا لايُعْملها ويتخلّص من سجنه؟

وقد أجاب الامام عليه السّلام في كلامه للسندي بن شاهَك عن ذلك، ولو أرَدتَ التفصيل، فراجع فصل: معجزاتها، من هذا الكتاب.

(٢) أتمّ: أي أمضي.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٣٧ ح٤٦ عن المناقب لابن شهرآشوب.

جارية هارون الجميلة ... تنقلب إلى عابدة

كان هارون يفكّر في كل مايزعج الإمام في حبسه، وينغّص عليه عبادته.

فأرسلَ إليه جارية خصيفة[١]، لها جمال ووضاءة، لتخدمهُ في السجن.

فقال الأمام عليه السّلام لمن أرسل بالجارية:

قُل له ـ أي لهارون ـ «بل أنتم بهديتكم تفرحون»[٢]، لاحاجة لي في هذه ولا في أمثالها.

فلما رجعَ إلى هارون، استطار غضباً، وقال:

إرجعْ إليه وقُل له: ليس برضاكَ حَبَسْناك، ولابرضاكَ أخذناك. واتْرُك الجارية عنده وانْصَرِف.

فمضى، ورجع.

ثم قام هارون عن مجلسه، وأرسلَ الخادم إليه ليستفحص عن حال الجارية.

---

(١) الخصوف من النساء: التي تلد في التاسع ولاتدخل في العاشر، كما في لسان العرب: ج٩/٧٣. ولعلّ معنى خصيفة: أي ذات لونيْن، كما لو كانت جارية بيضاء تميل إلى السمرة، كما في بعض كتب اللغة. ولعلّها حصيفة، أي ذكيّة.

(٢) سورة النمل: الآية ٣٦.

فرآها ساجدة لربّها، لاترفع رأسها وتقول:

قدُّوسٌ.. سبحانك سبحانك.

فقال هارون لمّا سمعَ بذلك: سَحَرَها واللهِ موسى بن جعفر بسِحره[١].

(١) بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٣٨ ح٤٦.

مؤامرات الرَّشيد لقتل الإمام عليه السّلام

رُوي أنّ الرشيد ـ لعنه الله ـ لما أرادَ أنْ يقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام، عَرَضَ قَتْلَهُ على سائر جنده وفرسانه، فلم يَقْبَلْهُ أحدٌ منهم.

فأرسَلَ إلى عمّاله وولاته في بلاد الافرنج، فقال لهم:

الْتَمِسُوا لي قوماً لايعرفون اللهَ ورسولَه، فإنّي أريد أنْ أستعين بهم على أمرٍ.

فأرسلوا إليه قوماً لايعرفون من الإسلام ولا من لغة العرب شيئاً. وكانوا خمسين رجلاً.

فلمّا دخلوا إليه، أكْرمَهم وسألهم: مَنْ ربّكم؟ ومَنْ نبيّكم؟ فقالوا: لانعرف لنا ربّاً ولانبيّاً أبداً!!

فَأَدْخَلهم البيت الذي سُجن فيه الإمام عليه السّلام ليقتلوه، والرَّشيد يَنْظُرُ إليهم من رَوْزَنَة[1] البيت.

---

(١) رَوْزَنَة: أي الكُوَّة والفتحة والثُّقب في الجدار أو الباب.

فلمّا رَأوا الإمام عليه السّلام، رَموا أسلحتَهم، وارْتَعَدتْ فرائصهم وخَرُّوا سُجَّداً، يبكون رحمةً له.

فَجَعَلَ الإمام يمرُّ يَدَهُ على رؤوسهم، ويخاطبهم بلغتهم، وهم يبكون.

فلمّا رأى الرشيد [ذلك] خَشي الفتنة، وصاحَ بوزيره: أَخْرِجْهم.

فخَرَجوا وهم يمشون القهقرى إجلالاً للإمام عليه السّلام، وركبوا خيولهم ومَضوا نحو بلادهم من غير استيذان[1].

جنود من رطب.. ولكن

بعد أنْ استعصى على هارون قتل الإمام عليه السّلام، ولم يستجب له عمالُهُ وجنودُهُ وأقربُ المقربين إليه في ذلك، وبعد أنْ انقطعت به السُّبل، وأعْيَتْهُ الحيلة، فَكَّر في أن يقتله بنفسه في سمّ يدسّه إليه.

فَدَعا برُطَب، فأكَلَ منه، ثم أخذَ صينيَّةً فوضَعَ فيها عشرين رُطْبَةً، وأخَذَ سِلْكاً فَعَرَكَهُ في السّمّ، وأدْخَلَهُ في سمّ الخياط، وأخَذَ رُطْبَةً من ذلك الرُّطَب، فَأقْبَلَ يردِّدُ إليها ذلك السّم بذلك الخيط،

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٤٩.

حتى علم أنّه قد حَصَلَ السّمّ فيها، فاستكثَرَ من السّمّ، ثم رَدَّ الرطبة المسمومة إلى مافي الصينيّة، وقال لخادمٍ له:

إحْملْ هذه الصينيّة إلى موسى بن جعفر، وقُلْ له:

إنّ أمير المؤمنين أكَلَ من هذا الرُّطَب، وهو يقسم عليك بحقّه لمّا أكلتها عن آخر رُطْبة، فإنّه اختارها بيده!!

ثم توجَّهَ إلى الخادم، وقال:

لاتتركه يُبْقي منها شيئاً، ولايُطْعِمْ منها أحداً!!

فأتاهُ بها الخادم، وأبْلَغَه رسالة هارون.

فقال الإمام عليه السّلام للخادم:

إئتني بِخلال!

فناولَهُ الخادم خلالاً، وقام بإزائه، وهو عليه السّلام يأكل من الرُّطَب.

وكانت للرشيد كلبة تعزُّ عليه، فجَذَبت نفسها وخرجت تجرُّ سلاسلها من ذهبٍ وجوهر حتى حاذَتْ الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام، فبادَرَ بالخلال إلى الرُّطبة المسمومة ورَمَى بها إلى الكلبة، فأكلتها، فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض، وَعَوَت، وتَهَرَّت قطعةً قطعة، واستوفى عليه السلام باقي الرُّطب.

وحَمَلَ الغلام الصينيَّة حتى صار بها إلى الرشيد.

وقال له: هل أكل الرُّطَب عن آخره؟

قال الغلام: نعم.

قال هارون: فكيف رأيته؟

قال الغلام: ما أنكرتُ منه شيئاً.

ثم وَرَدَ عليه خبر الكلبة وأنّها قد تهرَّت وماتت.

فقلق الرشيد لذلك قلقاً شديداً، واستعظمه، ووقَفَ على الكلبة، فوَجَدَها متهرِّئة بالسّمّ.

فأحضر الخادم، ودَعا بسيف ونطْع.

وقال له: لتصدّقني عن خبر الرُّطب أو لأقتلنّك!!

فقال: يا أمير المؤمنين! إنّي حملتُ الرُّطب إلى موسى بن جعفر، وأبْلَغْتُهُ سلامَكَ، وقُمْتُ بإزائه، فطَلَبَ منّي خلالاً، فدفعتُهُ إليه، فأقْبَلَ يَغْرُزُ في الرُّطْبة بعد الرُّطبة ويأكلها، حتّى مرَّت الكلبة فَغَرزَ الخلالَ في رُطْبَةٍ من ذلك الرُّطب فرمى بها، فأكلتها الكلبة، وأكَلَ هو باقي الرُّطب، فكان ما ترى يا أمير المؤمنين!!

فقال الرشيد: ما ربحنا من موسى إلاّ أنْ أطْعَمناه جَيِّدَ الرُّطب، وضيَّعنا سمَّنا، وقَتَل كَلْبَتَنا، ما في موسى حيلة!![1]

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج١ ح٦ باب ٨ / ١٠٠، عنه البحار: ج٤٨ ح٢٦ / ٢٢٢.

وجاء موعد الكرامة: الشهادة

«كيف أهرب ولله في أيديكم موقتٌ لي يسوق إليها أقداره، وكرامتي على أيديكم...».

هذه كانت كلمات الإمام عليه السّلام لسجّانه السندي بن شاهك، وقد مرّت عليكم.

وقَرُبَ موعدُ الشهادة، فهذا السندي ـ بعد أن وضع السمّ ـ بيديْه في الرطب ـ يَدْخُلُ على الإمام عليه السّلام، ويأمرُهُ بأكل الرطب، فيأكل منها رُطبات.

فقال السندي: هل تزداد منها؟

فقال له عليه السّلام: حَسْبُكْ قد بَلَغْتَ ما يُحتاج إليه فيما أمِرْتَ به ـ أي فيما أمرت به من قتلي بالسمّ ـ.

فَخرَج السندي من عند الإمام عليه السّلام.

ثُمَّ إنّ سيدنا الإمام موسى بن جعفر عليه السّلام دعا المسيَّب، وكان موكّلاً به، وذلك قبل وفاته بثلاثة أيام.

فقال عليه السّلام له: إعلم [يامسيَّب] أنّي راحلٌ إلى الله عزّوجلّ في ثالث هذا اليوم.

قال المسيَّب: فبكيت.

فقال عليه السّلام لي: لاتَبْكِ يامسيَّبْ فإنّ عَلِيّاً إبني هو إمامُكَ ومولاكَ بعدي، فاسْتَمْسِك بولايته، فإنّكَ لاتَضِلُّ مالَزِمْتَهُ.

فقال المسيَّب: الحمد لله.

وقُبَيْلَ وفاة الإمام عليه السّلام أحْضَرَ السِّنْدي بن شاهَك القضاة، وجَمعَ ثمانين رجلاً منَ الوجوه، ممّن يُنْسَب إلى الخَيْر، فأدْخَلَهم على الإمام عليه السّلام.

فقالَ لهم السِّنْدي: يا هؤلاء! انظروا إلى هذا الرجل!!

هل حَدَثَ به حَدَثٌ؟ فإنّ النّاسَ يَزْعمون أنّه قد فُعِلَ مكروهٌ به، ويكثرون في ذلك، وهذا منزلُهُ وفرشهُ مُوَسَّعٌ عليه، غير مُضَيَّقٍ، ولم يُرِدْ به أميرُ المؤمنين سوءاً، وإنّما ينتظرهُ أنْ يقدم فيناظره، وها هو ذا صحيحٌ موسَّعٌ عليه في جميع أمره، فاسْألوه!!

وكانَ مَنْ دَخَلَ على الإمام عليه السّلام ليس لهم هَمٌّ إلاّ النَّظَرَ إليه، وإلى فضله وسَمْته...

فالْتَفَتَ الإمام عليه السّلام إليهم، وقال:

أمّا ما ذَكَرَ منَ التَّوْسعَة وما أشْبَه ذلك فهو على ما ذَكَر، غير أنّي أُخبركم أيها النَّفَر: اشْهَدوا على أنّي مقتولٌ بالسمّ منذ ثلاثة أيّام، اشْهَدوا أنّي صحيح الظّاهر لكنّي مسموم، وسَأحْمَرُّ في آخر هذا اليوم حُمْرَةً شديدة مُنكرة، وأصْفَرُّ غَداً صُفْرةً شديدة، وأبْيَضُّ بعد غد، وأمضي إلى رحمة الله ورضوانه.

وإذا بالسِّنْدي بن شاهَك يَرْتَعد ويَضْطرب مثل السَّعْفَة!!

وفي ليلة اليوم الثالث مِنْ أكْل الإمام عليه السّلام للرُّطَب المسموم، دعا المسَيَّب، فقال له:

إنّي على ما عرَّفْتُكَ مِنَ الرَّحيل إلى الله عَزَّوجلّ، فإذا دَعَوْتُ بشربةٍ من ماءٍ فَشَرِبْتُها، ورأيتني قد انتفختُ وارتفَعَ بطني، واصفرَّ لوني، واحمرَّ واخضرَّ، وتلوَّنَ ألواناً، فَخبِّر الطاغية [هارون] بوفاتي. فإذا رَأَيْتَ بي هذا الحَدَث فإيّاكَ أنْ تُظهِر عليه أحداً، ولا على مَنْ عندي إلاّ بعد وفاتي.

ودخلَ عليه السِّنْدي في تلك الأيّام وقال له:

إئْذَن لي أنْ أُكَفِّنَك!!!

فقال له عليه السّلام: إنَّا أهلُ بيتٍ، مهورُ نسائنا، وحَجُّ صَرورَتِنا، وأكفان موتانا، مِن طاهر أموالنا، وعندي كفن...

وكان المسَيَّب بن زهير ينتظر العلامات التي عَرَّفَهُ بها الإمام عليه السّلام.

قال المسيَّب: فلم أزَلْ أرْقُبُ وَعْدَهُ، حتى دعا عليه السّلام بالشربة، فَشَربها. ثم دعاني فقال لي:

يامسيَّب! إنّ هذا الرِّجْس ـ السِّنْدي بن شاهَك ـ سيزعم أنَّهُ يتولَّى غسلي، ودفني، وهيهات هيهات أنْ يكون ذلك أبداً، فإذا حُمِلْتُ إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش، فَأَلْحِدوني بها،

ولاترفَعوا قُبْري فوق أربع أصابع مُفَرَّجات، ولاتأخذوا مِنْ تُربَتي شيئاً لِتَتَبَرَّكوا به، فإنّ كُلّ تربة لنا محرَّمة إلاّ تربة جَدِّي الحسيْن بن علي عليه السّلام، فإنّ الله عزّوجلّ جعلها شفاءً لشيعتنا وأوليائنا.

قال المسيَّب: ثُمَّ رأيتُ شَخْصاً أشبه الأشخاص به عليه السّلام جالساً إلى جنبه، وكان عَهْدي بِسيِّدي الرضا عليه السّلام وهو غلام... فلَمْ أزل صابراً حتى مضى الإمام عليه السّلام وارتحل عن هذه الدنيا، وغابَ ذلك الشخص.

ثُمَّ أنْهيتُ الخَبَر إلى الرشيد، فوافى السِّنْدي بن شاهَك، فوالله لقد رأيتهم بِعَيْني وهم يظنّون أنَّهم يُغسِّلونَهُ فلاتَصل أيديهم إليه، ويظنّونَ أنّهم يُحَنّطونَهُ ويُكفّنونَهُ وأراهم لايصنعون به شيئاً، ورَأيْتُ ذلكَ الشَّخْص يَتولَّى غَسْلَهُ وتحنيطَهُ وتكفينَهُ وهو يُظْهِرُ المعاونَةَ لهم، وهم لايَعْرِفونَهُ.

فلمَّا فَرغ من أمْره، قال لي ذلك الشخص:

يامُسَيَّب! مهما شككْتَ فيه فلاتَشُكَّنَ فيَّ، فإنّي إمامُكَ ومولاكَ وحُجَّةُ الله عليكَ بعد أبي.

يامُسَيَّبْ مَثلي مَثل يوسف الصِّديق عليه السّلام، ومَثلُهم مَثل إخوتِه حين دَخلوا عليه فَعَرفَهُم وهم له مُنْكرون.

ولمّا تُوفّي الإمام عليه السّلام، جَمَعَ هارون الرشيد شيوخ الطالبيّة، وبني العبّاس، وسائر أهل المملكة والحكّام، وأحْضَرَ الجثمانَ الشّريف للإمام عليه السّلام، فقال:

هذا موسى بن جعفر قد ماتَ حتف أنفه، وما كانَ بَيْني وبينَهُ ما أسْتَغفرُ اللهَ منه في أمره ـ يعني في قتله ـ فانظروا إليه!

يريدُ بذلك إخفاءَ جُرْمِه الشّنيع، وتَبْرِئة ساحته من قتل الإمام عليه السّلام. وأنّى له ذلك، وهيهات هيهات... فأين هارون الذي لم يُخلّفْ سوى لَعَنات الأجيال عبر العصور بما اقترف في حقّ حجة الله على العالمين، من هَتْكٍ، وظُلْمٍ، واضطهاد...[1]؟

---

(١) راجع المصادر التالية:

١ـ عيون المعجزات: ٩٤ ـ ٩٨.

٢ـ عيون أخبار الرِّضا عليه السّلام: ج١ ح٢ باب ٨ / ٩٦.

عيون أخبار الرِّضا عليه السّلام: ج١ ح٦ باب ٨ / ١٠٠.

عيون أخبار الرِّضا عليه السّلام: ج١ ح٨ باب ٨ / ١٠٥.

٣ـ الإرشاد: ج٢ / ٢٤٣.

٤ـ بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٤٧ ح٥٦.

بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢١٢ ح١٠.

بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٢٨ ح٣١.

بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٢٤ ح٢٦.

التجاوز على النعش الشريف

اليوم الخامس والعشرون[١]

شهر رجب

سنة ١٨٣ هـ

بغداد

على الجسر، وُضِعَت جنازة الإمام الكاظم عليه السّلام...

المنادي ينادي: هذا إمام الرَّافضة، فاعرفوه!!

ونادى جماعةٌ آخرون من أتباع الظَّلَمة بنداءٍ تقشَعِرُّ منه النّفوس الطَّيبة.

وعندما رأى سليمان بن أبي جعفر المنصور ـ ابن عم هارون ـ ذلك، خَرَجَ من قصره، وأَمَر غلمانَه بأخذ نَعْش الإمام عليه السّلام مِنْ أيدي الجلاوزة، فاشْتبكوا معهم في عراكٍ وضَرْب، ثم أخذوا

---

(١) مصباح المتهجِّد: ٨١٢

النَّعْشَ الشّريف من أيديهم، ووضعوهُ على مُفْتَرَق أربع طرق، وأمَرَ سليمانُ المناديَ بأن ينادي:

ألاَ ومَنْ أرادَ أنْ يَرى الطَّيِّبَ بنَ الطَّيِّب موسى بن جعفر عليهما السّلام، فليخرج...

وحَضَرَ الخَلْق.

ودُفِنَ الإمام عليه السّلام في مقابر بني هاشم ـ مقابر قريش ـ حيث مرقده الآن في بغداد، رزقَنا الله تعالى وإيّاكم زيارتَه.

وهكذا انْطَوَت حياة ذلك الإمام العظيم بعد أن قاسى ما قاسى من هارون وبني العباس، وعانى ما عانى مِن ظلمٍ، واضطهادٍ، ونَقْلٍ مِنْ سجْنٍ إلى سِجْن، ومِنْ سَجَّانٍ إلى آخر حتى قَبَضَهُ الله تعالى إليه[1].

وكان ذلك ممّا كابدَتْهُ وعانَتْهُ السَّيِّدة المعصومة عليها السّلام في مُقْتَبَل حياتها، فقد حُرِمَتْ عَطْفَ ورعاية أبيها وهيَ بَعْدُ في سِنٍّ مُبَكِّرة، فصارت سلام الله عليها يتيمة الأب.

---

(١) راجع عيون أخبار الرضا: ج١ ح٥ باب ٨ / ٩٩، والإرشاد: ج٢ / ٢٤٢.

فتنة الواقفيّة.. وولادة المولود المبارك

السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام تَرى أخيها الإمام الرضا عليه السّلام قد تجاوز الخامسة والأربعين من عمره الشريف ولم يُرْزَق ولداً بَعْدُ يَحملُ أعباء الإمامة بعده...

ولم يُعْهَد أنْ لايُوْلَد للإنسان إلى هذا السِّن.

وهذا الحسيْن بن قياما ـ وهو أحد الواقفيّة الذين وقفوا على إمامة الإمام الكاظم عليه السّلام، وأنكروا إمامة الإمام الرِّضا عليه السّلام ـ قد وَجَدَ ذلك مُبرِّراً لينالَ من إمامة الإمام الرِّضا عليه السّلام، فقال له:

هل تخلو الأرض من أن يكون فيها إمام؟

فقال عليه السّلام: لا.

قال ابن قياما: قَدْ عَلمتُ أنَّكَ لَسْتَ بإمام!!

كيف تكون إماماً وليس لك ولد؟!

فأجابه الإمام عليه السّلام ـ شبْه المغْضَب ـ:

وما علْمُكَ أنَّه لايكون لي وَلَد؟

والله، لاتمضي الأيام والليالي حتى يرزقني اللهُ ولداً ذَكَراً يُفرِّقُ بين الحقّ والباطل.

والله لَيجعلنّ اللهُ منّي ما يُثَبِّتُ به الحق وأهلَه، ويَمحَق به الباطل وأهله[١].

وَبَعْدَ سَنَة[٢]

أي في سنة ١٩٥ هـ

١٠ شهر رجب[٣]

في المدينة المنوّرة

ولادة الإمام الميمون المبارك

الإمامة، وبيت الإمام الرضا عليه السّلام بما فيهم السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام، ينتظرون ولادة ذلك الإمام الميمون المبارك...

---

(١) راجع ما رُوي في الكافي: ج١ / ٣٢٠ ح٤، وح٧ / ٣٢١، وفي الإرشاد: ج٢ / ٢٧٧، وفي بحار الأنوار: ج٥٠ ح١٠ / ٢٢، ح١٢ / ٢٣.

(٢) راجع المصادر السابقة.

(٣) وهو القول المشهور والمعمول به. قال الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد / ٨٠٤: «قال ابن عيّاش: وخرجَ الى أهلي على يد الشيخ الكبير أبي القاسم [الحسين بن روح] رضي الله عنه، في مقامه عندهم هذا الدعاء في أيام رجب: اللهم، إني أسألك بالمولوديْن في رجب محمد بن علي الثاني وابنه علي بن محمد المنتَجَب...».

وقال الشيخ الطوسي بعد الدعاء: «وذكَرَ ابن عياش أنه كان يوم العاشر مولد أبي جعفر الثاني عليه السلام».

فهذه السيدة حكيمة ـ أخت السيدة المعصومة ـ تَأْتَمِر بأوامر أخيها الإمام الرضا عليه السّلام لتحضر الولادة..

قالت السيدة حكيمة: لمّا حَضَرَتْ ولادةُ الخيزران[١] ـ أمُّ أبي جعفر [الجواد] عليه السّلام ـ دعاني الرضا عليه السّلام فقال:

يا حكيمة، إحْضَري ولادتها، وادْخُلي وإيّاها والقابلة بيتاً ـ [أي غرفةً] ـ.

وَوَضَعَ لنا مصباحاً وأَغْلَقَ البابَ علينا.

فلمّا أخَذَها الطَّلْق، طُفِيءَ المصباح... فاغْتَمَمْتُ بِطَفْئ المصباح.

فَبَيْنا نحن كذلك، إذْ بَدَرَ أبو جعفر عليه السّلام في الطَّسْت ... ، يَسْطُعُ نورُهُ حتى أضاء البيت، فأبْصَرْناهُ. فأخذْتُهُ فَوضَعْتُهُ في حِجْري...

فجاءَ الرِّضا عليه السّلام، وفَتَحَ الباب وقد فرغنا من أمرِه، فأَخَذَهُ ووضَعَهُ في المهد[٢].

وكان عليه السّلام يناغيه في مهده طول ليله[٣].

---

(١) وتُسمّى أيضاً ريحانة، وسبيكة، وغير ذلك.

(٢) رواه في المناقب، عنه بحار الأنوار: ج ٥٠ / ١٠ ح ١٠.

(٣) رواه في إثبات الوصية: ١٨٣ ورواه في عيون المعجزات: ١٠٩، عنه بحار الأنوار: ج ٥٠ / ١٥ ح ١٩.

وبَشَّرَ الإمام الرضا عليه السّلام أصحابَهُ بولادة ولده أبي جعفر الجواد قائلاً لهم:

«قُد وُلِدَ شَبيهُ موسى بن عمران عليه السّلام فالق البحار، وشَبيهُ عيسى بن مريم عليه السّلام. قُدِّسَتْ أُمٌّ وَلَدَتْهُ، فَلَقد خُلِقَت طاهرة مطهّرة»[١].

وسَرَت الفرحة العارمة إلى بيوتات الشيعة في المدينة المنوّرة، وفي كل مكان وصقْعٍ يوجد فيه شيعي وموالي.

وكانت ولادة الإمام الجواد عليه السّلام أَعْظَمَ بركةً على الشيعة من أي مولودٍ آخر.

قال الراوي: كنتُ عند أبي الحسن [الرضا] عليه السّلام، فجيءَ بابنه أبي جعفر عليه السّلام وهو صغير، فقال:

هذا المولود الذي لم يولَد في الإسلام مثله مولود أعظم بركةً على شيعتنا منه»[٢].

حيث إنّ هذه الولادة الميمونة كانت ضربة قاصمة للواقفيّة، وإيذاناً بانقراضهم عن صفحة الوجود.

وقد عاصَرَتْ سيدتُنا ومولاتُنا فاطمة المعصومة عليها السّلام محنة وفتنة الواقفيّة التي كانت خطراً يُهدِّد الشيعة والتشيّع، ولكن

---

(١) إثبات الوصية: ١٨٣، وعيون المعجزات: ١٠٨، عنه بحار الأنوار: ج ٥٠ / ١٥ ح١٩.

(٢) لاحظ مصادر هذا الحديث الشريف في أخر هذا الفصل.

لقرابتها من الإمام الرضا عليه السّلام، ووجودها في بيت الإمامة، ولكمالاتها النّفسيّة العاليّة، عاشت معاناة أخيها من الواقفيّة أكثر من غيرها.

وهكذا كانت ولادة الإمام الجواد عليه السّلام نوراً ينشقُّ في وسط الظّلام..

وفرحةً عارمةً تتوسَّط مصائب كبرى، وأحزاناً عظمى التَفَّت حول السيدة المعصومة عليها السّلام التي صارت عمّةً بعد انتظارٍ طويل.

وبما أنّ حياة السيّدة المعصومة عليها السّلام كانت مزدانةً بولادة الإمام الجواد عليه السّلام فَلْنُسَلِّط شيئاً من الأضواء ـ عَبر بيانات الأئمة الطاهرين عليهم السّلام ـ على هذه الولادة الميمونة المباركة:

الإمام الجواد عليه السلام أعظم مولود بركة على الشيعة... كيف؟

توجد بين أيدينا ثلاث روايات في هذا المقام:

الأولى: يرويها الكليني عن عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن يحيى الصنعاني قال:

«دَخَلْتُ على أبي الحسن الرضا عليه السّلام وهو بمكة، وهو يُقَشِّر موزاً ويُطعِم أبا جعفر [الجواد] عليه السّلام.

فقلتُ له: جُعلتُ فداك، هُو المولودُ المبارك؟

قال: نعم، يا يحيى هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثلُهُ مولودٌ أعظم بركةً على شيعتنا منه»[١].

الثانية: الكليني عن أحمد بن مهران عن محمد بن علي، عن أبي يحيى الصنعاني قال:

«كنتُ عند أبي الحسن الرضا عليه السّلام، فجيء بابنه أبي جعفر عليه السّلام وهو صغير. فقال: هذا المولود الذي لم يولد مولودٌ أعظم بركةً على شيعتنا منه»[٢].

الثالثة: في الخرائج والجرائح: قال ابن أسباط، وعبّاد بن إسماعيل: «إنّا لَعِنْدَ الرِّضا عليه السّلام بمنى، إذْ جيء بأبي جعفرٍ عليه السّلام، قلنا: هذا المولود المبارك؟

قال: نعم، هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركةً منه»[٣].

والبحث في هذه الأحاديث الشريفة في مقامين:

المقام الأول: في السند.

---

(١) الكافي: ج٦ / ٣٦٠ ح٣، عنه في بحار الأنوار: ج٥٠ / ٣٥ ح٢٤.

(٢) الكافي: ج١ / ٣٢١ ح٩، ونقلها في الإرشاد: ج٢ / ٢٧٩، ولكن في السند أحمد بن محمد بدلاً عن أحمد بن مهران، وهكذا في إعلام الورى: ج٢ / ٩٥.

(٣) الخرائج والجرائح: ج١ / ٣٨٤ ح١٤، عنه في بحار الأنوار: ج٥٠ / ٢٠ ح٦.

المقام الثاني: في الدلالة والمعنى، وكيف يكون الإمام الجواد عليه السّلام أعظم بركةً؟

ونُقدِّم الكلام والبحث في المقام الثاني:

لاشك ولاريب ليس المراد عِظم البركة بقولٍ مطلق، فالخمسة أصحاب الكساء ـ مثلاً ـ أعظم بركةً من الإمام الجواد عليه السّلام.

ولايخفى أنّ النبي والوصي صلّى الله عليهما وآلهما وسلم خارجان عن منطوق الرواية بقوله: «لم يولد في الإسلام»، فالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم هو الذي جاء بدين الإسلام وبُعث به وعمره خمس وعشرون سنة. ووُلد أمير المؤمنين عليه السّلام قبل البعثة الشريفة.

ولكن السيدة الزهراء والحسنين عليهم السّلام، وُلدوا بعد المبعث الشريف. فهل الإمام الجواد عليه السّلام أعظم بركةً منهم؟!

لعلّ الجواب يظهر جليّاً بملاحظة مايأتي في هذه القضية الخارجية:

إن المشتق حقيقة في المتلبِّس بالمبدأ، فهو عليه السّلام أعظم بركةً حين كونه مولوداً ومن حيث الولادة.

والأصل الأوّلي في العناوين: أن حدوث الموضوع دخيلٌ في حدوث الحكم، وبقاء الموضوع دخيلٌ في بقاء الحكم.

فَحدوث عِظَم البركة يكون حين الولادة وبسبب هذه الولادة الميمونة، لا من جميع الجهات والحيثيات.

فأصحاب الكساء عليهم السّلام أعظم بركةً بقولٍ مطلق من الإمام الجواد عليه السّلام، وإنْ اختصّ الإمام الجواد عليه السّلام ببركةٍ خاصة في يوم ولادته، لانقطاع الواقفيّة وبطلانها بذلك. كاختصاص الإمام الحسين عليه السّلام بشهادته وأنه «لايوم كيومك يا أبا عبدالله»، واختصاص الإستشفاء بتربته دون تربة بقية المعصومين عليهم السّلام.

ويمكن أنْ يُقال أيضاً:

إنّ أصحاب الكساء أعظم بركةً حدوثاً، وأنّ الإمام الجواد عليه السّلام أعظم بركةً بقاءً، لاستمرار الإمامة به وعدم انقطاعها، ولأنّ الحجة المهدي عليه السّلام يخرج من صلبه.

ثم إنّ كل الفِرَق التي انحرفت عن خطّ الإمامة، قد انحرفت في ظرف وجود الإمام التّالي.

في حين أنّ الواقفية قد انحرفوا وطعنوا في إمامة الإمام الرضا عليه السّلام بسبب عدم ولادة الإمام بعده.

وهذا وإنْ كان طعناً في إمامة الرضا عليه السّلام، لكنه في نفس الوقت تشكيكٌ في الروايات المصرِّحة بأنّ الأئمة عليهم

السّلام إثنا عشر، وتكذيبٌ للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وبالتالي هدمٌ للإسلام، وأنّهم عليهم السّلام ليسوا بأئمة.

وقد انخدع في هذه الفتنة أكابر أصحاب الأئمة عليهم السّلام، مثل عبدالرحمن بن الحجاج، ورفاعة بن موسى، ويونس بن يعقوب، وجميل بن درّاج، وحماد بن عيسى، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، والحسن بن علي الوشّاء، وغيرهم[1].

فصارت ولادة الإمام الجواد عليه السّلام تكذيباً للواقفية، وإبطالاً لدعواهم، وأزاحَت الشبهات عن قلوب الشيعة، وعَمَّتْهم الفرحة الكبيرة، فكان عليه السّلام بذلك أعظمَ مولودٍ بركةً على الشيعة.

وأما البحث في السند:

فمتْنُ الحديث يكشف عن صدوره، فمن يعلم بأن هذا المولود أعظم بركةً من غيره إلاّ الإمام المعصوم عليه السّلام؟

وأما من جهة السند: فلابحث في العدَّة التي يروي عنهم الكليني ففيهم الثّقات.

وعلي بن أسباط: ثقةٌ، ولابحث فيه.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

وأما سهل بن زياد: فإنّ الكليني يروي عنه أكثر من ألفي حديث، وفي أصول الدين، في كتاب كتبه ليكون حجةً في العقائد، فهل يُعقل أن يكون ضعيفاً عند الكليني مع إكثاره الرواية عنه في أصول الدين؟

ومَنْ ضعّفه فلروايته كثيراً روايات كانت لاتتحمّلها العقول، فاتُّهِمَ بالغلو، ولكن هذه الروايات بعد التحقيق والتَّعَمق فيها عينُ الحقيقة والعُلُوّ.

وأمّا الصَّنْعاني: ففي الجزء الأول من الكافي فالرواية مروية عن يحيى الصنعاني، ولكن في الجزء السادس منه فهي مروية عن أبي يحيى الصَّنْعاني.

والرواية الثانية وإنْ اختلفت سنداً عن الأولى، لكن الظاهر سقوط كلمة «أبي» عن السند في الرواية الأولى، حيث إنّ المعنون في كل الكتب الرجالية هو أبو يحيى الصنعاني، وهو عمر بن تَوْبَة.

قال النجاشي: عمر بن توبة، أبو يحيى الصَّنعاني، في حديثه بعض الشيء يعرف منه وينكر[1].

وضعّفه ابن الغضائري والعلاّمة.

---

(١) النجاشي: ٢٨٤ رقم الترجمة ٧٥٣.

والظاهر أن منشأ التضعيف مايرويه في فضائل أهل البيت عليهم السّلام من الروايات التي كانوا يعدُّون الإعتقاد بها سابقاً من الغلوّ، كروايته في الكافي أنّ الأئمة عليهم السّلام يزدادون ليلة الجمعة[١].

ولكن الّذي يُضَعِّف الإتحاد، ويورث التّعدُّد، وجودُ رواية أخرى تنقلُ صدر الرواية الأولى فقط وفي سندها يحيى بن موسى الصنعاني[٢].

كما أن المسعودي ينقل رواية أنه: «الذي لم يولد أعظم بركةً منه على شيعتنا» ولكن عن نجم الصنَّعاني[٣].

وعلى كل حال، فإنّ الرواية لاتحتاج الى بحث سندي، فالكاشف عن صدورها، عُلُوُّ مضمونها.

---

(١) الكافي: ج١ / ٢٥٣.

(٢) الكافي: ج٦ / ٣٦٠ ح١.

(٣) إثبات الوصية: ١٨٤.

المأمون يرعب ودائع آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم:

سنة ١٩٩ هجرية
المدينة المنورة

بعض العلويّين يعلنون الخروج على حكم بني العبّاس في المدينة، وفي مكّة، وفي اليمن.

وكان محمد بن جعفر قد خَرجَ عليهم في مكّة أيّام حكومة المأمون، فأرسَلَ إليه المأمون جيشاً للقضاء عليه بقيادة الجلودي، وأمَرَهُ بضرب عنقه إنْ ظَفَر به.

ولم يقف أمْرُ المأمون عند هذا الحدّ، بل أوْعَزَ إليه أن يُغيرَ ويهجم على دور آل أبي طالب في المدينة، ويسلب ما على نسائهم من ثياب وحُلَل، ولايَدَعُ على واحدةٍ منهنّ إلاّ ثوباً واحداً.

وحاوَلَ الجلودي أن يُنفّذَ الأمر بنفسه، فهَجَمَ على دار الإمام الرِّضا عليه السّلام بخيْله، فلمَّا نَظَر إليه الإمام جَعَلَ النّساء كلّهنَّ في

بيت[١] واحد، وكانت السيدة المعصومة عليها السّلام إحداهُنّ[٢].

ووقَفَ الإمام على باب البيت يمنع الجلودي وجنده من اقتحامه.

فقال الجلودي: لابدَّ مِن أنْ أدخلَ البيت فأسلبهنّ كما أمرني أمير المؤمنين.

فقال عليه السّلام: أنا أسلبهنّ لك، وأحْلِفُ أنْ لا أدَعَ عليهنّ شيئاً إلا أخذته.

وعلى نفس نَهْج أسياده العباسيين ظَلَّ الجلودي مُصِرّاً على سَلْب عقائل آل بيت النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد آثر الجلودي أنْ يكونَ ناصبيّاً[٣] من القَرْن الأوّل الهجري يعيشُ على مشارف القرن الثالث، يَحملُ حقدَ وكراهيةَ وحَسَدَ أولئك الذين هاجموا بيت الوحي والرِّسالة، واقتحَموا على السيدة الزهراء عليها

---

(١) أي في غرفة واحدة، وهذا يعني أنّ الجلودي دَخلَ على الإمام بخيله في ساحة الدار، ومايواكب ذلك من إرعاب عقائل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٢) حيث إنّ هذه الحادثة كانت قُبَيْل وفاتها.

(٣) الناصبيُّ: هو مَنْ نصبَ العَداوة لآل بيت محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأظهر بغضهَم بل قالوا: إنّ الناصبي هو الذي نصبَ العداوة لشيعتهم وتظاهر بالوقوع فيهم، وممّن ذهبَ الى ذلك الشهيد الثاني (قُدِّس سِرّه) في مبحث الأسآر: ص١٥٧ من كتابه روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان.

السّلام دارَها، وأسْقَطوا جنينها، وصنعوا مع ابنة صاحب الوحي ماتقشعرُّ منه الأبدان، ويَنْدى له جبينُ التأريخ[١].

بهذه النفسيّة الحاقدة، وبهذه الرُّوح الشّرِّيرة هاجَمَ الجلوديّ دارَ الإمام عليه السّلام، فحقُدُه على أهل البيت كان الهواءَ الذي يتنفَّسُهُ، ويحفَظُ عليه حياتَهُ ومَقامَهُ عنْدَ أسياده العبّاسيين.

ولكنّ الإمام عليه السّلام يمنعُهُ من اقتحام البيت. وليسَ الجلوديّ ـ أو أشباهُهُ ـ جديراً ليستجيب للعواطف والتَّوسُّلات، أو ليخضعَ للمنطق والبرهان، فهو ممَّن مُلئَت قلوبهم بغضاً وحَنَقاً وحَسَداً لأهل بيت النبوّة، ولايعرفون إلاّ لغة السِّلاح ومنطق القوة والظلم والإضطهاد.

فَلَم يَزَل الإمام يطلبُ إليه ويحلفُ له، حتى سَكَن الجلوديّ ووافَقَ على طلب الإمام.

فَدَخلَ الإمامُ فلم يَدعْ عليهنَّ شيئاً، حتى أقراطهنّ وخلاخيلهنّ وأُزُرهن إلاّ أخذَهُ منهنّ، وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير.

---

(١) راجع إثبات الوصية: ١٢٤، وتاريخ اليعقوبي: ج٢ / ١٢٦، والإمامة والسياسة: ٣٠ ـ ٣١. كما وتراجع المصادر التالية: لسان الميزان / الملل والنحل / أنساب الأشراف / العقد الفريد / أعلام النساء / الوافي بالوفيات / تاريخ أبو الفداء / وغير ذلك من المصادر والمراجع الأخرى.

ويظهر أنّ هذه الحادثة هي من مُسَلْسل ضغوط المأمون لإرغام الإمام عليه السّلام وإخراجه من المدينة إلى خراسان حيث يكون تحت منظار المأمون ورقابته، إذْ إنّ الحادثة كانت بعد سنة من تولّي المأمون للحكم، فقد خَلَص الأمرُ له سنة ١٩٨ هـ، وتوصَّلَ تفكيره الشّيطاني إلى القضاء على الإمام عليه السّلام وتشويه سمعته بجلبه الى خراسان، وتسليمه الخلافة أو ولاية العهد، وللضغط عليه لاستقدامه أنْفَذَ إلى الجلوديّ بالإغارة على دار الإمام، وسَلْب عقائل آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وإرعابهنّ.

ولمّا رُحِّلَ الإمام إلى خراسان وأُدْخلَ على المأمون قامَ فرحَّبَ به وأظْهَر المحبَّة والإخلاص له. وعَرَضَ عليه الخلافة فأبى الإمام عليه السّلام، فعَرَضَ عليه ولاية العهد، فقبلها الإمام مُرغَماً بعدَ تهديد المأمون له[1]. عندها أمر المأمونُ القوّادَ والحجّاب والقضاة وسائر الطبقات بمبايعة الإمام عليه السّلام بولاية العهد، ولكنَّ بعض قادة المأمون نقموا البيعة ولم يرْضوا بها، فاعتقلَهُم المأمون. ثم أمر بإدخالهم عليه منفردين.

---

(١) راجع تفصيل مسألة ولاية العهد في كلٍّ مما يلي:

أصول الكافي: ج١ / ٤٨٨، الحديث السابع.

عيون أخبار الرضا: ج٢ / ١٣٨.

الإرشاد: ج٢ / ٢٥٩.

وكان الجلوديّ أحدهم، فلمَّا أدخلَ على المأمون ووقَعَ نظر الإمام عليه، قال عليه السّلام للمأمون: هَبْ لي هذا الشيخ!![1]

فقال المأمون: ياسيِّدي! هذا الذي فَعَلَ ببنات محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم ما فَعَلَ من سلْبهنّ!!

فَنظَر الجلوديّ إلى الإمام عليه السّلام وهو يُكلّمُ المأمون ويسألُهُ أنْ يَعْفُوَ عنه ويَهبَهُ له، فظنَّ أنَّ الإمام يُعينُ عليه لِما كانَ قَد فعلَهُ من اقتحامه دار الإمام وإرعابه أهل بيته.

فقال الجلوديّ: يا أمير المؤمنين! أسألُكَ بالله وبخدمتي للرشيد أنْ لاتقبَلَ قولَ هذا فيَّ!!

فقال المأمون: ياأبا الحسن! قد استعفى، ونحن نَبَرُّ قسمه.

ثم قال: لا والله لا أقْبَلُ فيكَ قولَه. ألْحقوهُ بصاحبيه[2].

فَقُدِّمَ فضُربَ عنقُه[3].

≅ ≅ ≅

(١) اراد الإمام ـ مع كل ما أدْخَلَهُ الجلوديّ من رعبٍ على العقائل ـ أرادَ أنْ يكافِئَهُ على استجابته له وعدم سلبه لهنّ بنفسه.

(٢) أي علي بن أبي عمران وأبو يونس، اللّذان ضُربت عنقاهما قبل الجلوديّ.

(٣) لاحظ عيون أخبار الرضا: ج٢ / ١٦١.

هذه الحادثة ـ أي حادثة اقتحام دار الإمام الرِّضا عليه السّلام ـ إنفَرَدَ بذكرها الشيخ الصَّدوق في كتابه «عيون أخبار الرِّضا» حيث يقول:

«وكان الجلوديّ في خلافة الرَّشيد لمّا خَرَجَ محمد بن جعفر ابن محمد بالمدينة[١]، بعثَهُ الرَّشيد وأمرَهُ إنْ ظَفَرَ به أنْ يضربَ عنقَهُ، وأنْ يُغير على دور آل أبي طالب، وأنْ يسلبَ نساءَهم، ولايدعَ على واحدة منهنَّ إلاّ ثوباً واحداً. ففعَلَ الجلوديّ ذلك، وقد كان مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام...»[٢].

قد تتساءلُ ـ أيُّها القارئ الكريم ـ:

إذا كان الشيخ الصدوق قد انفردَ بذكر الحادثة وأنَّها كانت في عهد الرَّشيد، فكيفَ تفتري على التاريخ، وتُغيِّره، وتثبت وقوع الحادثة في عهد المأمون؟!

أستميحُ القاريء عذراً، وأرجوهُ أنْ يُمهلَني أسطراً حتى تتضحَ له حقيقة الأمر.

من نفس النَّص الذي ذكره الشيخ الصدوق نستفيد نقطتين:

١ـ أنّ الحادثة وقَعَتْ في زمان هارون.

---

(١) سيأتي من الشيخ الصدوق أن خروج محمد بن جعفر كان بمكة، وهذا ما ذكره غيره أيضاً.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ / ١٦١.

٢ـ أنّ الحادثة تزامَنَتْ مع خروج محمد بن جعفر.

ولكنَّ أرباب السِّيَر والتاريخ من الفريقين اتّفقوا على أنَّ خروج محمد بن جعفر كان في عصر المأمون في سنة ١٩٩ هـ أو ٢٠٠ هـ.

فالشيخ المفيد (قُدِّس سرُّه) يقول في الإرشاد:

«وكان محمد بن جعفر شجاعاً سخيّاً،... وخرج على المأمون في سنة تسع وتسعين ومائة بمكة، واتّبَعتْهُ الزيديّة الجارودية، فخرج لقتاله عيسى الجَلودي، ففرَّقَ جمعَهُ وأخذَهُ وأنْفَذَهُ إلى المأمون»[١].

كما أنّ الطَّبريّ في تاريخه[٢]، وإبن الأثير في الكامل[٣] ذكرا خروج محمد بن جعفر في ضمن حوادث عام ١٩٩ ـ ٢٠٠ هـ، فراجع.

والجدير بالذِّكر أنّ نفس الشيخ الصدوق ذَكَر مايوافق ذلك في كتابه «عيون أخبار الرضا» حيث نَقَلَ الرِّواية التّالية:

الورَّاق، عن سعد، عن إبن أبي الخطَّاب، عن إسحاق بن

---

(١) الإرشاد: ج٢ / ٢١١.

(٢) تاريخ الطّبري: ج٥ / ١٢٩ في حوادث سنة ٢٠٠ هـ.

(٣) الكامل في التاريخ: ج٤ / ١٥٤ في حوادث سنة ٢٠٠ هـ.

موسى[١]، قال: «لمَّا خَرَجَ عمِّي محمد بن جعفر بمكة، ودعا إلى نفسه، ودُعي بـ «أمير المؤمنين»، وبويع له بالخلافة، دَخَلَ عليه الرِّضا عليه السّلام وأنا معه.

فقال له: يا عمّ! لاتُكذّب أباك ولا أخاك، فإنّ هذا الأمر لايتمّ.

ثم خَرجَ وخرجْتُ معه[٢] إلى المدينة، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى قدمَ الجلوديّ، فلقيَهُ فهزمَهُ، ثم استأمن إليه، فلَبَس السَّواد، وصعَدَ المنبر فخلَعَ نفسه.

وقال: إنّ هذا الأمر للمأمون، وليس لي فيه حق»[٣].

وهذه العبارة الأخيرة تدلُّ بكل وضوح أنّ خروج محمد بن جعفر كان في عهد المأمون، فالشيخ الصدوق يذكر هنا بأنّ محمد ابن جعفر قد خرج في زمان المأمون لا الرَّشيد[٤].

---

(١) إبن الإمام الكاظم عليه السّلام.

(٢) أي خرج الإمام الرضا عليه السّلام وخرج معه أخوه إسحق.

(٣) عيون أخبار الرّضا: ج٢ / ٢٠٧ ح٨

(٤) قد يُقال: إنّه لامانعَ من كون خروج محمد بن جعفر في زمان الرَّشيد، وكون إلقاء القبض عليه في زمان المأمون.

والجواب:

أوّلاً: هذا منافٍ لما ذكره أهل السِّيَر والتاريخ من أنَّ محمد بن جعفر خرج في حكومة المأمون.

فلماذا ذكر الشيخ الصدوق في رواية الإقتحام أنّ خروجه كان في زمان الرَّشيد؟

إنّ منشأ هذا الإشتباه قد يكون أحد أمرين:

الأمر الأوَّل: الخَلْط بين هارون الرَّشيد وبين هارون بن المسيَّب أحد قادة المأمون زمن حادثة الجلوديّ.

ففي الكافي: «لمَّا أرادَ هارون بن المسيّب أنْ يواقعَ محمد بن جعفر...»[١].

وفي مقاتل الطّالبيين: «أنّ جماعة من الطالبيّين اجتمعوا مع محمد بن جعفر فقاتلوا هارون بن المسيّب بمكة قتالاً شديداً...»[٢].

وقال إبن قتيبة: «ووجَّهَ الحسنُ بن سهل، هارونَ بن المسيّب إلى الحجاز لقتال العلويّة، فاقْتَتلوا، فهزمهم هارون بن المسيّب، وظفر بمحمّد بن جعفر، فحمله إلى المأمون مع عدَّة من أهل بيته...»[٣].

ثانياً: هذا لايتناسب مع نفس الحديث الأخير الذي ذكره الصدوق، إذْ فيه: «فلم يلبث إلاّ قليلاً حتى قدم الجلوديّ»، وقد مات الرَّشيد في عام ١٩٣ هـ، وتولَّى المأمون الحكم في عام ١٩٨ هـ أي بعد ست سنوات، وهذا لاينسجم مع قوله: «فلم يلبث إلاّ قليلاً».

(١) أصول الكافي: ج١ / ٤٩١ ح٩.

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٣٥٩.

(٣) المعارف: ٣٨٩.

وقد مرّ علينا أيضاً[١] أن الذي قاتَلَ محمد بن جعفر هو الجلوديّ، والظاهر أنه لاتنافيَ في ذلك، فالجلوديّ يكون قد نَفَّذَ أمر المأمون بتوجيه من هارون بن المسيّب وتحت قيادته.

بل في شرح الأخبار ما يوضّح ذلك، ويرفع التّنافي، فقد جاء فيه:

«وقام جماعة من العلويين في سنة المائتين على المأمون، وكان مَنْ قام منهم عليه محمد بن جعفر بن محمد، قام بمكة، فبايعه أهل الحجاز وتهامة على الخلافة... فأنفَدَ [المأمون] إليه الحسن بن سهل، وهارون بن المسيّب، وعيسى بن يزيد الجلوديّ، ورقا بن محمد الشّيباني، وهم من جملة قوّاد المأمون، وأوقعوا على أصحابه بالمدينة ومكة، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وتفرّقَ عامَّتهم، واستأمَنَ [محمد بن جعفر]، وأكذَبَ نفسَهُ فيما ادّعاه من الإمامة، فأمِّنَ وحُمِلَ إلى المأمون، الى خراسان، فمات بها»[٢].

وعليه فقد يكون المصدر الذي استقى منه الشيخ الصّدوق قد ذَكَر إسم هارون بن المسيّب مجرَّداً عن الإسم واللقب التّالي، فتصوَّره الرشيدَ، خاصَّةً وأنَّ الجلوديّ كان قد خَدَمَ الرشيد كما مرّ عليك في ثنايا حادثة الإقتحام التي نقلها الشيخ الصدوق.

---

(١) من الإرشاد وتاريخ الطبري وتاريخ إبن الأثير.

(٢) شرح الأخبار: ج٣ / ٣٣٦.

الأمر الثاني: أن الشيخ الصدوق قد خَلَطَ بين محمد بن جعفر الذي خرج في زمن الرّشيد، وبين محمد بن جعفر الذي خرج في زمن المأمون.

فالذي خَرَجَ في زمن الرَّشيد هو محمد بن جعفر بن يحيى بن الحسن بن الحسن كما في مروج الذّهب حيث يقول: «وقد كان محمد بن جعفر بن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي (كرّم الله وجهه)، سارَ الى مصر، فطُلب، فدخَلَ المغرب، واتّصل ببلاد تاهرْت السّفلى، واجتمع إليه خلقٌ من النّاس، فظهَرَ فيهم بعدلٍ وحُسْن استقامة. فمات هنالك مسموماً...»[1].

والذي خرجَ في زمن المأمون هو محمد بن جعفر بن محمد ـ كما مرَّ آنفاً ـ.

فنستنتج مما سبق: أنّ هذه الحادثة كانت في زمن المأمون، وقُبيْل وفاة السيدة المعصومة عليها السّلام.

وعلى فَرْض وقوعها في عهد هارون فالسيدة تكون أيضاً قد عايَشَتْ الواقعة بكل تفاصيلها، فكما ذكر الشيخ الصدوق أن الحادثة وقعتْ وقد كان مضى أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السّلام، أي بعد عام ١٨٣ هـ.

---

(١) مروج الذهب: ج٣ / ٣٥٣.

كانت هذه صورة من صور المِحَن والآلام التي عاشتها سيدتنا ومولاتنا المعصومة عليها السّلام.

ويكفيكَ أنْ تتخيَّلَ وتتصوَّرَ أجنبياً يَرومُ دخول دارك، فيكشف عرضك ليسلب أمّكَ أو زوجتكَ أو أختكَ. فما هو حالُكَ إذا علمْتَ أنَّ مَنْ يُراد سلبهنّ، هُنَّ بنات أهل بيت العصمة والطّهارة؟

يكفيكَ تصوّر ذلك حتى تعلمَ عِظم الحادثة وفجاعتها.

الوداع الأخير

شهر ذي الحجّة
في مكة أيام الحج

قال الراوي: كنتُ مع [الإمام] الرضا عليه السّلام في السّنة التي حَجَّ فيها ثم خرجَ إلى خراسان. وكان معه [الإمام] أبو جعفر ابنهُ...، و[الإمام] الرضا عليه السّلام يودّع البيت [الحرام]، فلما قضى طوافه عَدَلَ إلى المقام، فصلّى عنده، وأبو جعفر على عاتق موفَّق الخادم[1]، يطوفُ به، فلما صار به الى الحجر، جلسَ أبو جعفر عنده فأطالَ.

فقال له موفَّق: قُم يامولاي، جُعلْتُ فداك.

قال [عليه السلام]: ما أريد أنْ أَبْرَحَ مكاني هذا إلاّ أنْ يشاءَ الله.

واسْتبانَ في وجهه الغَمّ. فصار موفَّق إلى أبي الحسن عليه السلام، فأخْبَرَهُ بخبرِه. فقام أبو الحسن، فصار إليه.

وقال له: قُم ياحبيبي.

---

(١) موفّق بن هارون: من خدام الإمام الرضا عليه السّلام، واستظهر بعض الرجاليين أنه من خواصّه وأصحاب أسراره. فراجع منتهى المقال: ج٦ / ٣٥٨.

فقال: ما أريد أن أبرحَ من مكاني هذا. وكيف أبْرَحُ، وقد رَأَيْتُكَ وَدَّعْتَ البيت وداعاً لاترجع إليه أبداً؟

فقال له: قُمْ يا حبيبي، فقام معه[١].

المدينة المنوّرة
قبيل إخراج الإمام الرضا عليه السلام إلى خراسان

الإمام الرّضا عليه السّلام يحدّثنا عن أحوال المدينة وأهلها عند ترحيله عنها، وكيف ودّعَ عياله؟ حيث قال عليه السّلام:

إنّي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعتُ عيالي، فأمرتهم أنْ يبكوا عليّ حتى أسْمع [بكاءهَم].

ثم فرقتُ فيهم إثني عشر ألف دينار.

ثم قلتُ: أما إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً[٢].

ثم أخذتُ أبا جعفر فأدخلته المسجد [النبوي]، ووَضَعْتُ يدَهُ على حافّة القبر، وألْصَقْتُهُ به، واستَحْفَظْتُهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. فالْتَفَتَ أبو جعفر فقال لي: بأبي أنتَ وأمّي، واللهِ تذهب

---

(١) إثبات الوصية: ١٧٧، وكشف الغمة: ج٢ / ٨٧٤ عنه في بحار الأنوار: ج٤٩ ح٦ / ١٢٠ ح٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج٢ / ٢١٧ ح٢٨.

الى الله[١]!!

وأَمَرْتُ جميعَ وكلائي وحشمي له بالسمع والطّاعة، وترك مخالفته، والمصير إليه عند وفاتي، وعَرَّفْتُهم أنّه القَيِّم مقامي[٢].

وكان عليه السّلام يدخل المسجد النبوي مراراً ليودِّعَ جدَّهُ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفي كل ذلك يرجع الى القبر الشريف ويعلو صوته بالبكاء والنّحيب.

فتقدَّم إليه مخول السَّجستاني في إحدى تلك المرّات وسَلَّم عليه. فَرَدَّ السلام.

ثم قال: زُرْني، فإنّي أخرج من جوار جدِّي صلّى الله عليه وآله وسلّم فأموتُ في غُربة[٣].

كل هذا في مَرْأى أو مسمعٍ من السيدة فاطمة المعصومة وإخوتها وأخواتها.

وهكذا تمّ إخراج الإمام الرضا عليه السّلام من مدينة جدّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، أمام أخته المصونة وسائر عياله، وعيونهم عَبْرى، وقلوبهم مملوءةٌ بالحزن والأسى. فابْتُليت السيدة المعصومة عليها السلام بمصيبة فراق أخيها وإمامها، واستولى عليها القلق

---

(١) وفي دلائل الإمامة: تذهب الى عادِيَة.

(٢) راجع إثبات الوصية: ١٧٨، ودلائل الإمامة: ٣٤٩.

(٣) راجع عيون أخبار الرضا: ج٢ / ٢١٧ ح٢٦.

والإضطراب خوفاً عليه من أنْ يقتلهُ المأمون ويغدر به، كما غدر هارون وقتلَ أباها الإمام الكاظم عليه السّلام مِنْ قَبْل.

فقد أمرَ المأمون بإشْخاص الإمام الرضا عليه السّلام وإشخاص مَن كان قد قام عليه من الطّالبيِّين، فحملهم الجلوديّ وأخذ بهم على طريق (البصرة ـ الأهواز) في المفاوز والبراري لا في العمران لئلاّ يراه النّاس فيرغبوا به. وصاروا إلى فارس حيثُ لَقيهم رجاء بن الضّحاك وتَسلَّمهم من الجلوديّ[١].

وفي سنة ٢٠١ هـ
يوم ١٠ جمادي الآخر
في مدينة مَرْو

الرّجاء بن الضّحاك يُدْخِلْ الإمامَ الرِّضا عليه السّلام، وأخاه إسماعيل، وعمّه محمد بن جعفر، وعلي بن الحسن بن زيد، وابن الأرقط، يُدْخلهم على المأمون[٢]، لإتمام مؤامرةٍ هي من أكبر المؤامرات للقضاء على الإمامة، وإقصاء آل محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن قلوب الناس، وهي مؤامرة إعطاء الإمام عليه السّلام

---

(١) راجع شرح الأخبار: ج٣ / ٣٣٩.

(٢)راجع شرح الأخبار: ج٣ / ٣٣٩.

منصب ولاية العهد[١].

---

(١) عن أبي الصَّلت الهَرَوي ـ وهو من خواصّ أصحاب الإمام الرضا عليه السّلام ـ قال: «إنّ المأمون قالَ للرّضا عليه السّلام: يابن رسول الله! قد عَرفتُ علمكَ، وفضلَكَ، وزُهدك، وورعَكَ، وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال [الإمام] الرضا عليه السّلام: بالعبوديّة لله ـ عزّوجلّ ـ أفْتَخِر وبالزُّهد في الدُّنيا أرجو النّجاةَ من شرِّ الدُّنيا، وبالوَرَعِ عن المحارِمِ أرجو الفَوزَ بالمغانم، وبالتّواضع في الدُّنيا أرجو الرِّفعة عند الله عزّوجلّ.

ـ فقال لهُ المأمون: فإنّي قد رأيتُ أن أعزِلَ نفسي عن الخلافة، وأجعلها لكَ، وأبايعك.

ـ فقال له [الإمام] الرضا عليه السّلام: إنْ كانت هذه الخلافةُ لكَ، واللهُ جَعَلَها لك، فلايجوز لك أن تخلَعَ لباساً ألبسكَهُ الله، وتجعله لغيرك. وإن كانت الخلافة ليست لك، فلايجوز لكَ أن تجعلَ لي ماليس لك.

ـ فقال له المأمون: يابن رسول الله! فلابدّ لكَ من قبول هذا الأمر.

ـ فقال [عليه السلام]: لستُ أفعلُ ذلك طائعاً أبداً.

فما زال [المأمون] يَجْهَدُ به أيّاماً حتى يَئِسَ من قبوله.

ـ فقال [المأمون] له: فإن لم تقبَل الخلافة، ولم تُجِب مبايعتي لك، فكُن وليَّ عَهدي، تكونُ لك الخلافة بعدي!!

ـ فقال [الامام] الرضا عليه السّلام: والله! لقد حدّثني أبي، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّي أخرُجُ من الدُّنيا قبْلكَ مسموماً، مقتولاً بالسّمِّ مظلوماً، تبكي عليّ ملائكةُ السماء وملائكة الأرض، وأدفنُ في أرض غربة، إلى جَنبِ هارون الرشيد.

ـ فبكى المأمون، ثمّ قال له: يابن رسول الله! ومَنْ الذي يقتُلكَ أو يقدرُ على الإساءة إليك وأنا حيٌّ؟!

ـ فقال [الإمام] الرّضا عليه السّلام: أما إنّي لو أشاءُ أن أقولُ، لقُلتُ مَن الذي يقتلني.

ـ فقال المأمون: يابن رسول الله! إنّما تريدُ بقولك هذا(١) التخفيفَ عن نفسك، ودفع هذا الأمر عنك، ليقول الناس إنّك زاهدٌ في الدّنيا.

ـ فقال [الإمام] الرّضا عليه السّلام: والله ما كذبتُ منذُ خَلَقني ربّي ـ عزّوجلّ ـ، وما زهدتُ في الدُّنيا للدنيا، وإنّي لأعلمُ ماتريد!

ـ فقال المأمون: وما أريد؟

ـ قال [عليه السّلام]: الأمانَ على الصِّدق؟(٢)

ـ قال [المأمون]: لك الأمان.

ـ قال [عليه السّلام]: تريدُ بذلك أن يقول الناس:إنّ علي بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترونَ كيفَ قَبِلَ ولاية العَهد طمعاً في الخلافة؟

ـ فغضبَ المأمون، ثم قال: إنّك تتلقاني ـ أبداً ـ بما أكرهُهُ، وقد أمنتَ سَطوتي، فبالله أقسم، لئن قَبِلتَ ولاية العهد وإلاّ أجبرتُكَ على ذلك، فإن فَعَلتَ وإلاّ ضربتُ عنقكَ!!

ـ فقال [الإمام] الرضا عليه السّلام: قد نهاني اللهُ تعالى أن ألقي بيدي [في] التّهلكة، فإن كان الأمر على هذا، فافعل ما بدا لك؛ وأنا أقبلُ ذلك على أنّي لا أولّي أحداً، ولا أعزلُ أحداً، ولا أنقضُ رَسماً ولاسُنّةً، وأكونُ في الأمر ـ من بعيد ـ مشيراً. فَرَضي [المأمون] منه بذلك وجعلهُ وليَّ عهده على كراهة منه عليه السّلام بذلك»(٣).

(١) أي بعدم قبولك لولاية العهد، إنما تريد أن يقول الناس: إنك زاهدٌ في الدنيا.

(٢) أي هل تعطيني الأمان على الصدق.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج٢ / ١٣٩ باب ٤٠ ح٣.

المهاجرة إلى ربّها

كم مِنْ مهاجرٍ لاتعدو هجرتُهُ سوى قطع المسافات وطيّ السّهول والجبال والوديان، ولاتتجاوز سوى تغيير المحيط والمكان، ولايُجْنى منها إلاّ حفنة من الأموال وسياحة في البلدان.

وقد تكون الهجرة هجرةً في أعماق النفس الإنسانية لقطع أيّ ارتباطٍ مع ما سوى الله تعالى.

فالأُولى هجرة خارجية موطنها العالم الخارجي، والثانية هجرة داخلية موطنها النفس الإنسانية. ولاشكّ أنّ هجرة النفس أصعب وأشقّ من هجرة المكان كثيراً، بل لولاها لما كان للهجرة الخارجية أيّ قيمة وتأثير في حياة البشر. فعن الإمام الباقر عليه السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «المهاجر مَنْ هَجَر السّيّئات...»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السّلام في بعض خطبه: «يقول الرجلُ: هاجرتُ، ولم يهاجر، إنما المهاجرون الذين يَهْجرون السّيئات ولم

---

(١) الكافي: ج٢ / ٢٣٥ ح١٩، عنه بحار الأنوار: ج٦٤ / ٣٥٨ ح٦٢.

يأتوا بها»[١].

ولم تكن هجرة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم من مكة الى المدينة لتُغَيِّرَ وجه التاريخ لولا التحوّل العظيم الذي أحدثه صلّى الله عليه وآله وسلّم في نفوس المسلمين، فتركوا المال والأزواج والأولاد.

فليس المهاجر من هاجر من مكة إلى المدينة، أو مِنَ البَدْو الى الحَضَر، أو من بلاده إلى الحوزات العلمية، أو من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام عند خوف الجور والفساد وعدم التمكّن من إظهار شعائر الإسلام، بل المهاجر الذي له استحقاق هذا العنوان هو مَنْ هَجَر السّيئات وترك المحرمات.

وكما أنّ الجهاد جهادان: جهادٌ أكبر وهو جهاد النَّفس، وجهادٌ أصغر وهو جهاد العدو الخارجي، كذلك الهجرة هجرتان: كبرى وعظمى وهي هجرة النفس، وهجرة صغرى وهي تغيير المحيط الخارجي.

وقد يَصل صاحب الهجرة الخارجية إلى مقامٍ يستوجب الجنّة إذا كانت هجرته نابعةً من هجرة النفس الى الله تعالى، فقد رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «مَنْ فَرَّ بدينه مِن

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٧ / ٩٩ ح٢.

أرضٍ إلى أرض وإنْ كان شِبْراً من الأرض استوجَبَ الجنّة، وكانَ رَفيقَ محمد وإبراهيم عليهما السّلام»[١].

ولا شكّ ولاريب أنّ سيدتنا ومولاتنا فاطمة المعصومة عليها السّلام قد فاقت الكثيرين في هجرة النفس إلى الله، والإنقطاع إليه تعالى، وكيف لا، وهيَ مَنْ قد عَرَفْتَ أنّها تربَّت في أحضان ورعاية الائمة، حتى صارت زيارتها تورث الجنّة.

ولكن ما الذي يدعوها لترك مجاورة قبر جدّها الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ وما الذي يحدوها لمفارقة أرض الجدود، وترك موطن الأحباب، وجميل الذكريات؟

فهل كانت العواطف وشدة الشوق الى أخيها الإمام الرضا عليه السّلام الباعث على هذه الهجرة، فقد مضت الأيام والأيام على مفارقة السيّدة لأخيها، فيأتيها كتابٌ ورسالةٌ منه عليه السّلام وهو في خراسان، يأمرها أن تَلْحَقَ به، فقد كانت أثيرةً عنده، وعزيزةً عليه، ولمّا انتهى الكتاب إليها تجهّزت للسفر إليه؟[٢]

أم أنّ الباعث لهجرتها هو ما نُقِل من مضايقة وضغوط المأمون على الإمام الرضا عليه السّلام وإلزامه بتزويجها له، فكتبَ إليها

---

(١) تفسير كنز الدقائق: ج ١٠ / ١٥٤ في تفسير سورة العنكبوت الآية (٥٦).

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٢١٣، وحياة الإمام الرضا عليه السّلام: ج٢ / ٣٥١ نقلاً عن جوهرة الكلام: ١٤٦.

يأمرها بالسفر إلى خراسان، لعلمه أنّ المأمون لن يصل الى مآربه[١].

أم أنّ سبب هجرتها، وهكذا هجرة إخوتها كانت لكشف نوايا المأمون في مسألة الخلافة وولاية العهد وأنها كانت إرغاماً للإمام ومؤامرةً كبرى، لا حبّاً للإمام وأهل بيته، وإلاّ فلماذا قتلَ إخوتها وأشياعهم قبل وصولهم الى خراسان؟[٢]

فكأنّما كان خروج السيّدة المعصومة عليها السّلام وسفرها الى خراسان للدفاع عن أخيها الإمام وإظهار حقيقة هذا العفريت المستكبر[٣].

فأشبهت بذلك أمّها السيدة فاطمة الزهراء عليها السّلام حينما خرجت للدفاع عن أمير المؤمنين عليه السّلام لمّا اقتادوه الى السقيفة لأخذ البيعة منه قَهْراً.

كما وأشبهت عمتها السيدة زينب عليها السّلام في حركتها بعد فاجعة كربلاء في كشف النوايا اليزيديّة والمؤامرات الأمويّة

---

(١) نقله في أنوار المشعشعين: ج٢ / ٢٧٥، وعلّق عليه: بأنه لم يجد مأخذاً صحيحاً لهذا المطلب.

(٢) سيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك.

(٣) ففي الحديث الشريف المعروف بحديث اللوح: «ألا إنّ المكذّب بالثامن، مكذّبٌ بكل أوليائي، وعليٌّ وليّي وناصري... يقتله عفريتٌ مستكبر، يُدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح ـ ذو القرنين...» ـ كمال الدين وإتمام النعمة: باب ٢٨ ص ٣١٠ ح ١.

لدفن الإسلام والقضاء على الشريعة المحمديّة.

وعلى كل حال فإن السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام تبدأ هجرتها من مدينة جدّها صلّى الله عليه وآله وسلّم قاصدةً أخاها عليه السّلام في طوس.

وليست الهجرة مسألةً جديدةً في حياة أهل البيت وأولادهم ومواليهم، فقد سعى العبَّاسيّون ومِنْ قَبْلهم الأمويّون لتشتيتهم في البلدان وإبادَتهم، حتَّى أنَّ أبا الفرج الإصفهاني كتبَ كتابَهُ «مقاتل الطالبيّين» وكتبَ المسعودي أيضاً كتابه «حدائق الأذهان في أخبار أهل بيت النبيَّ وتفرُّقهم في البلدان»، لبيان هذه الحقيقة.

لاأضْحَكَ اللهُ سِنَّ الدَّهْرِ إنْ ضَحِكَتْ
وَألُ أحمدَ مظلومون قَدْ قُهِروا
مُشرَّدونَ نُفُوا عَنْ عُقرِ دارهِمُ
كأنَّهم قَدْ جَنَوا ماليسَ يُغْتَفَرُ

يخرجُ رَكْبُ السيّدة المعصومة مع بعض إخوتها..

ويخرج بعضٌ آخرَ من إخوتها في ركْبٍ ثانٍ باتّجاه طوس..

ركبان عظيمان يتَّجهان نحو طوس لِلّقاء بإمامهم عليه السّلام: أحدهما يتّجه إليها عن طريق الرَّي وساوة..

والآخر يتّجه إليها عن طريق شيراز..

فالإمام الرضا عليه السّلام قد استأذَنَ المأمون في قدومهم

عليه[١].

مصير إخوتها في شيراز

كانَ إخوةُ الإمام الرضا عليه السّلام: أحمد، ومحمد، وحسين، على رأس هذا الرَّكْب الذي ضَمَّ عدداً كبيراً من بني أعمامهم وأولادهم وأقاربهم ومواليهم ووصَل عددهم الى ثلاثة آلاف[٢].

وفي الطريق انضمَّ إليهم جَمعٌ كثير من موالي ومحبِّي أهل البيت عليهم السّلام، فصار عددهم ما يقرب من خمس عشرة ألف نسمة رجالاً ونساءً[٣]، يتّجهون إلى طوس عن طريق شيراز ليَحْظَوا برؤية الإمام عليه السّلام، ويَرْفَلوا بأثواب البرَكة في جواره[٤].

وماأنْ وَصَلَ خبر القافلة وهذا التَّجمع الكبير الى المأمون، خَشيَ على ملكه وسلطانه من التّزلزل إذا ما وَصَلتْ هذه القافلة العظيمة الى خراسان، فأمَرَ وُلاتَهُ بمنع زحف هذا الرَّكب

---

(١) شبهای پیشاور: ١١٥.

(٢) أعيان الشيعة: ج٣ / ١٩٢.

(٣) شبهای پیشاور: ١١٧.

(٤) ومانُقِل عن كتاب لباب أو لبّ الأنساب من أنَّهم خرجوا لطلب الثأر لأخيهم، هذا لايساعده التأريخ، كما أنّه لايناسبُ خروج قافلة مسالمة، وإلاّ لتعرَّض لها كلُّ ولاة وأتباع المأمون قبل شيراز.

وإرجاعهم الى المدينة[١].

فجَهَّزَ حاكم شيراز - آنذاك - جيشاً جرَّاراً من أربعين ألف جندي وتوجَّهَ الى الرَّكب، فالتقى بهم في «خان زينان» على ثمانية فراسخ[٢] من شيراز.

فتوقّفتْ قافلة بني هاشم تستطلع الأمر.

قال الحاكم لهم: إنّ الخليفة يأمرُ بإرجاعكم من حيث أتيتُم.

فقال أميرُ الرَّكب أحمد بن موسى: إنّنا لانريد سوى زيارة أخينا الإمام الرِّضا.

وما قَصدْناهُ إلاّ بعد استئذان وإجازة المأمون نفسه.

قال الحاكم: قد يكون ما ذكرت، ولكنَّهُ أصدَرَ الأمْر إلينا بمنعكم مِنْ إكمالِ سيركم.

فتشاوَرَ الإخوةُ فيما بينهم، واتّفقوا على إكمال مسيرتهم، واحتاطوا لذلك بجعل النّساء في آخر القافلة..

في الصَّباح تحرَّكوا من جديد..

ولكنَّ حاكم شيراز وجندهُ الأربعين ألفاً قطعوا الطريق عليهم..

---

(١) ولعلّ سبب استقدام الإمام لإخوته هو كشف النوايا الخبيثة للمأمون، فليست هجرتهم مجرَّدَ لقاء إخوة بأخيهم، وليست العواطف هي الباعث عليها وإنما الأمر فوق ذلك، كما مرّ عليك.

(٢) أي على بُعْد ٤٤ كيلومتراً من شيراز (الفرسخ الشرعي = ٥ و٥ كيلومتر).

فبدأتْ معركة دامية، أبْدى فيها إخوةُ الإمام وسائر أفراد القافلة شجاعة فائقة، ولاعَجَبَ في ذلك فهم مِن بني هاشم أصل الشجاعة ومنبت البطولة، وعلى أثر ذلك انكسَرَ جيش الأعداء، وتفرَّقوا.. فلجَأوا حينئذ الى المكْر والخديعة.

فنادى رجلٌ منهم: إنْ كان تريدونَ ثمَّةَ الوصول الى الرِّضا فقد مات!!

فَسَرَتْ هذه الشائعة بين أفراد القافلة كالبرْق، وهَدَّتْ أركانهم، وكيف لا؟ إنّهم يسمعون خبر وفاة إمامهم عليه السّلام.

وكان ذلك سبباً لتفرُّق أفراد القافلة عن الإخوة الكرام.

فتوجَّهَ الإخوة الثلاثة إلى شيراز ليلاً بعد أنْ غيَّروا ألبستهم حتّى لايُعرفوا، وتفرَّقوا فيها وتفرَّغوا للعبادة، ولبثوا مدَّة دون أنْ يعرفهم أو يتوصَّل إليهم أحد.

ولكنْ على أثر انتشار الجواسيس توصَّلوا إلى مكان أحمد بن موسى.

فأرسَلَ الحاكمُ جيشاً كبيراً لاعتقاله. وكان أحمد بن موسى قد اختفى في دار أحد الموالين لهم، فخَرجَ من الدّارِ يُقاتلهم قتالاً مستميتاً دفاعاً عن نفسه.

فماذا ياترى يفعلُ فردٌ واحد أمامَ بلدةٍ مخالفة وجيش كبير؟!

إنّه أظهرَ شجاعة عظيمة، وكانَ بينَ فترةٍ وأخرى يدخلُ الدّار

فيستريح. وعندما لم يتمكّنوا منه لجأوا الى الجيران، وأحدثوا من دار الجيران فجوةً الى تلك الدار، وغافَلوه وقتلوهُ في الموضع الذي نراهُ الآن والمعروف بـ «شاه چراغ».

كما أنّهم قتلوا أخاهُ حسيناً بالقرب من بستانٍ، وله مزار أيضاً في شيراز ويُعرف بالسيّد «علاء الدين حسين».

وأمّا السيّد محمد فلم يتمكّنوا منه، وعُرف بكثرة العبادة، ولذا كانَ يُلقَّب بـ «محمد العابد»، وتُوفّي ودُفن في بقعته الشريفة من شيراز[١].

≅ ≅ ≅

بعْدَ أنْ عَرَفنا ما حَدَثَ لهذا الرَّكب، تعالَوا بنا نستطْلِع ما يجري على ركْب السيّدة المعصومة وإخوتها الآخرين.

ركب السيدة يحاصر في «ساوة»

كانت هذه القافلة تضم إثنين وعشرين علوياً، وعلى رأسها السيّدة فاطمة المعصومة عليها السّلام وإخوتها: هارون[٢]، وفضل، وجعفر، وهادي[٣]، وقاسم، وبعض من أولاد إخوتها، وبعض

---

(١) شبهای پیشاور: ١١٥ ـ ١٢٢، وتحفة العالم: ج٢ / ٢٨.

(٢) الحياة السياسيَّة للإمام الرِّضا عليه السّلام: ٤٢٨.

(٣) لم يَذْكر أحدٌ أنّ للإمام ولداً باسم هادي.

الخدم[١].

فأرسَلَ المأمون شَرطتهُ إلى هذه القافلة أيضاً، فقُتل، وشُرِّدَ كلُّ مَنْ فيها، وجَرَحوا هارون المذكور، ثم هجموا عليه وهو يتناولُ الطعامَ فقتلوهُ[٢].

وكان ذلك نهايةً أليمةً ومفجعةً لهذا الرَّكب من بني هاشم، فقدَتْ فيها السيّدة المعصومة عليها السّلام سائر إخوتها، فشابَهَتْ مصيبتُها بفقدهم مصيبة عمَّتها زينب عليها السّلام في كربلاء.

وخارَتْ قواها وضَعُفَتْ، فسألتْ مَنْ حَوْلها:

- كَمْ بيننا وبين قم؟

قالوا: عشرة فراسخ[٣].

فقالت: إحْملوني إليها![٤]

ولم يكنْ سؤال السيّدة عن «قم» إلاّ عن علمٍ مسبق بها، فقد سَمعتْ عن آبائها الأطهار من الأحاديث في فضل قم وأهلِها، ممّا جَعَلها تختار هذه البلدة للنزول بها.

وقَبْلَ أنْ نُواصلَ معايشتنا مع السيّدة المعصومة عليها السّلام

---

(١) زندگانى حضرت معصومة، نقلاً عن رياض الأنساب ومجمع الأعقاب.

(٢) الحياة السياسيّة للإمام الرِّضا عليه السّلام: ٤٢٨.

(٣) أي خمسة وخمسون كيلومتراً تقريباً.

(٤) ترجمة تاريخ قم: ٢١٣.

نتوقّف قليلاً لنعرف شيئاً ممّا ذكرَهُ المعصومون عليهم السّلام في فضل «قم» وأهلها.

ولكنْ قد تَتساءل:

لماذا سُمّيت هذه البلدة بـ «قم»؟

في معجم البلدان: «قرية إسمها كُمِنْدان، فأسقطوا بعضَ حروفها فسُميتْ بتعريبهم[١] قمّاً»[٢].

وفي دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: أنّ أصل إسمها «كَمْ» ـ بمعنى قليل بالفارسية ـ إذْ كانتْ عبارة عن قرية صغيرة ثمّ عُرِّبتْ بعد الفتح الإسلامي فصارت قم[٣].

فهذان قولان مختلفان في سبب تسميتها بـ «قم»، ولكنَّ نفس التاريخ لايوافقهما، إذْ إنَّ تسميتها بذلك كان معروفاً قبل الفتح الإسلامي، ومنذ زمن كسرى «أنوشروان».

ففي الأخبار الطِّوال: «... ثم قَسَّم كسرى أنوشروان المملكة أربعة أرباع، وولّى كل رُبْع رجلاً من ثقاته، فأحد الأرباع: خراسان،

---

(١) أي بتعريب الأشعريّين الشيعة ا لذين نزلوا بها في عام ٨٣ هـ، وهم غير الأشعريين أصحاب المذهب الكلامي.

(٢) معجم البلدان: ج٤ / ٣٩٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية الشيعيّة: ج٣ / ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

وسجستان، وكرمان. والثاني: إصبهان، وقم،... الخ»[١].

وفي موقعة «جلولاء» التي كان من قادتها الصّحابي الجليل حجر بن عدي، يُهزَم يزدجرد فيتحمَّل بحرمه وحشمه وما كان معه من أمواله وخزائنه حتى نزل قم[٢].

فتسميتها بـ «قم» كان معروفاً قبل الفتح الإسلامي، وعلى هذا فليس «الأشعريون» هم الذين سموها بـ «قم» كما ادّعي.

مضافاً الى أنّه عند مراجعة كتاب «تاريخ قم» المترجم يظهر جليّاً أنّ قم غير كُميدان، فعند حديثه عن مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السّلام، يقول: «وروي عن حسن بن محمد أنه قال: إن هذا المسجد الجامع في خارج المدينة ...، الواقع بين قم وكميدان، حيث كانت منازل العرب بعضها بقم وبعضها بكُميدان..»[٣].

فكانت قم وكُميدان موجودتان معاً في ذلك الزمان، وإنْ اختار صاحب كتاب تاريخ قم المترجَم ما ذكره صاحب معجم البلدان من التسمية[٤].

---

(١) الأخبار الطِّوال: ٦٧.

(٢) المصدر السابق: ١٢٨.

(٣) تاريخ قم المترجم: ٣٧.

(٤) راجع تاريخ قم المترجم: ٢٣.

فيُستفاد من ذلك التّعدُّد وعدم اتحاد قم وكُميدان.

ولكن السؤال الباقي: ما هو سبب تسميتها بـ«قم»؟

وقد تعدَّدت ـ بحسب الروايات ـ أسباب تسميتها بـ«قم»، وأوّلُ سببٍ مَرويّ في تسميتها يتعلق بزمان سيدنا نوحٍ ـ على نبينا وآله وعليه السّلام ـ، وثاني الأسباب مرتبط بزمان نبينا محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وثالثها ينتهي إلى زمان ظهور الحجة ابن الحسن عليه السلام.

وإذا لم تتَقبَّل بعض العقول مافي هذه الروايات، ولم تَسْتَسِغْها أفهامهم، فلايَحِقُّ لهم أنْ يوصموها بأنّها حكايات أقرب الى الأساطير، بل يلزم عليهم أنْ يَكِلُوا أمْرَها الى أهلها، ولايفتَحوا عقولهم وقلوبهم لأبليس وجنوده، فيتجاسروا على حرمة الروايات الشريفة.

فأمّا الرواية الأولى:

فعن أبي مقاتل الدَّيلَمي، نقيب الرَّي، قال: سَمِعتُ أبا الحسن علي بن محمد عليه السّلام يقول:

«إنّما سُمّيت قم به، لأنّه لما وَصَلَت السَّفينة إليها في طوفان نوحٍ عليه السّلام، قامَت»[1].

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ٩٦، عنه في بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٣ ح٢٤.

وأما الرواية الثانية:

فعن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «حدَّثني أبي، عن جدّي، عن أبيه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لمّا أسْريَ بي إلى السّماء، حملَني جبرئيل على كتفه الأيْمَن، فنظَرْتُ إلى بُقْعة بأرض الجبل حمراء أحْسنُ لوْناً من الزَّعفَران، وأطيَب ريحاً من المسك، فإذا فيها شيخٌ على رأسه بُرْنسٌ[1].

فقلتُ لجبرئيل: ما هذه البُقْعة الحمراء التي هي أحسن لوناً من الزّعفران، وأطيب ريحاً من المسك؟

قال: بُقْعةُ شيعتك وشيعة وصيّك علي.

فقلتُ: مَنْ الشيخ صاحب البُرْنس؟

قال: إبليس.

قلت: فما يريدُ منهم؟

قال: يُريدُ أنْ يَصُدَّهم عن ولاية أمير المؤمنين، ويَدْعوهم إلى الفسق والفجور.

فقلت: ياجبرئيل! أهْوِ بنا إليهم.

---

(١) البُرْنُس: قلنْسوة طويلة.

فأهوَى بنا إليهم[١] أسْرَعَ من البَرْق الخاطف والبصر اللاّمح.

فقلتُ: قُمْ يا ملعونْ! فشارك أعداءَهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم، فإنّ شيعتي وشيعة عليٍّ ليس لك عليهم سلطان».

فسُميتْ «قم»[٢].

والرواية الثالثة:

فهي عن عفّان البصري، عن أبي عبدالله الصادق عليه السّلام:

قال: أتدْري لِمَ سُمِّيتْ «قم»؟

قلت: اللهُ ورسولُهُ أعْلَم.

قال: إنّما سُمّيتْ «قم» لأنّ أهلَها يجتمعون مع قائم آل محمّد صلوات الله عليه، ويقومون معه، ويستقيمون عليه، وينصرونَه»[٣].

في فضل «قم» وأهلها:

إضافةً إلى ما مرَّ من الروايات، هناك روايات أخرى في فضل «قم» وأهلها، نُقلَتْ عن أهل بيت العصمة والطهارة، وإليكم باقةٌ منها:

---

(١) وفي بحار الأنوار في رواية أخرى: «... أهو بنا إليه، فأهوى بنا إليه...»: بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٨ ح٤٨.

(٢) علل الشرائع: ٥٧٢ باب ٣٧٣.

(٣) ترجمة تاريخ قم: ١٠٠، وبحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٦ ح٣٨.

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السّلام قال:

«إنّ لَعَلَى «قم» مَلَكاً يُرَفْرِف عليها بجناحَيْه، لا يريدُها جبّارٌ بسوء إلاّ أذابَهُ اللهُ كَذَوْب الملْح في الماء»[١].

وعنه عليه السّلام أنّه قال:

«إذا أصابتكم بليَّةٌ وعناء فعليكم بـ «قم»، فإنّها مَأوى الفاطميِّين، ومُسْتراحُ المؤمنين، وسيأتي زمانٌ يَنْفُرُ أولياؤنا ومحبُّونا عَنَّا، ويبعدون منَّا وذلك لمصلحة لهم، لكي لا يُعرَفوا بولايتنا، ويَحْقنوا بذلك دماءَهم وأموالهم.

وما أرادَ أحد بـ «قم» وأهلها سوءاً إلاّ أذَلَّهُ الله، وأبْعَدَهُ مِنْ رحمته»[٢].

وعن الإمام الكاظم عليه السّلام أنه قال:

«قم عُشُّ آل محمّد، ومَأوى شيعتهم، ولكنْ سَيهْلَك جماعةٌ من شبابهم بمعصية آبائهم، والإستخفاف والسخرية بكبرائهم ومشايخهم، ومع ذلك يَدْفَعُ الله عنهم شرّ الأعادي وكلّ سوء»[٣].

وعن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ٩٩، وبحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٧ ح٣٦.

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٩٨، وبحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٤ ح٣٢.

(٣) ترجمة تاريخ قم: ٩٨، وبحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٤ ح٣١.

«ما أرادَهم - يعني أهل قم - جبّارٌ من الجبابرة إلاّ قصمه الله»[١].

وعن الإمام الرِّضا عليه السّلام أنّه قال:

«إنّ للجنّة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحدٌ منها، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، ثم طوبى لهم»[٢].

وعنه عليه السّلام أيضاً:

«إذا عَمَّت البلدانَ الفتنُ فعليكم بقم وحواليها ونواحيها، فإنّ البلاءَ مرفوعٌ عنها»[٣].

كما رُويَ عنهم أنّه: «لولا القميّون لضاع الدين»[٤].

حيث إنّ الكثير من الرُّواة والمحدِّثين هم من أهل «قم».

وكلّ ما ذُكر في فضل «قم» وأهلها إنما هو بشرطها وشروطها، والحديث التالي يُبيِّنُ ذلك.

فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السّلام:

«تربةُ قم مقدَّسة، وأهلُها منَّا ونحن منهم، لايُريدهم جبَّارٌ بسوء إلاّ عُجِّلتْ عقوبتُهُ ما لم يخونوا إخوانهم، فإذا فَعَلوا ذلك سَلَّطَ الله

---

(١) إختيار معرفة الرجال: ٣٣٣ ح٦٠٨.

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٩٩، وبحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٥ ح٣٣.

(٣) ترجمة تاريخ قم: ٩٩، وبحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٧ ح٤٤.

(٤) بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٧ ح٤٣.

عليهم جبابرة سوء»[١].

مضافاً الى ذلك فإنّ هناك مايدلّ على تشرُّف أهل قم بورود الإمام الرضا عليهم.

هل ورد الإمام الرضا عليه السّلام على «قم»؟

قال السيد عبدالكريم بن طاووس:

«وإنما لم يزر الرضا عليه السّلام مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام، لأنّه لما طلبه المأمون من خراسان، توجّه من المدينة الى البصرة، ولم يَصِل الكوفة، ومنها توجّه على طريق الكوفة الى بغداد، ثم إلى قم، فدَخَلها وتلقّاهُ أهلها وتخاصموا فيمن يكون ضيفه منهم. فَذَكَر أنّ الناقة مأمورة، فما زالت حتى بركت على باب، وصاحب ذلك الباب رأى في منامه أنّ الرِّضا عليه السّلام يكون ضيفه في غد. فما مضى إلاّ يسير حتّى صار ذلك الموضع مقاماً شامخاً وهو اليوم مدرسة معروفة [مطروقة][٢]»[٣].

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ٩٣، وبحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٨ ح٤٩.

(٢) وهي مدرسة مشهورة وموجودة الى يومنا في شارع «آذر» وتُعرف بالمدرسة الرضوية.

(٣) فرحة الغري: ١٠٥، وقد لخّصهُ العلامة الحلي بحذف الأسانيد في كتابه: «الدلائل البرهانية» ـ مخطوط ـ.

ولكن رحلة الإمام الرضا عليه السّلام التاريخية من المدينة الى نيشابور ومنها الى خراسان، والتي نقلها الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السّلام، لم يُنقل فيها مروره بمدينة «قم»، بل إنّ المأمون قد أمَر الرجاء بن أبي الضحّاك بعدم المرور بالكوفة وقم حيث إنها مراكز الشيعة والتشيع، فيصعب حينذاك أخذ الإمام عليه السّلام إلى المأمون في خراسان.

قال الرجاء بن أبي الضحّاك: «بعثني المأمون في إشخاص علي بن موسى عليه السّلام من المدينة؛ وقد أمرني أنْ آخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس، ولا آخذ به على طريق قم...»[١].

وفي روايةٍ أخرى: «فكتَبَ إليه المأمون: لاتأخذ على طريق الكوفة وقم. فحُمل على طريق البصرة والأهواز وفارس...»[٢].

فكيف نوفّق بين هذه النصوص التاريخيّة؟

فإمّا أنّ الإمام الرضا عليه السّلام استطاع في نفس رحلته التاريخية إلى نيشابور وخراسان، استطاع المرور بمدينة «قم».

وإمّا أنْ يكون الإمام عليه السّلام قد جاءَ إلى «قم» قبل ترحيله

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢ / ١٨٠ ح٥ باب ٤٤، عنه في بحار الأنوار: ج٤٩ / ١١٧ ح٤.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ / ١٤٩ ح٢١ باب ٤٠، عنه في بحار الأنوار: ج٤٩ / ١٣٣ ح٩.

الي خراسان.

ويؤيّد ذلك مارُوي في كتاب البلدان: من أنّ الإمام الرِّضا عليه السّلام يَغتسل من مائها، حيث قد رُوي أنّه قد سُئِل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام عن أسْلَم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السّيْف.

فقال [عليه السّلام]: «أَسْلَمُ المواضع يومئذ أرضُ الجبل[1]، فإذا اضْطَرَبَتْ خراسان، ووقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان، وخربت سجستان، فأسْلَمُ المواضع يومئذ قصبة «قم»، تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة، تلك التي تُسمَّى الزَّهراء، بها موضع قدم جبرئيل، وهو الموضع الذي نبع منه الماء الذي مَن شرب منه أَمِنَ من الداء، ومن ذلك الماء عجن الطين الذي عمل منه كهيئة الطير، **ومنه يغتسل الرضا عليه السّلام...**»[2].

فيكون نزول الإمام الرضا عليه السّلام على «قم»، والإغتسال من مائها، من الإخبارات الغيبيَّة التي أخبر بها أمير المؤمنين عليه السّلام.

ولعلّ الذي يؤيد ذلك أيضاً ما ذُكر في كتاب ضيافة الإخوان

---

(١) أرض الجبل: من أسماء «قم».

(٢) بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٧ ح٤٧.

عن كتاب التدوين للرافعي وهو من العامّة، حيث قال: «وقد اشتُهر اجتياز علي بن موسى الرِّضا عليه السّلام بقزوين، ويُقال إنه كان مستخفياً في دار داوود بن سليمان الغازي...»[١].

فلعلّه جاء الى قزوين ومنها إلى «قم» في رحلةٍ سابقة بقرينة الإستخفاء، والله العالم.

إذن ... ليس غريباً أن تختار السيدة فاطمة المعصومة مدينة «قم»، وكان قد طَرَقَ سمعها من قَبْل مارُوي عن جدها الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال: «وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستُدفن فيها امرأةٌ من أولادي تُسمى فاطمة...»[٢].

وبهذا المدِّ التاريخي، والقوّة الروائية، تخرج «قم» لاستقبالها عليها السّلام؛ وكان قدومها إيذاناً بعهدٍ جديد لمدينة «قم»، ولأهلها.

قم تستقبل السيّدة المعصومة عليها السّلام:

عندما وصلت عليها السّلام إلى «ساوة»، ومرضت فيها بَعْدَ فَقْدِ إخوتها، كانَ خَبَرُها قد وَصَلَ إلى «قم»، فخَرَجَ أشْرافها لاستقبالها، يتقدَّمُهم موسى بن خَزرج الأشعري، فلمّا وَصَلَ إليها أخَذَ بزِمام

(١) ضيافة الإخوان: ٢١٢.

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٢١٥، وعنه في بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٦ ح٤١.

ناقتها وجَرَّها إلى منزله[١].

جنود من عسل[٢]

بَقيتْ عليها السّلام في دار موسى الأشعري سبعة عشر يوماً[٣]، تُقاسي آلامَها، وتُعالج ما أصيبت به من مرض، حيث كان أحد العطّارين يصنع لها الدواء ويأتيها به.

وقد اكتُشفَ قبر هذا العطّار ـ على ما نُقل ـ في مقبرة علي بن جعفر، وقد كُتب على حَجَر القبر: هذا قبر العطار الذي كان يأتي بالدواء لفاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السّلام[٤].

ولم يُمهلها المرض، فما لبثت إلاّ هذه الأيام القلائل وصَعَدَت روحها إلى بارئها.

ولا يَبْعُد أن يكون سبب وفاتها أنّها قد دُسَّ السُّمّ إليها في «ساوة»[٥].

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ٢١٣، عنه بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٩.

(٢) كناية وإشارة الى الطريقة التي اتخذها معاوية في قتل مالك الأشتر بوضع السم له في العسل.

(٣) ترجمة تاريخ قم: ٢١٣، عنه بحار الأنوار: ج٤٨ / ٢٩٠ ح٩، ج٥٧ / ٢١٩.

(٤) أنوار المشعشعين: ج٢ / ٢٧٧.

(٥) الحياة السياسيّة للإمام الرضا عليه السّلام: ٤٢٨، عن قيام سادات علوي: ١٦٨.

لأنّها عليها السّلام إمّا أن تَصل إلى خراسان فتكون سَداً منيعاً أمام مُخَطَّط المأمون لاغتيال أخيها الإمام عليه السّلام..

وإمّا على المأمون أن يَقْتلهما معاً فتظهر للعالم جريمته العظمى..

وإمّا أنْ يَقْتُل أخيها عليه السّلام أولاً، ويذرها فتقوم بالدور الذي قامت به السيدة زينب عليها السّلام في كربلاء وبعدها..

ولذا فلايَبْعُد أن يكون المأمون قد اختار طريقاً رابعاً، وهو أنْ يقتلها أوّلاً، فقتلها بالسّمّ قبل أنْ تصل الى خراسان، بيد أهل «ساوة» المناوئين آنذاك لأهل البيت عليهم السّلام.

السيّدة المعصومة عليها السّلام في مثواها الأخير

حينما وافَتْها المنيَّة، أمَرَ موسى بن خزرج بتغسيلها وتكفينها. وحملوها الى مقبرة «بابلان»، ووضعوها على سردابٍ حُفِر لها.

ومَعَ أنّ مدينة «قم» ـ في ذلك الزمان ـ كانت مملوّةً بالرّواة والمحدّثين والعلماء وأهل العبادة وأصحاب الأئمة عليهم السّلام، ومَعَ ذلك كله لم يجد أحدٌ منهم مَنْ تكون له القابلية لدفنها عليها السّلام، فاختلفوا في مَنْ يُنزلها الى السرداب. ثم اتّفقوا على خادمٍ لهم صالح كبير السّن، يُقال له «قادر».

فلمّا بعثوا إليه رَأوا راكبيْن مُقْبلَيْن من جانب الرَّملة، وعليهما

لثام؛ فلمّا قَرُبا من الجنازة، نَزَلا السِّردابَ وأنزلا الجنازة، ودَفَناها فيه، ثم خَرَجا ولمْ يُكلِّما أحداً، وركبا وذَهبا، ولم يَدْرِ أحدٌ مَنْ هما.

وقد نُقِلت هذه الوقائع في كتاب «تاريخ قم» عن أخِ الشيخ الصدوق ـ الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه عن محمد بن الحسن بن الوليد[1].

(١) لاحظ ترجمة تاريخ قم: ٢١٣ ـ ٢١٤، عنه بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٩، وج٤٨ / ٢٩٠ ح٩.

تأريخ وفاتها عليها السّلام

نُقل أنها سلامُ الله عليها تُوفِّيت في الثاني عشر من ربيع الثاني عام ٢٠١ هـ. ق[١].

ولكن هذا لاينسجم مع ما نقله صاحب كتاب دعائم الإسلام المتوفى في ٣٦٣ هـ. ق. في كتابه شرح الأخبار من أنّ الإمام الرضا عليه السّلام أدْخِلَ على المأمون في العاشر من جمادي الآخر سنة ٢٠١ هـ.ق[٢]، ومن المعلوم أنّ الإمام عليه السلام أرسَلَ في طلب أخته المعصومة عليها السّلام بعد وصوله، وما نُقل من تأريخ وفاتها يكون قَبْل وصوله عليه السّلام إلى خراسان.

هذا بالنسبة الى اليوم والشهر الذي تُوفّيت فيه السيدة عليها السّلام، ولكنّ سنة الوفاة معلومة بحسب ما نقله في كتاب تاريخ قم[٣] وغيره من المصادر من أنها سنة ٢٠١ هـ.ق.

مضافاً الى أنّه على مرقدها الشريف ـ كما نُقل ـ صخرة كُتِبت

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٨ / ٢٥٧.

(٢) شرح الأخبار: ج٣ / ٣٤٠.

(٣) تاريخ قم: ٢١٣.

على جوانبها آية الكرسي، وجاء في وسطها: «توفيت فاطمة بنت موسى في سنة إحدى ومائتيْن ... كَتَبهُ وعملَهُ محمد بن طاهر بن أبي الحسن في اليوم الثاني من شهر رجب ٦٥٢»[١].

وعلى كل حال فَقَد فارقت روح السيدة المعصومة الحياة بعد أن تبدّدت آمالها باللّقاء بإمامها وأخيها عليه السّلام، وارْتَحَلَت بقلبٍ مليءٍ بالهموم والغصص، بعد أنْ كابَدَت صنوف الآلام والمشقة والعذاب.

ولكنّ الذي يُخفّف وطأة ذلك أنها توفّيت في عش آل محمّد، وبين شيعتهم ومحبّيهم، فسلامٌ عليها يوم وُلدَت، ويوم ماتت، ويوم تُبعث حيّةً.

تنبيه: في أن السيدة توفيت قبل أخيها الإمام

سُئل الميرزا القمي في كتابه «جامع الشتات» في أحد طبعاته الحجرية ما مضمونه:

ما هو المشهور على ألسنة الخطباء مِنْ أنّ السيّدة المعصومة عليها السّلام خَرَجت من المدينة بِقَصْدِ رؤية أخيها في طوس. وعندما وصلت بالقرب من «قم» سمعت خبر شهادته، فمكثَتْ قليلاً

---

(١) فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليهما السّلام: ٩٤.

فيها، فلم تلبث أن تُوفّيت. فكيف يُجْمَع بين ما هو المشهور وبين ما في عيون أخبار الرضا عليه السّلام، حيث إنّ الراوي يَسْأل الإمام الرضا عليه السّلام عن زيارة فاطمة بنت موسى بن جعفر بـ «قم»؟

فأجاب الميرزا القمي ـ قدّس سرّه ـ:

قد نُقِل في البحار حديثان بل ثلاثة أحاديث عن الإمام الرضا عليه السّلام تدلّ على دفن السيّدة المعصومة عليها السّلام في «قم» في زمان حياة الإمام الرضا عليه السّلام، ولم يُنْقَل خلاف ذلك[1].

فما هو منشأ هذا التَّوهُّم؟

وما هي الأحاديث الثلاثة المروية عن الإمام الرضا عليه السّلام التي تدلّ على أنها توفّيت قبله؟

وأمّا منشأ هذا التَّوَهُّم: فلعله الخلط الحاصل بين المصير الذي انتهى إليه إخوتها في شيراز وسراية الإشاعة في مرافقيهم بوفاة الإمام الرضا عليه السّلام، واستشهاد الكثير منهم، وبين ما آل إليه أمر إخوتها في ساوة.

وأمّا الأحاديث الثلاثة المروية عن الإمام الرضا عليه السّلام، فتأتيكم في الفصل التالي:

---

(١) جامع الشَّتات: ج٢ / ٧٨٦.

زيارتها

١ـ كان الإمام الرِّضا عليه السّلام يستخبِر من أهل «قم» القادمين الى خراسان للتشرف بلقائه، كان يستخبرهم عن قبر أخته فاطمة عليها السّلام، ويعرِّفهم بقدْرها وحقّها، وكان يوصيهم بزيارتها، فيسأل ابتداءً سعداً الأشعري: «ياسعدْ عندكم لنا قبر؟

ـ [فأجابه سعد]: جُعلْتُ فداك، قبر فاطمة بنت موسى عليهما السّلام.

قال [عليه السّلام]: نعم، مَنْ زارها عارفاً بحقّها فله الجنّة»[1].

وأمّا سندها، فهي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن سعد عن الإمام الرضا عليه السّلام، فهي رواية صحيحة السند.

٢ـ وأمّا الرواية الثانية فهي: عن الشيخ الصدوق عن أبيه ومحمد بن موسى بن المتوكِّل عن علي بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم بن هاشم عن سعد، فسندها يختلف عن الرواية السابقة في أول السند؛ والاختلاف الآخر أنّ الراوي هو الذي يسأل الإمام الرضا عليه السّلام، قال: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السّلام عن زيارة

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٩ / ٢٦٥ ح٤، ومستدرك الوسائل: ج١٠ / ٣٦٨ ح٣.

فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السّلام.

فقال: من زارها فله الجنّة»[١].

٣ـ وأما الرواية الثالثة المرويّة عن الإمام الرضا عليه السّلام التي يمكن أن تكون مقصود الميرزا القمي (قدس سرهّ)، ولعلّها التي عَناها بقوله: «بل ثلاثة أحاديث» نقلها في البحار، وهي نفس النّص السابق ولكن الذي يرويها مباشرةً عن الإمام الرضا عليه السّلام ـ بنقل العلامة المجلسي ـ هو إبراهيم بن هاشم[٢]، ولذلك عدَّها الميرزا القمي حديثاً ثالثاً، وعلى ذلك تكون هي الرواية الوحيدة التي رواها ابراهيم بن هاشم عن الإمام الرضا عليه السّلام بحسب نسخة كتاب كامل الزيارات التي كانت عندالعلامةالمجلسي ـ قدّس سرّه ـ.

ولكن عند مراجعة ما هو المطبوع من هذا الكتاب نلاحظ أن ابراهيم بن هاشم ينقلها عن سعد، أي نفس سند الرواية الثانية[٣].

وحينئذ تكون هذه الرواية روايةً ثالثة مروية عن الإمام الرضا عليه السّلام إنْ لم يكن قد حدث فيها سِقْطٌ في السند.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام: ج٢ / ٢٦٧ باب ٦٧ ح١، وثواب الأعمال: ٩٨، عنهما في بحار الأنوار: ج٩٩ / ٢٦٥ ح١.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٩ / ٢٦٥ ح٣.

(٣) راجع كامل الزيارات: ٣٢٤ / ح١.

وهذه الروايات تدلّ دلالة قاطعة على أنّ السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام قد تُوفّيت قبل أخيها الإمام الرضا عليه السّلام.

وأمّا بقية الروايات الواردة في فضل زيارتها عليها السّلام فثلاثة منها مروية عن الإمام الصادق عليه السّلام، وواحدة مروية عن الإمام الجواد عليه السّلام، وقد مرّ بعضها، وهي بالتفصيل التالي:

٤ـ رُوي عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

«إنّ لله حرماً وهو مكّة، وإنّ للرسول [صلّى الله عليه وآله وسلّم] حرماً وهو المدينة، وإنّ لأمير المؤمنين [عليه السّلام] حرماً وهو الكوفة، وإنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وسَتُدفَن فيها امرأة من أولادي تُسمى فاطمة، فمن زارها وجبت له الجنة»[(١)]. ثم قال الراوي: وكان هذا الكلام منه [عليه السّلام] قبل أن يولد [الإمام] الكاظم عليه السّلام، بل إنّ الإمام عليه السّلام بنفسه قال في آخر الحديث ـ كما روي ـ: «ذلك ولم تحمل بموسى أمه»[(٢)].

٥ـ ورُوي عن الإمام الصادق عليه السّلام حديثٌ آخر يشبه

---

(١) ترجمة تاريخ قم: ٢١٥، عنه في بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٦ ح٤١، وج٩٩ / ٢٦٧ ح٥.

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٢١٥، عنه في بحار الأنوار: ج٩٩ / ٢٦٧ ح٥، وج٤٨ / ٣١٧.

الحديث السابق من حيث الصدر، ولكنه يختلف عنه في آخره، فقد رُوي أنه قال:

«إنّ لله حرماً وهو مكّة، ألا إنّ لرسول الله حرماً وهو المدينة، ألا وإنّ لأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة، ألا وإنّ قم الكوفة الصغيرة.

ألا إنّ للجنّة ثمانية أبواب ثلاثةٌ منها إلى قم، تُقْبَض فيها امرأةٌ من وُلدي إسمها فاطمة بنت موسى، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنّة بأجمعهم»[١].

٦ـ وبسندٍ آخر عنه ـ أي عن الإمام الصادق عليه السّلام، كما هو المنقول في بحار الأنوار ـ: «أنّ زيارتها تعدل الجنة»[٢] وفي نسخة أخرى: «تعادل».

٧ـ ورُوي عن الإمام الجواد عليه السّلام أنّه قال:

«مَن زار عمّتي بقم فله الجنّة»[٣].

«وكان ملوك العالم وأمَراؤه من الحنفيّة والشافعيّة يتقرّبون إلى

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢٢٨ ح٥٩ عن كتاب مجالس المؤمنين للقاضي نورالله التستري.

(٢) ترجمة تاريخ قم: ٢١٥، عنه في بحار الأنوار: ٩٩ / ٢٦٧ ح٦، وج٥٧ / ٢١٩، وج٤٨ / ٣١٧.

(٣) كامل الزيارات: ٣٢٤ / ح٢، عنه في بحار الأنوار ج٩٩ / ٢٦٥ ح٣.

الله بزيارة قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليها السّلام»[١].

ويَؤُمُّ قبرها في كل يومٍ المئات بل الآلاف المؤلّفة من الزوار والمحبِّين والموالين، على مَرِّ العصور وتعاقب الأجيال.

وأمّا كيفيّة زيارتها ـ كما جاء بيانها في بحار الأنوار[٢] بعد الحديث الأول المذكور في هذا الفصل ـ:

«فإذا أتَيْتَ القبر فقم عند رأسها مستقبِل القبلة، وكَبِّر أربعاً وثلاثين تكبيرة، وسبِّح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، واحْمَد الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، ثم قل:

السَّلامُ عَلى آدَمَ صِفوَةِ اللهِ، السَّلامُ عَلى نُوحٍ نَبيِّ اللهِ، السَّلامُ عَلى إبراهيمَ خَليلِ اللهِ، السَّلامُ عَلى مُوسى كَليمِ اللهِ، السَّلامُ عَلى عيسى رُوحِ اللهِ.

السَّلامُ عَلَيكَ يا رَسُولَ اللهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يا خَيرَ خَلقِ اللهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يا صَفِيَّ اللهِ، السَّلامُ عَلَيكَ يا مُحَمَّدَ ابنَ عَبدالله خاتم النَّبيينَ.

---

(١) عن كتاب: «بعض مثالب النّواصب» المعروف بكتاب «النقض»: ٦٤٣ لمؤلفه: عبدالجليل القزويني الرازي، وقد ألّفه في عام ٦٥٠ هـ.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٩ / ٢٦٥ ح٤.

السَّلامُ عَلَيكَ يا أميرَ المُؤمنينَ عَلـيَّ بـنَ أبـي طالـبٍ وَصِيَّ رَسُولِ اللهِ.

السَّلامُ عَلَيكِ يا فاطِمَةُ سَيِّدة نساءِ العالَمينَ.

السّلامُ عَلَيكُما يا سِبطي نَبيّ الرَّحمَةِ وَسَـيِّدَي شَـبابِ أهلِ الجَنَّةِ.

السَّلامُ عَلَيكَ يا عَليَّ بنَ الحُسَينِ سَيِّد العابِدينَ وَقُـرَّةَ عَينِ النّاظِرينَ.

السَّلامُ عَلَيكَ يا مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍ باقِرَ العِلم بعدَ النَّبيِّ.

السَّلامُ عَلَيكَ يا جَعفَرَ بنَ مُحَمَّد الصَّادِقَ البارَّ الأمينَ.

السَّلامُ عَلَيكَ يا مُوسَى بنَ جَعفَرٍ الطّاهِرَ الطُّهرَ.

السَّلامُ عَلَيكَ ياعَليِّ بنَ مُوسَى الرِّضا المُرتَضى.

السَّلامُ عَلَيكَ يامُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍ التّقِيِّ.

السَّلامُ عَلَيكَ يا عَليَّ بنَ مُحمَّدٍ النَّقي النّاصِحَ الأمينَ.

السَّلامُ عَلَيكَ يا حَسَنَ بنَ عَليّ.

السَّلامُ عَلَى الوَصِيِّ من بَعدِه، اللّهُمَّ صَلِّ عَلى نُورِكَ وسِراجِكَ ووَلِيِّ وَلِيِّك وَوَصِيِّ وَصِيِّكَ وَحُجَّتِـكَ عَلـى

خَلقكَ.

السَّلامُ عَلَيك يا بنتَ رُسُول الله، السّلامُ عَلَيك يابنتَ فاطمَةَ وَخَديجَةَ، السَّلامُ عَلَيك يا بنتَ أمير المؤُمنينَ، السّلامُ عَلَيك يابنتَ الحَسَنِ وَالحُسَين، السّلامُ عَلَيك يابنتَ وَليِّ الله، السّلامُ عَلَيك يا أختَ وَليِّ الله، السَّلامُ عَلَيك يا عَمَّةَ وَليِّ الله، السّلامُ عَلَيك يا بنتَ مُوسَى بن جَعفَرٍ وَرَحمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ.

السَّلامُ عَلَيك، عَرَّفَ اللهُ بَينَنا وَبَينَكُم في الجَنَّة وَحَشَرَنا في زُمرَتكُم وَأوردَنا حَوضَ نَبيِّكُم وَسَقانا بكَأسِ جَدِّكُم من يَد عَليِّ بن أبي طالب صَلَواتُ الله عَلَيكُم.

أسأَلُ الله أن يُرينَا فيكُمُ السُّرُورَ وَالفَرَجَ وَأن يَجمَعنا وَإيّاكُم في زُمرَة جَدِّكُم مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآله وأَن لايَسلُبَنا مَعرفَتَكُم إنَّهُ وَليُّ قَديرٌ.

أتَقَرَّبُ إلَى الله بحُبِّكُم وَالبَراءة من أعدائكُم وَالتَّسليم إلى الله، راضياً به غيرَ مُنكر ولا مُستَكبر، وَعَلى يَقين ما أتى به مُحَمَّدٌ وَبه راضٍ، نَطلُبُ بذلكَ وَجهَكَ، ياسَيِّدي

اَللّهُمَّ وَرِضاكَ وَالدّارَ الآخِرَةَ.

يا فاطمةُ، اشفَعي لي فِي الجَنَّةِ، فَإنَّ لَكِ عِندَ اللهِ شَأناً مِنَ الشَّأنِ.

اَللّهُمَّ إنّي أسألُكَ أن تَختِمَ لِي بِالسَّعادَةِ، فَلا تَسلُب مِنّي ما أنَا فِيهِ، وَلا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

اَللّهُمَّ استَجِب لَنا وَتَقَبَّلهُ بِكَرَمِكَ وَعِزَّتِكَ وَبِرَحمَتِكَ وَعافِيَتِكَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ أجمَعِينَ وَسَلَّمَ تَسليماً يا أرحَمَ الرّاحِمين.

من جاور المعصومة عليها السّلام؟

قم المقدّسة
في أواخر القرن الثالث

في سنة ٢٥٦ هـ، انتقل أبو جعفر موسى المبرقع ابن الامام الجواد عليه السّلام الى قم، وكانَ أوّلَ من انتقل من الكوفة الى قم من السادات الرضوية. ثم التحقَ به بعضٌ من أهل بيته ودُفنوا في قم.

ويُستفاد من كتاب تاريخ قم ـ المترجم ـ والذي نَقَل عنه في بحار الأنوار، يُستفاد أنّ المدفونات في جوار السيدة المعصومة عليها السّلام هُنّ بنات الإمام الجواد عليه السّلام، وذلك بملاحظة النّصوص التالية:

١ـ «أول من انتقل من الكوفة الى قم من السادات الرضوية كان أبو جعفر موسى بن محمد بن علي الرضا [عليه السّلام] في سنة ست وخمسين ومائتيْن... فأتته أخواتُه: زينب وأم محمد وميمونة بنات الجواد ونزلن عنده، فلمَّا مِتْنَ دُفِنَّ عند فاطمة بنت

موسى عليهما السّلام»[١].

٢ـ وفي نصٍّ آخر: «وهو [أي موسى المبرقع] أول مَنْ دَخَلَ من السادات الرضوية قم، وكان مبرقَعاً دائماً... فجاءت إليه أخواته: زينب وأم محمد وميمونة بنات الجواد عليه السّلام، ثم بريهة بنت موسى [المبرقع] فدُفِنّ كلّهن عند فاطمة...»[٢].

ولكن لم يَذْكُر لنا أحدٌ أنّ للإمام الجواد عليه السّلام بناتاً بهذه الأسماء، حتى أن نفس الحسن بن محمد بن الحسن القمي مؤلف كتاب تاريخ قم ذكَر أنّ أولادَه هم: الإمام الهادي عليه السّلام، وموسى المبرقَع، من الذكور. ومن الإناث: خديجة، وحكيمة، وأم كلثوم[٣].

ولكن الذي يرفع الإبهام هو نصٌّ ثالث كالتالي:

٣ـ «... ثم ماتت أم محمد بنت موسى بن محمد بن علي الرضا عليه السّلام، فدفنوها في جنب فاطمة ـ رضي الله عنها ـ، ثم تُوفّيت ميمونة أختها فدفنوها هناك أيضاً وبنوا عليها[٤] أيضاً قُبّة...»[١].

---

(١) كتاب تاريخ قم المترجم: ٢١٥، عنه بحار الأنوار: ج٥٠ / ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) كتاب تاريخ قم المترجم: ٢١٦، عنه بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢٢٠.

(٣) تاريخ قم المترجم: ٢٠١، وراجع أيضاً دلائل الإمامة: ٣٩٧، والإرشاد: ٣٢٧، وإعلام الورى: ج٢ / ١٠٦.

(٤) في المصدر: عليهما، ولعله من خطأ النساخ.

فيظهر أنهنّ بنات موسى المبرقَع، حفيدات الإمام الجواد عليه السّلام لا بناته مباشرةً.

ولقد نَقَل الشيخ البهائي في كشكوله مايدلّ أيضاً على أنّهن بنات موسى المبرقع، ولكن مع شيءٍ من الإختلاف، حيث قال:

«أول مَنْ ورد من السادات الرضوية إلى قم: أبو جعفر محمد بن موسى بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السّلام. وكان ورودُهُ إليها من الكوفة سنة ست وخمسين ومائتيْن، ثم وردَ إليها بعده أخواته: زينب وأم محمد وميمونة بنات موسى بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السّلام، وتُوفي هو في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائتيْن، ودُفن بمدفنه المعروف في قم، ثم توفيت بعده أخته ميمونة، ودُفنت بمقبرة بابلان بقُبَّة ملصقة بقبّة السِّتي[٢] فاطمة سلام الله عليها وعلى أبيها وأخيها. وأمّا أم محمد فمدفونة في القبّة التي فيها السِّتي فاطمة عليها السّلام بجنب ضريحها، وفي تلك القُبَّة أيضاً قَبْر أم إسحاق جارية محمد بن موسى، ففي هذه القُبّة المقدسة ثلاثة قبور: السِّتي فاطمة عليها السّلام، وقبر أم محمد رحمها الله، وقبر أم إسحاق جارية محمد بن موسى»[٣].

---

(١) تاريخ قم: ٢١٤، عنه في بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) السِّتي: أي السيدة.

(٣) كشكول البهائي: ج١ / ٢٠٧.

ومن المعلوم أن أول من انتقل من الكوفة الى قم هو نفس موسى المبرقَع لا محمد ابنه.

والأصل في ذلك كله هو تاريخ قم ففيه:

«هناك قبتان، القُبَّة الأولى وفيها ثلاثة قبور:

١ـ قبر السيدة فاطمة عليها السّلام.

٢ـ قبر أم محمد بنت موسى المبرقَع.

٣ـ قبر أم إسحاق جارية محمد بن موسى المبرقع.

وأما القُبَّة الثانية ففيها ثلاثة قبور أيضاً:

١ـ قبر ميمونة بنت موسى المبرقع.

٢ـ قبر ام حبيب جارية أبي علي محمد بن أحمد بن موسى المبرقع.

٣ـ قبر أم القاسم بنت علي الكوكبي»[1].

---

(١) تاريخ قم: ٢١٤، عنه أنوار المشعشعين: ج٢ / ٢٦٧.

قم المقدسة
حرم السيدة المعصومة عليها السّلام
في حوالي القرن الثالث عشر

عندما كانت أَرْضيّةُ الحرم الشَّريف تُفْرَش بالحَجَر المرْمَر، انفتحت كُوَّة الى السِّرْداب..

فصار من الضّروري انتخاب أفراد لينزلوا إلى السِّرْداب لمعرفة أنّه هل هناك حاجة إلى البناء والتَّرميم أم لا؟

ولاسْتِطْلاع الوَضْع انْتُخِبَت سيدتان صالحتان، فَنَزَلتا إلى السِّرْداب مُسْتَنيرَتيْن بمصباحٍ معهما.

فَعُلِمَ أَنَّهُ سردابٌ مجاور وملاصق لقبر السيدة المعصومة عليها السّلام من طرف رِجلَيْها الشّريفتيْن.

ولكنّ الذي يُدْهش العقول ويُحيِّر الألباب، وجودُ ثلاثة أجساد مطهّرة: إمْرأة مجلَّلة تتوسَّط السِّرْداب، وإلى جانبها قد

ثُوِيَت جاريتان سوداوتان، لهما ظفائر مجعَّدة. وكانت أجسادهُنّ طريّة كأنهنّ دُفِنَّ لتوهنّ[١].

فَمَنْ هُنَّ ياترى..؟

وبمراجعة التأريخ الموجود بين الأيدي، ترتفع الحيرة والاستفهام:

ففي كتاب تاريخ قم الذي نقل عنه في بحار الأنوار:

«ثم ماتت أم محمد بنت موسى بن محمد بن علي الرضا عليه السّلام فدفنوها في جنب فاطمة ـ رضي الله عنها ـ، ثم تُوفّيت ميمونة أختها فدفنوها هناك أيضاً وبنوا عليها أيضاً قُبَّة، ودُفن فيها أم إسحاق جارية محمد، وأم حبيب جارية محمد بن أحمد...»[٢].

فما رُؤي في السرداب يكون جسد السيدة ميمونة حفيدة الإمام الجواد عليه السّلام، والجاريتان هما: أم إسحاق، وأم حبيب.

ومما سبق يُعلم أن المدفونات في جوار السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام سبعة: أربعةٌ منهن حفيدات الإمام الجواد عليه السّلام بنات موسى المبرقع، وهن: زينب وهي التي بنت أوّل

---

(١) عن إقامة البرهان: ٤٧٩، من تأليف الميرزا موسى الفراهاني، ألّفه في ١٣٠٢ هـ. ق.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.

قبةٍ على قبر السيدة المعصومة عليها السّلام، وميمونة، وبريهة، وأم محمد. وجاريتان هما: أم إسحاق، وأم حبيب، والسابعة هي أم قاسم بنت علي الكوكبي.

هذا ومن الجدير بالذكر أنّ ساحة الحرم الشريف وخارجهُ مليئة بقبور العلماء والمحدثين الذين انجذبوا الى حرم أهل البيت عليهم السّلام واستقطبتهم «قم» بعد مجيء السيدة المعصومة عليها السّلام. وقد أحصاهم الشيخ الكجوئي القمي وترجَم لهم، فبلغَ عددهم ٧٤٣[1]، منهم:

١ـ زكريا بن آدم القمي، الذي هو من أصحاب الإمام الرضا عليه السّلام، والذي ورد فيه الحديث الشريف: «... زكريا بن آدم المأمون على الدين والدنيا».

٢ـ الشيخ علي بن بابويه الذي خرج في حقّه عن الإمام الحسن العسكري عليه السّلام ـ كما في كتاب الإحتجاج ـ: «... ياشيخي ومعتمدي...»، وهو والد الشيخ الصدوق الذي وُلد ببركة دعاء الإمام المهدي عجّل الله تعالى ظهوره الشريف.

---

(١) راجع كتاب أنوار المشعشعين، ورياض المدح للشيخ الكجوئي القمي.

٣ـ محمد بن قولويه والد الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمد، صاحب كتاب كامل الزيارات.

٤ـ الشيخ هبة الله الراوندي وهو أوّل شارحٍ لنهج البلاغة.

٥ـ الميرزا أبو القاسم القمي، الفقيه المحقّق صاحب كتابَي القوانين وغنائم الأيام.

وغيرهم من الفقهاء والعلماء والمحدثين.

المعصومة تحدثنا

إنّ التَّمسُّكَ بأهل البيت عليهم السّلام تمسُّكٌ بالثِّقْل الثَّاني بَعدَ الكتاب المجيد، فقدْ قال صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«إنّي تاركٌ فيكم الثّقليْن كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي، ما إنْ تمسَّكْتُم بهما لنْ تضِلُّوا أبداً، ألا وإنَّهما لَنْ يَفْترِقا حتى يَرِدا عَلَيَّ الحوض»[1].

والتَّمسُّكُ بهم أيْ التَّمسكُ بأحاديثهم الشَّريفة، فهي المصدرُ التشريعي الثاني بعدَ القرآن الكريم، والمفسِّرةُ لمبهماته، والمبيِّنةُ لمُجْمَلاته.

ولانكون متمسِّكينَ بهم عليهم السّلام وبأحاديثهم إلاّ بأنْ نَتخلَّق بأخلاقهم، ونُترْجمَ أقوالهم إلى أفعالٍ، وإلى واقعٍ ملموسٍ في حياتنا اليوميَّة.

---

(١) حديث الثّقلين نقلته العامة والخاصّة حتى كادَ أنْ يتجاوز حدّ التواتر، وممن نقله ورواه: مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده، وإبن حجر في صواعقه، والقندوزي في ينابيع المودّة، والحافظ الطبري في ذخائر العقبى، والترمذي وابن ماجة والطبراني والثعلبي وغيرهم.

فإذا كنَّا كذلك فالرَّسولُ صلّى الله عليه وآله وسلّم يَضمنُ لنا عدمَ الضَّلالة أبداً حيث قال: «لن تَضلُّوا أبداً»، فكلمة «لن» تُفيدُ النَّفيَ إلى الأَبد.

وهذا حفيدُهُ الإمام الصادق عليه السّلام كفيلٌ بنجاتنا يوم القيامة حيث إنّه قال: «... وأحاديثُنا تَعْطفُ بَعضكم على بَعْض، فإنْ أخذتم بها رشدتُم ونَجوْتُم، وإنْ تركتموها ضَللتم وهلكتم، فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم»[١].

ومن هنا نُدْرك مدى ما تَحمَّلَهُ نَقَلَةُ الحديث والرُّواة، وما كابَدوهُ من أعباء ثِقال حتَّى تَصِلَ إلينا هذه الكنوز المذخورة عَبْرَ الأجيال والقرون.

وفي بيان فضل الرُّواة قال الإمام الصادق عليه السّلام:

«الرَّاوية لحديثنا يَشُدُّ به قلوبَ شيعتنا أفضلُ من ألف عابد»[٢].

وإنْ القلوبَ لتَرين كما يَرينُ السَّيْف، وجَلاؤها الحديث[٣]، وخير الحديث أحاديث أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السّلام.

وهذه سيدتُنا ومولاتُنا فاطمة المعصومة عليها السّلام تُحدثنا عن أمِّها سيدة نساء العالمين بأحاديثَ يجدُرُ أنْ تُكتَبَ بأحرف من

---

(١) الكافي: ج٢ / ١٨٦ ح٢.

(٢) الكافي: ج١ / ٣٣ ح٩.

(٣) مضمون حديث نقله في الكافي: ج١ / ٤١ ح٨، والرَّيْن: أي الصَّدَأ والدَّنَس.

نور، فهي خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، فعن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«حديثٌ في حلالٍ وحرام تأخذُهُ من صادقٍ خيرٌ من الدُّنيا وما فيها من ذهبٍ أو فضّة»[١].

تحدثنا عليها السلام عن يوم الغدير

[٢]... حدّثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرِّضا [عليهم السّلام].

---

(١) المحاسن: ج١/٣٥٨ ح١٦٨، عنه في بحار الأنوار: ج١/٢١٤ ح١٣.

(٢) قال في أسنى المطالب ص٤٩: ... فألطف طريقٍ وقَعَ بهذا الحديث [أي حديث الغدير] وأغْربه، ما حدّثنا به شيخنا خاتمة الحفّاظ أبو بكر محمد بن عبدالله بن المحبّ المقدسي مشافهةً، [قال:] أخبرتنا الشيخة أم محمد زينب إبنة احمد بن عبدالرحيم المقدسيّة عن أبي المظفّر محمد بن فتيان بن المسيني، أخبرنا أبو موسى محمد بن أبي بكر الحافظ، أخبرنا إبن عمّة والدي القاضي أبو القاسم عبدالواحد بن محمد بن عبدالواحد المديني بقرائتي عليه، أخبرنا ظفر بن داعي العلوي بإستراباد، أخبرنا والدي، وأبو أحمد بن مطرف المطرفي، قالا: حدّثنا أبو سعيدٍ الإدريسي إجازةً ـ فيما أخرجه في تاريخ إستراباد ـ، حدّثني محمد بن محمد بن الحسن أبو العباس الرَّشيدي ـ من وُلْد هارون الرَّشيد بسمرقند، وما كتبناه إلاّ عنه ـ، حدّثنا أبو الحسن محمد بن جعفر الحلواني، حدّثنا علي بن محمد بن جعفر الأهوازي، مولى الرّشيد، حدّثنا بكر بن أحمد القصري، حدّثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرضا [عليه السّلام]....

حدّثتني فاطمة وزينب وأمّ كلثوم بنات موسى بن جعفر [عليهم السّلام]، قُلْنَ:

حدّثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق [عليهم السّلام].

حدّثتني فاطمة بنت محمد بن علي [عليهم السّلام].

حدّثتني فاطمة بنت علي بن الحسين [عليهم السّلام].

حدّثتني فاطمة وسُكينة ابنتا الحسين بن علي [عليهم السّلام].

عن أم كلثوم بنت فاطمة بنت النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم ورضيَ عنها، قالت:

«أَنسيتُم قولَ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يومَ غديرخُمّ: مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه؟

وقوله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم:

أنت منّي بمنزلة هارون من موسى عليه السّلام؟».

بشائر لشيعة علي عليه السّلام:

وكذلك تحدّثنا السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام[1] - بنفس السَّنَد السابق - عن جدَّتها فاطمة الزَّهراء عليها السّلام أنّها قالت:

---

(١) حدّثنا محمد بن علي بن الحسين، قال: حدّثني أحمد بن زياد بن جعفر، قال: حدّثني أبو القاسم جعفر بن محمد العلويّ العريضي، قال: قال أبو عبدالله أحمد

«سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: لمَّا أسْرِيَ بي إلى السّماء، دَخَلْتُ الجنَّة فإذا أنا بقَصْرٍ من درّة بيضاء مجوّفة، وعليها بابٌ مكلَّلٌ بالدُّرِّ والياقوت، وعلى الباب سِتْرٌ، فرفعتُ رأسي فإذا مكتوبٌ على الباب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليٌّ وليُّ القَوْم. وإذا مكتوبٌ على السّتْر: بَخ بخ[1] مَنْ مثل شيعة علي عليه السّلام؟

فدخلْتُهُ فإذا أنا بقصْرٍ من عقيق أحمر مجوَّف، وعليه بابٌ من فضّة مكلَّل بالزّبرجد الأخضر، وإذا على الباب سِتْر، فرفعْتُ رأسي فإذا مكتوبٌ على الباب: محمّد رسول الله، عليّ وصيّ المصطفى، وإذا على السّتْر مكتوب: بَشِّر شيعة عليٍّ بطيب المولد.

فدخلْتُهُ فإذا بقصر من زمرّد أخضر مجوَّف لَمْ أرَ أحسن منه، وعليه بابٌ من ياقوتة حمراء مكلَّلة باللّؤلؤ وعلى الباب سِتْر، فرفعْتُ رأسي فإذا مكتوبٌ على السّتْر: شيعةُ عليٍّ هم الفائزون.

ابن محمد بن خليل، قال: أخبرني علي بن محمد بن جعفر الأهوازي، قال: حدّثني بُكيْر بن أحنف، قال: حدّثتنا فاطمة بنت علي بن موسى الرّضا [عليهم السّلام]، قالت: حدّثتني فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر [عليهم السّلام]....

(١) بَخ بخ: بتسكين الخاء أو تنوينها بتنوين الكسر، كلمةٌ تقال عند التعظيم والإعجاب بشيء، أو عند المدح والرِّضا بشيءٍ، وتكرَّر للمبالغة. [لسان العرب: ج٦/٣ باب الخاء فصل الباء.

فقلتُ: حبيبي جبرئيلْ لمن هذا؟

فقال: يا محمّد! لابن عمّك ووصيِّك علي بن أبي طالب عليه السّلام. يُحْشرُ النّاس كلّهم يوم القيامة حفاةٌ عراة إلاّ شيعة علي عليه السّلام، ويُدعى النّاس بأسماء أمّهاتهم إلاّ شيعة عليٍّ عليه السّلام، فإنّهم يُدعَوْن بأسماء آبائهم.

فقلْتُ: حبيبي جبرئيلْ وكيف ذاك؟

قال: لأنّهم أحبُّوا عليّاً عليه السّلام فطابَ مولدُهم[١].

الموت على حب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

عن فاطمة بنتُ موسى بن جعفر عليهما السّلام[٢].

عن فاطمة بنت الصادق جعفر بن محمد عليهما السّلام.

عن فاطمة بنت الباقر محمّد بن عليٍّ عليهما السّلام.

---

(١) كتاب المسلسلات: ٢٥٠ [ضمن مجموعة كتب أخرى].

(٢) عن فاطمة بنت الحسين الرّضوي، عن فاطمة بنت محمد الرَّضوي، عن فاطمة بنت إبراهيم الرَّضوي، عن فاطمة بنت الحسن الرَّضوي، عن فاطمة بنت محمد الموسوي، عن فاطمة بنت عبدالله العلوي، عن فاطمة بنت الحسن الحسيني، عن فاطمة بنت أبي هاشم الحسيني، عن فاطمة بنت محمد بن أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت أحمد بن موسى المبرقع، عن فاطمة بنت موسى المبرقع، عن فاطمة بنت الإمام أبي الحسن الرِّضا عليه السّلام، عن فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما السّلام،...

عن فاطمة بنت السجّاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السّلام.

عن فاطمة بنت أبي عبدالله الحسين عليه السّلام.

عن زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السّلام.

عن فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قالت:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«ألاَ مَنْ مات على حبّ آل محمّد ماتَ شهيداً»[1].

ورَوى الزّمخشريّ في الكشّاف هذا الحديث بسندٍ آخر وتفصيلٍ أكثر، نذكُرهُ إتماماً للفائدة.

قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«مَنْ ماتَ على حُبِّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومَن ماتَ على حُبِّ آلِ محمّد بَشَّرهُ مَلَك الموت بالجنّة ثم مُنكر ونكير، ألا ومَن مات على حُبِّ آل محمّد يُزَفُّ الى الجنّة كما تُزفُّ العروس الى بيت زوجها، ألا ومَن ماتَ على حبِّ آل محمّد فُتِحَ لهُ في قبره بابان الي الجنّة، ألا ومَن مات على حُبِّ آل محمّد جَعَلَ اللهُ قبرَهُ مزارَ ملائكة الرّحمة، ألا ومَن ماتَ على حبِّ آل محمّد ماتَ على السُّنّة والجماعة، ألا ومَن ماتَ على بغض آل محمّد جاء يوم

---

(١) عوالم العلوم: ج٢١ / ٣٥٤.

القيامة مكتوبٌ بين عينيْه آيسٌ من رحمة الله. ألا ومَن ماتَ على بُغض آل محمّد ماتَ كافراً، ألا ومَنْ مات على بُغْض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة[1].

(١) الكشّاف: ج٤ / ٢٢٠ في تفسير آية «قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى».

معجزاتها وكراماتها

- ماهي المعجزة؟ ولماذا يؤتى بها؟
- هل تفترق الكرامة عن المعجزة؟
- التفسير المادي للمعجزات
- إزاحة شبهة

ماهي المعجزة؟ ولماذا يؤتى بها؟

المُعْجِز في اللغة: عبارة عما يُعْجِزُ الغَيْر.

وإصطلاحاً يُطلق على كل خارقٍ للعادة، يظهر من جهة الله تعالى، دالٍّ على صِدْق مَنْ ظَهَرَ عليه[١].

وخَير تعريفٍ وأشملُهُ ما بيّنهُ الإمام الصادق عليه السّلام عندما سألَهُ أبو بصير ـ أحدُ أصحابه ـ فقال: «قلتُ لأبي عبدالله عليه السّلام، لأيِّ علّة أعْطَى اللهُ عزّوجلّ أنبياءَه ورسلَهُ، وأعطاكم المعجزة؟

فقال [عليه السّلام]: ليكون دليلاً على صِدْق مَنْ أتى به.

والمعجزةُ: علامةُ الله، لايُعطيها إلاّ أنبياءَه ورسلَه وحُجَجَه، لِيُعْرَفَ به صدق الصادق [من كذْب الكاذب]»[٢].

١ـ فالمعجزةُ أمرٌ خارقٌ للعادة، أي تخالف العادة والمألوف ولاتخالف العقل والإمكان، فلاتشمل الحِيَل وما أشبه من وسائل التّلبيس والتمويه كالسِّحر في مرتبته الدُّنيا والسفلى، فهذه الأمور ليست خرقاً للعادة.

---

(١) راجع المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد: ص٣٨٤.

(٢) علل الشرائع: ج١ / ١٢٢ ح١.

وقد يَهَبُ اللهُ تعالى لأحد ما قدرَةً ليست موجودة عند عامّة النّاس فيُتَوَهَّم أنّها خارقة للعادة، كالتي ادّعَت النبوّة[1]، واتّخَذَت من قدرة إبصارها القويّة لتُوْهِم النّاس بنزول الوحي عليها، فقد كانت حادّة البَصَر بحيث ترى لمسافة ثلاثة أيّام من الطّريق، فترى القافلة والأشخاص التي فيها، وتُخْبرُ النّاس بمجيئهم بعد ثلاثة أيّام، وتُخبرهم بما معهم من المتاع.

فهذا ليس إعجازاً وخَرْقاً للعادة، وإنْ كانت العادةُ أنّ الإنسان لايَرى إلى هذه المسافة، ولكن يُمكنُ ذلك إذا امتَلَكَ قُدرَةً حادّةً على الإبصار، كالقدرة التي كانت عند هذه المرأة.

ولزيادة إيهام النّاس إتّخذَتْ من شبيب بن ربعي مُؤذّناً لها، إذْ كان يُسمَعُ نداؤُه على بُعْد مسافات كبيرة.

وهذا العبّاس بن عبدالمطّلب كان يُسمَعُ نداؤه على بُعْد ثمانية أميال،[2] ولذا كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في بعض المواطن، يَطلبُ من عمه العبّاس أن يعينَه بصوته.

وإلى غير ذلك من أمثال هذه القُدُرات مما يُظنُّ أنّها من خوارِق العادات.

---

(١) وهي سَجَاح التّميميّة، مثل قولك حَذَامِ.

(٢) عيون الأخبار ـ لابن قتيبة: ج١ / ١٨٦.

بل إنّ الله تعالى قَدْ أوْدَعَ أمثال هذه القُدُرات في بعض الحيوانات.

هل رأيتَ النّسور كيفَ تُحلّقُ في السّماء فترى فريستها على أبعاد شاهقة قد تبلغ مئات الأقدام؟[١]

أم هل رأيتَ النَّعام كيف يبتلع الجَمْر ولايُبالي؟[٢]

أم هل سَمعْتَ أو رأيْتَ السَّمَنْدَل كيف يدخل النّار فلاتُحرقهُ؟[٣]

أليس كل ذلك وكثير من أمثاله مما يُعَدُّ في بادئ الأمر أنّه خَرْقٌ للنَّواميس، مَعَ أنَّه واقعٌ محسوس، ومُعايَنٌ مشهود؟

وهكذا لايُعدّ معجزةً ما وصلت إليه بعض القمم البشرية وإنْ عجز عنها بقية البشر، كشهنامة الفردوسي[٤] ـ مثلاً ـ في الحماسة،

---

(١) في سبيل موسوعة علمية: ١٧٨.

(٢) حياة الحيوان الكبرى: ج٢ / ٣٦٣.

(٣) المعجم الزولوجي الحديث: ج٣ / ٤٣٩، وحياة الحيوان الكبرى: ج١ / ٥٧٣.

(٤) أبو القاسم الفردوسي الطوسي: أعظم شعراء الفرس، صاحب الشهنامة المشهورة، وهي ملحمة تاريخية مليئة بالقصص والمواعظ والعبر والأخلاق، بلغة سهلة تدخل القلب، وهي من كنوز اللغة الفارسية، وقد أجمعوا على اعتبارها أدباً عالياً وشعراً في أسمى طبقة، ولا نظير لها في البلاغة والأدب الفارسي. وهي في ما يُقارب الستين ألف بيت من الشعر، نظمها في ثلاثين سنة، أنهاها في حوالي سنة

فهو يظلّ عملاً بشرياً تربّع القمّة لإمكان أنْ يؤتى بمثله وإنْ لم يتحقق في الخارج فعلاً، ولكن المعجزة عملٌ خارج عن قدرة البشر، وليس لها نظير على المستوى البشري.

٢ـ وهذا الخارق للعادة يلزم أن يكون من جهة ومن قِبَل الله تعالى، ﴿**وما كان لرسول أن يأتي بآية[١] إلاّ بإذن الله**﴾[٢]. فقد يؤتى بأمرٍ خارقٍ للعادة ولكنه ليس من قِبلَه تعالى، كالسِّحر في مرتبته العليا بإعمال النّواميس، وكخَوارق العادات التي يأتي بها المرتاضون على أثر تقوية النّفس بالرِّياضة والزّهد في الدنيا، والكَفّ عن الملاذ من المآكل والمشارب والمناكح والملابس.

وهؤلاء لاحظ لهم في الدِّين ولاثواب، إذ هكذا رياضات تُخالف جوهر الدّين، وإنّما الرِّياضة الرُّوحيّة الوحيدة في الإسلام هي التّقوى، يعني عدم اتّباع هوى النّفس، والعمل على طبق الأوامر الإلهيّة، فبالتقوى تسمو وتقوّى الرُّوح، وترتقي مدارج الكمال، فتكون مورد العناية الرَّبّانيَّة.

---

٤٠٠ هـ. ق. ولم يبلغ شأوه في النظم الفارسي مَنْ قبله، ولم يأتِ بمثله مَنْ بعده. نُقلت عنه أبيات تدلّ على تشيّعه.

(١) بآية: أي بمعجزة.

(٢) سورة غافر، الآية ١٧٨.

٣ـ وقد يكون الأمر خارقاً للعادة ويكون من قِبَل الله تعالى، ولكنّه ليس على وجهٍ يُبيِّنُ صدق دعوى المدَّعي، بل يأتي تكذيباً لما ادّعاه.

مثل مارُوي أنه قيل لمسيلمة الكذّاب[١]: إنّ محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم تَفَلَ في بئرٍ فكثَّرَ اللهُ ماءَهُ القليل، فاتْفِلْ أنتَ في بئرٍ قليل الماء!!

فتَفَل فغار ما كان فيه من الماء وصار كالجبوب[٢].

وقيل له أيضاً: إنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم دعا لأعورٍ فَرَدَّ اللهُ عينه، فافعلْ أنت مثله!!

فدعا لأعورٍ فذهبت عينهُ الأخرى الصحيحة[٣].

فهذه الأمور وإنْ كانت خرقاً للعادة، ومِن جهة الله تعالى، ولكنّها نقيض ما الْتمسَهُ مسيلمة المدَّعي للنبوة، وذلك مبالغةً في تكذيبه وتقريراً لنبوّة نبيّنا صلّى الله عليه وآله وسلّم وتصديقاً له.

---

(١) الذي ادّعى النبوة في زمان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٢) كالجبوب: أي صار كوجه الأرض.

وهذه المعجزة التي للنبي نُقلت في تعداد معاجزه صلّى الله عليه وآله وسلّم في ص٣٢٩ من كتاب قرب الإسناد، عن الحسن بن ظريف، عن معمر، عن الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر عليه السّلام: ح١٢٢٨ / ٣١٧.

(٣) مناهج اليقين في أصول الدين: ٢٨٤، والمنقذ من التقليد والمرشد الى التوحيد: ٤١٣.

فيلزم حصول المطابقة بين دعوى المدَّعي لأمرٍ وبين المعجزة حتى تدلّ على صدقه في ما ادّعاه.

فـ«المعجز إنما يدل على صدق دعوى تُطابق المعجز، فإن ادّعى مدَّعٍ النبوّة، فالمعجز دالٌّ على نبوته، وإنْ ادّعى إمامةً فكذلك [أي أن المعجز دالٌّ على إمامته]، وإن ادّعى صلاحاً وفضلاً، فإنّما يدلّ على صدقه في ذلك»[1].

فالمعجزة كما تظهر بيد الأنبياء، تظهر بواسطة الأولياء والصّلحاء، دالةً على صلاحهم وقربهم من الله تعالى، وإنْ سُمِّيت كرامةً.

هنا يتداعى سؤالٌ وهو:

هل تفترق الكرامة عن المعجزة؟

فَرَّقَ بعضٌ بين المعجزة والكرامة بأنّ المعجزة تختصّ بالأنبياء والكرامة بالأولياء.

والظّاهر أنه لافرق بينهما من هذه الجهة، إذ ربما يأتي الولي بما يأتي به النبي من المعجزة كشفاء المرضى. فلماذا يسمَّى أحدهما معجزة، والآخر كرامة؟

---

(١) الذخيرة في علم الكلام: ٣٣٢.

وذلكم القرآن الكريم شاهدُ صِدْقٍ على ذلك، فقد ذكَرَ أمثلةً متعدّدة في ذلك، كحَمْل السيّدة مريم بلا دَنَس، وكقصة أصحاب الكهف الذين لبثوا في كهفهم أكثر من ثلاثمائة سنة، وإتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس حيث قال لسليمان النبي عليه السّلام: ﴿**أنا آتيكَ به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك**﴾[1]، وما إلى ذلك من خوارق العادات التي صَدَرت من غير الأنبياء، وجاء ذِكرها في القرآن المجيد وسائر الكتب السماوية.

وفَرَّق آخرون بينهما بأنّ المعجزة هي ما ظهرت على وجه التّحدي، والكرامة ما ليس فيها تَحَدّ.

ولعله يمكن القول بأنّ مايأتي به الولي يَصْدرُ منه أيضاً على وجه التحدي وإنْ لم يكن تحدياً على نحو القول، بل كان على نحو الفعل أو على نحو التّحدي المضْمَر، فالمريض الذي يعجز عن علاجه حَذَاقَةُ ومَهَرةُ أطباء البشر، يُشفى على أعتاب السيدة فاطمة المعصومة عليها السّلام، والسيدة زينب عليها السّلام، ومَن كان ذا جاهٍ عند الله تعالى من الأولياء والصالحين.

---

(١) سورة النمل: الآية ٤٠.

أفلا يُعَدُّ هذا تحدّياً لأطباء العالم؟ فلماذا يُسمَّى كرامة، ولايصحُّ أن يُسمَّى معجزة؟ علماً أنّ النبي قد يأتي بمثل ما أتى به الولي كشفاء المرضى، ولم نقرأ أو نسمع أحداً سمّاه كرامة!!

فيبدو أن كلمة (كرامة) ليست سوى اصطلاحاً مستحدثاً، حيث إنّ المعتزلة والحَشَويّة سمّوا المعاجز بالكرامات[1].

أو لعلها من مخترعات الصوفيّة، نحلوها أولياءَهم، ثم تسرّبت منهم الى غيرهم.

وقد أَلْحَقَ البعضُ المعجزةَ بالكرامة وأنها مصطلح في علم الكلام.

والحقّ أن المعجزة وإن لم يَرِدْ ذكرها في القرآن الكريم بهذا اللفظ، ووردت بكلمة آية كما في قوله تعالى: <**وما كان لرسول أن يأتي بآية إلاّ بإذن الله**>[2]، ولكن قد ورد ذكرها في الروايات المتعدِّدة، كما مرَّ عليكم واحدة منها، حيث سأَل أبو بصير الإمام الصادق عليه السّلام فقال:

«لأيّ علّةٍ أعطى الله عزّوجلّ أنبياءَه ورسله، وأعطاكم المعجزة؟

---

(١) لاحظ بحار الأنوار: ج٥١ / ٢٠٦ نقلاً عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي.

(٢) سورة غافر: الآية ٧٨.

فقال عليه السّلام: ليكون دليلاً على صدق مَنْ أتى به. والمعجزة علامة الله لايعطيها إلا أنبياءَه ورسله وحججه...»[1].

ومما يجدر الإلتفات إليه: أنّ في هذه الرواية شاهدان على عدم الفرق بين مايأتي به النبي أو الإمام أو الولي من خوارق العادات.

الشاهد الأول في سؤال السائل حيث قال: «وأعطاكم المعجزة» أي أعطى الأئمة عليهم السّلام المعجزة، فيشمل لفظ المعجزة الأنبياء والأئمة عليهم السّلام بتقرير الإمام وعدم ردّه.

والشاهد الثاني في بيان الإمام عليه السّلام نفسه، حيث جعل المعجزة علامة الله لحججه كما هي علامة لأنبيائه ورسله.

وهم عليهم السّلام حجج الله على الخلق أجمعين.

وليست كلمة «حججه» عطفاً تفسيرياً على كلمتي «أنبياءه» و«رسله» وإن أمكن صدق ثلاثتها في شخصٍ واحد.

النتيجة:

إنه لافرق بين المعجزة والكرامة.

وأن (الكرامة) إصطلاح مستحدث ومخترع، دون (المعجزة)، فهي قد وردت في الروايات وأخبار أهل البيت عليهم السّلام.

---

(١) علل الشرائع: ج١ / ١٢٢ ح١.

التفسير المادي للمعجزات:

ومما سبق يظهر زيف من أنكر المعجزات بحجة أنها تخالف قانون العقل، وأنها أمور غيبية، والإيمان بالغيبيات سببٌ لتأخر المسلمين وبُعْدهم عن التطورات العلمية والحضاريّة.

وقاسوا المعجزات والغيبيات بالنظريات العلمية التي أتى بها أمثال بطليموس وعلماء اليونان وغيرهم، من كون الأرض منبسطة، وأن الكون أمر بسيط لايُخترق، ونظرية الأفلاك السبعة. حيث ظهر أنّ الأرض كروية، والكون أمر مركب قابل للإختراق بسقوط النيازك والشهب، ونحو ذلك من النظريات التي ثبت بطلانها.

فجعلوا المعاجز والغيبيات كالفرضيات والنظريات العلمية القابلة للتبدّل والتغيّر.

فأخذوا يفسرون المعاجز بتفسير مادي طبيعي منسلخٍ عن كل ما هو غيبي. فلم يقبلوا من معاجز النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلاّ معجزة القرآن لأنه معجزة عقلية، وفسّروا المعاجز الأخرى بتفسيرات مادية طبيعية، ولو مع التَّكلُّف.

ويكفي مثالٌ واحد لبيان هذه النظرية:

وهو تفسيرهم لما ورد في سورة الفيل في قوله تعالى: ﴿وأرسَلَ عليهم طيراً أبابيل ≅ ترميهم بحجارةٍ من سجّيل﴾[١] بأن الحجارة كانت ملوثة بالوباء والمرض، أو أنها كناية عن الوباء، فلم تتمكن عقولهم من هضم أنّ الحجارة الحقيرة بواسطة طيور صغيرة يكون لها هذا التأثير في إبادة جيش جرّار على فِيَلَةٍ عظيمة الجُثَّة!

فهم من ناحية لايستطيعون إنكار معاجز القرآن...

وهذه المعاجز لاتوافق قوانين الطبيعة من ناحية أخرى، فلجأوا الى هذا التفسير.

وممن يقول بهذه النظرية بعض الكتّاب المصريين مثل محمد عبده[٢]، وسيد قطب[٣]، ومحمد حسين هيكل[٤].

وانْسَحبَ هذا الخط إلى بعض من يتزيّا بالفكر الشيعي، وسَرى الى بعض ضعاف العقيدة والإيمان، معلّلاً بأن ماذكروه يوافق العقل، وخلافه مما لايقبله العقل وأشبه بالأَساطير.

---

(١) سورة الفيل: الآية: ٣ ـ ٤.

(٢) راجع تفسير جزء عمّ لمحمد عبده: ص ١٢٠ / سورة الفيل.

(٣) راجع تفسير سيد قطب في ظلال القرآن في مواضع متعدّدة.

(٤) حياة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم: ٦٤.

ولذلك، لابأس بالتعرض لهذه النظرية ووضعها على طاولة التشريح ومناقشتها في النقاط التالية:

١ـ هل المعجزات تخالف قانون العقل؟

٢ـ هل الإيمان بالأمور الغيبية تأخُّرٌ وانحطاط، وسببُ تخلُّف المسلمين؟

٣ـ وهل تُقاس المعجزات والغيبيات بنظريات البشر؟

وأمّا الأمر الأوّل:

إنّ المعجزات لاتخالف قانون العقل، بل هي علامات وآيات ممكنات في حدّ ذاتها وغير مستحيلة، فما يخالف قانون العقل هو ما كان مستحيلاً وغير ممكنٍ، والمستحيل، إمّا مستحيلٌ بالذات، وإما بالعرض، كوجود شريكٍ للباري، واستحالة اجتماع النقيضين والضدين، وكاستحالة جعلِ الدنيا على كبرها في بيضةٍ على صغرها، لأنّ المحلّ غير صالح، فالنقص من جهة المقدور والبيضة لا من جهة القدرة.

وأما مثل انقلاب العصا الى ثعبان، وتكلم الحصا، ومشي الشجرة، فلايستلزم اجتماع النقيضين ولايستلزم أي استحالة عرضية، غاية ما هنالك أن الثعبان ـ مثلاً ـ يمرّ بعدّة مراحل حتى يصبح حيواناً متكاملاً، وبالمعجزة تُختصر تلك المراحل ـ بإرادة الله تعالى ـ الى مرحلة واحدة. فالإرادة الإلهية التي تقتضي المرور

بمراحل متعدّدة، هي التي اقتضت المرحلة الواحدة. فأي مانعٍ أو غرابةٍ في ذلك، سوى أنه مخالفٌ للمألوف والمعتاد، ومخالفة المألوف والمعتاد هو معنى المعجزة وإلاّ حصل نقض الغرض منها.

ثم إنّ بَدْأ الخلْقة على خلاف القوانين الطبيعية كخلقة آدم وحواء وابتداء خلق السماوات والأرض، فهل يمكن إنكار كلّ ذلك؟

الأمر الثاني:

وهو كون المعجزات أموراً غيبية، والغيبيات تجعل حياتنا قائمة على الحدس والتخمين لا على العلم واليقين، فيكون سبباً لتأخّر المسلمين عن ركب الحضارة والتقدم.

فهذا الإشكال إمّا يدل على جهل المستشكل، وإمّا يدلّ على خبثه واستنزافه لقوى المسلمين بهذه الشبهات وإيقاعهم بهذه المغالطات. إذ العلم واليقين لاينحصر بالتجريبيات والمحسوسات، بل هناك طرق أخرى لتحصيل العلم واليقين كما في الأوليات والوجدانيات والفطريات والمتواترات ونحو ذلك مما يؤدي الى القطع واليقين كالروايات الصحيحة والموثقة ـ وليس هنا محل البحث في تفصيل ذلك ـ.

والمعاجز من الأمور الثابتة بالتواتر في جميع الأديان والكتب السماوية حتى المحرّفة منها، أي لايمكن أن تجتمع هذه العدة الكثيرة على الكذب في نقل تلك المعاجز.

كما ثبتت هذه المعاجز في الإسلام بالروايات المتواترة والصحيحة أو الموثقة، فضلاً عن التّصريح بها في القرآن الكريم. وتفسيرها على خلاف ذلك، تفسيرٌ على خلاف النص والظاهر، يأباهُ العقل والذوق السليم، وإنكار للقرآن الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وتفسيرهم الحجارة التي حملتها الطير الأبابيل بالوباء والطاعون لايسلخها عن الأمر الغيبي:

فما الذي أرشدَ هذه الطيور إلى حمل حجارة ملوثة دون غيرها من الطيور؟

ومَنْ الذي دَلَّهم على هذه الحجارة دون غيرها من الأحجار؟

وكيف توجّهت أجهزة راداراتها الى جيش أبرهة دون غيرهم من أهل مكّة؟

وكيف أن هذه الأمراض المعدية والمسرية ضَلَّت طريقها الى أهل مكة وغيرهم، ولم تُبصر إلاّ جيش أبرهة؟!!!

فَهذا وقوعٌ مما فرّوا منه..

وإنكار كل ما هو غيبي يعني إنكارُ الله تعالى، وإنكارٌ للوحي، والمعاد وأحوال الجنة والنار، وهذا ما يهدف إليه أعداء الدِّين.

كما أنّ هذا يعني أن نشطب بالخط الأحمر على الآيات التي تذكر الغيب والغيبيات وتمدح المتقين لاتصافهم بذلك، كقوله

تعالى: ﴿الم ۞ ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين ۞ الّذين يؤمنون بالغيب﴾ [1].

ثم إنّ حياة البشر المادية قائمة على أمور غيبيّة ولاتنفك عنها:

فانتهاؤك بنهي الطبيب عن أكْلَةٍ معينة وإلاّ أصبت بمرضٍ، مع أنك لم تر المرض، ولم يقع بعدُ.

وإيعادُك للطفل في البيت، أو للموظف في الدّائرة، بهديةٍ وجائزة إنْ أتى بعملٍ معيَّن. فيُصدِّقك الطفل أو الموظف فيأتي بذلك العمل رجاء الحصول على الهدية.

وإذا سمعت في نشرة الأرصاد الجوِّية أن الجوّ سيكون ممطراً أو عاصفاً، أخَذْتَ للبرد عُدَّتَه، ولبست الثياب الشتوية وحملت المظلّة لتقيك المطر، ولم تخرج لصيد السمك، مع أنك لم ترَ بعد أي مطر أو عاصفة!!

وكل أمّةٍ تعتزّ بتاريخها وحضارتها مع أنها لم تدركها ولم تر شيئاً منها.

فكيف تؤمن بقول طبيب الأبدان، ولاتؤمن بقول خالق هذا الطبيب؟ ولا تؤمن بأقوال أطباء النفوس والأبدان وهم الأنبياء والمعصومون عليهم السّلام؟

---

(١) سورة البقرة: ١ ـ ٣.

وكيف تؤمن بوعدِ ووعيد انسان مثلك، ولاتؤمن بِوَعْد ووعيد خالقه؟

وكيف تؤمن بقول راصد الأحوال الجوية؟ ولا تؤمن براصد الأحوال كلها وهو الله تعالى أو مَنْ كانوا من قِبَله وهم حُجج الله على خلقه؟

وهذا إنْ دَلَّ على شيءٍ فإنما يدلّ على ضعف الإيمان بالله وبحُججه عليهم السّلام.

فيلزم علينا معالجة الخلل الذي دَبَّ فينا، وقَطْع جذور السُّوسَة التي نَخَرت في شجرة إيماننا، وهذا لايكون إلاّ بالرجوع إلى أولياء ديننا عليهم السّلام، والتشبّث بهم وأخذ الحلول منهم.

الأمر الثالث:

وهو قياسهم المعاجز والغيبيات بنظريات البشر، فهو قياسٌ باطلٌ. إذ لاشك ولاريب في إمكان تبدّل وتغيّر كل ما يتعلّق بأنظار البشر، كالإعتقاد السائد في العصور القديمة ببساطة الكون وانبساط الكرة الأرضية واستوائها، فظهر تركّب الكون، وكروية الأرض. أو تظهر أقراصٌ على أنّها لمرض القلب، فيُكتشف لاحقاً أنها خطيرة على القلب. أو أن فيلسوفاً كان يقول في البداية بأصالة الماهية، فينقلب نظره في آخر عمره إلى أصالة الوجود. وممّا كان ممتنعاً ومحالاً عند علماء الفلك أن تشرق الشمس من المغرب بعد أن

كانت تطلع من المشرق، فقد اكتشفوا لاحقاً[1] أن كوكب المريخ سيقف عن حركته المعتادة، ثم سيتحرك في الإتجاه المعاكس، وهذا يعني أن الشمس ستطلع من مغرب المريخ. وأن هذه الظاهرة ستحدث لكل الكواكب في يوم من الأيام بما فيها ا لأرض.

وهكذا تتبدل النظريات البشرية فتنسِف ما قبلها، وتنقلب فتناقض سابقتها، وتلعن أختها.

علماً أنّ هذه الإكتشافات الأخيرة واللاحقة قد أخبر بها القرآن المجيد وروايات أهل بيت العصمة والطهارة قبل أربعة عشر قرناً.

وما أخبر به القرآن والعترة الطاهرة لايتبدّل ولايتغيّر إلاّ ما كان راجعاً إلى لوح المحوّ والإثبات، وهو ـ بحسب الظاهر ـ قليلٌ بالقياس إلى غيره.

فاتّضح أنّ هذه النظرية ـ نظرية التفسير المادي والطبيعي للمعاجز ـ نظريةٌ واهية لاتقوم على أساس إلاّ من جهة ضعف إيمان أبناء المسلمين، أو من جهة إيمان أعداء الإسلام بأن قوة الإسلام والمسلمين تكمن في هذه الغيبيات، فانْبَروا بمعولهم لهدم هذا الركن الركين.

---

(١) في هذه السنة الميلادية: ٢٠٠٤.

إزاحة شبهة:

النظرية السابقة أنكرت وجود المعجزات، وفسرتها بتفسير مادي طبيعي، وفي مقابلها ـ تماماً ـ نظرية تقول بلزوم وجود المعجزات دائماً وأنْ ينتصرَ اللهُ تعالى لأوليائه بالمعجز في كل آنٍ، وإلاّ لزم الإغراء بالجهل، وإيقاع الناس في الشّبهات.

١ـ هذا الحسين بن روح ـ قدس الله روحه، أحد النواب الأربعة للإمام الحجّة عليه السّلام في زمان الغيبة الصغرى ـ يجيب على هذه الشبهة.

حيث سأله سائل فقال: «أخبرني عن الحسين بن علي عليهما السّلام أَهُوَ وليّ الله؟

قال: نعم.

قال الرجل: فهل يجوز أن يُسَلّطَ اللهُ عزّوجلّ عدوَّهُ على وَلِيّه؟

فقال له أبو القاسم الحسين بن روح قدسَ اللهُ روحه: إفْهَمْ عَنّي ما أقول لك!

إعلمْ أنّ الله عزّوجلّ لايخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولايشافههم بالكلام، ولكنّه جلَّ جلاله يبعثُ إليهم رُسلاً من أجناسهم وأصنافهم بَشَراً مثلهم، ولو بعث إليهم رُسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم، فلما جاؤوهم

وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: أنتم بشرٌ مثلنا، ولانقبل منكم حتى تأتوننا بشيءٍ نعجزُ أن نأتي بمثله، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لانقدر عليه.

فجعَلَ الله عزّوجلّ لهم المعجزات التي يعجزُ الخلق عنها، فمنهم مَنْ جاءَ بالطوفان بعد الإنذار والإعذار، فغرق جميع مَنْ طَغَى وتمرَّد. ومنهم مَنْ ألقيَ في النار فكانت برداً وسلاماً. ومنهم مَنْ أخرجَ مِنَ الحجر الصَّلْدِ ناقةً وأجْرى مِن ضرعها لبناً. ومنهم مَنْ فلق له البحر، وفجَّرَ له من الحجر العيون، وجعلَ له العصا اليابسة ثعباناً تَلقَفُ ما يأفكون. ومنهم مَنْ أبرأ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون ومايدّخرون في بيوتهم. ومنهم من انشقّ له القمر، وكلّمته البهائم مثل البعير والذئب، وغير ذلك.

فلمّا أتَوا بمثل ذلك، وعجزَ الخلق عن أمرهم، وعن أن يأتوا بمثله، كان من تقدير الله عزّوجلّ ولطفه بعباده وحكمته أنْ جعلَ أنبياءَه عليهم السّلام ـ مع هذه القدرة والمعجزات ـ في حالةٍ غالبين، وفي أخرى مغلوبين، وفي حالٍ قاهرين، وفي أخرى مقهورين، ولو جعلهم الله عزّوجلّ في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين ولم يَبْتَلهم ولم يمتحنهم لاتَّخذهم الناس آلهة من دون الله عزّوجلّ، ولما عُرِفَ فضل صبرهم على البلاء والمِحَن والاختبار، ولكنه عزّوجلّ جعلَ أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم، ليكونوا في حال المحنة

والبلوى صابرين، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولامتجبّرين، ولـيعلَمَ العبادُ أنّ لهم عليهم السّلام إلهاً هو خالقهم ومدبّرهم فيعبدوه ويُطيعوا رسلَه، وتكون حجّة الله ثابتة على مَنْ تجاوز الحدَّ فيهم وادَّعى لهم الرُّبوبيّة، أو عانَدَ أو خالفَ وعصى وجحدَ بما أتت به الرسل والأنبياء عليهم السّلام <**ليهلكَ مَنْ هلكَ عن بيّنة ويحيى مَنْ حيّ عن بيّنة**>.

ثم قال الراوي: فعدتُ إلى الشيخ أبي القاسم بن روح ـ قدّس الله روحه ـ من الغد وأنا أقول في نفسي: أتراهُ ذَكَر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟

فابتدأني فقال لي: يا محمد بن إبراهيم[1]! لأنْ أخرّ من السماء فتخطفني الطير، أو تهوي بيَ الرِّيح في مكانٍ سحيق، أحبّ إليَّ من أن أقول في دين الله عزّوجلّ برأيي أو من عند نفسي، بل ذلك عن الأصل ومسموعٌ عن الحجّة صلوات الله عليه وسلامه»[2].

---

(١) محمد بن إبراهيم: هو الراوي.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ج٢/ ٥٠٧ ح٣٧ باب ٤٥.

٢ـ وقد نَقَلَ الشيخ الصَّدوق[١] عن ابن قِبَة[٢] في ردّ شبهات المعتزلة[٣]، وأنّ المعجزة تظهر في وقتٍ دون وقت، لادائماً، فقال:

«وأمّا قول المعتزلة: فكيف لم يحتجّ عليهم علي بن أبي طالب بإقامة المعجز يوم الشورى؟

فإنّا نقول: إنّ الأنبياء والحجج عليهم السّلام إنما يُظهِرونَ من الدّلالات والبراهين حسب ما يأمرهم الله عزّوجلّ به مما يعلم الله أنه صالح للخلق فإذا ثبتت الحجةُ عليهم بقول النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فيه، ونصّه عليه فقد استغنى بذلك عن إقامة المعجزات.

اللهمّ إلاّ أنْ يقول قائلٌ: إنّ إقامة المعجزات كانت أصلح في ذلك الوقت.

فنقول له: وما الدّليل على صحة ذلك؟

وما ينكر الخصم مِنْ أن تكون إقامته لها ليس بأصلح، وأنْ يكون الله عزّوجلّ لو أظهر معجزاً على يديه في ذلك الوقت لكفروا

---

(١) الشيخ الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، أحد أجلّة علمائنا الأعلام، ومَن وُلد بدعاء الإمام صاحب الزمان عليه السّلام، توفي عام ٣٨١ هـ.

(٢) ابن قِبَة: بكسر القاف وفتح الباء، متكلم، عظيم القدر، حسن العقيدة، كان قديماً من المعتزلة وتبصَّرَ وانتقل، وكان شيخ الإمامية في زمانه كما في كتاب النجاشي وخلاصة العلاّمة.

(٣) المعتزلة: أحد المذاهب الكلامية.

أكثر من كفرهم ذلك الوقت، ولادَّعوا عليه السِّحر والمخرقة، وإذا كان هذا جائزاً، لم يُعْلَم أنّ إقامة المعجز كانت أصلح.

فإن قالت المعتزلة: فبأيّ شيءٍ تعلمون أنّ إقامة ـ مَن تَدَّعون إمامتهُ ـ المعجز على أنه ابن الحسن بن علي [العسكري] عليهما السّلام أصلح؟

قلنا لهم: لسنا نعلم أنه لابدّ من إقامة المعجز في تلك الحال، وإنّما نجوِّز ذلك. اللهم إلاّ أن يكون لا دلالة غير المعجز، فيكون لابدّ منه لإثبات الحجة، وإذا كان لابدّ منه كان واجباً، وما كان واجباً كان صلاحاً لا فساداً، وقد علمنا أنّ الأنبياء عليهم السّلام قد أقاموا المعجزات في وقتٍ دون وقت، ولم يقيموها في كل يوم ووقتٍ ولحظةٍ وطرفة وعندٍ كل محتجّ عليهم ممن أراد الإسلام، بل في وقتٍ دونٍ وقت على حسب ما يعلم الله عزّوجلّ من الصلاح.

وقد حكى الله عزّوجل عن المشركين أنّهم سألوا نبيّهُ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يرقى في السماء، وأنْ يُسقط السماء عليهم كِسَفاً، أو يُنزِّل عليهم كتاباً يقرؤونه وغير ذلك مما في الآية[1]، فما فَعَلَ ذلك بهم. وسألوه أن يُحيي لهم قُصي بن كلاب، وأن ينقل عنهم جبال تهامة، فما أجابهم إليه، وإن كان [صلّى الله عليه وآله]

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٩٢ ـ ٩٣.

قد أقام لهم غير ذلك من المعجزات...»[١].

٣ـ ومما أفاده العلامة المجلسي ـ قدّس سرّه ـ في أنه لا يلزم ظهور المعجز في كل وقت: «قد وقعت داهية عظمى، وفتنة كبرى، في سنة ست ومائة بعد الألف من الهجرة، في الروضة المنوّرة بِسُرَّ مَنْ رأى[٢]، وذلك أنّه لغلبة الأروام[٣] وأجلاف العرب على سُرّ مَنْ رأى، وقلّة اعتنائهم بإكرام الروضة المقدسة، وجلاء السادات[٤] والأشراف ـ لظلم الأروام عليهم ـ منها، وضعوا ليلةً من الليالي سراجاً داخل الروضة المطهّرة في غير المحلّ المناسب له، فوقعت من الفتيلة نارٌ على بعض الفُرُش أو الأخشاب، ولم يكن أحدٌ في حوالي الروضة فيطفيها. فاحترقت الفُرُش والصناديق المقدّسة والأخشاب والأبواب، وصار ذلك فتنةً لضعفاء العقول من الشيعة، والنّواصب من المخالفين، جهلاً منهم بأنّ أمثال ذلك لا يضرّ بحال هؤلاء الأجلّة الكرام، ولا يقدح في رفعة شأنهم عند الملك العلاّم[٥]،

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ج١ / ٦٢ ـ ٦٣.

(٢) سُرَّ مَنْ رأى: هي سامرّاء.

(٣) أي الرّوم.

(٤) أي السادة وذريّة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

(٥) ومن ذلك ما يجري في هذه الأيام من شهر رجب المرجب من عام ١٤٢٥ هـ من انتهاك لم يسْبق له مثيل لحرمة حرم أمير المؤمنين عليه السّلام. وهو الذي حثّني على هذه الإضافة للطبعة الثانية من الكتاب.

وإنما ذلك غضبٌ على الناس، ولايلزم ظهور المعجز في كل وقت، وإنما هو تابعٌ للمصالح الكليّة، والأسرار في ذلك خفيَّة، وفيه شدّة تكليف، وافتتان وامتحان للمكلَّفين.

وقد وقعَ مثل ذلك في الروضة المقدسة النبوية بالمدينة أيضاً صلوات الله على مشرّفها وآله.

قال الشيخ الفاضل الكامل السديد يحيى بن سعيد قدَّسَ الله روحه في كتاب جامع الشرائع في باب اللِّعان[1] أنه إذا وقع [اللّعان] بالمدينة، يستحب أن يكون بمسجدها عند منبره عليه السّلام. ثم قال: وفي هذه السنة وهي سنة أربعٍ وخمسين وست مائة في شهر رمضان، احترقَ المنبر وسقوف المسجد، ثم عُمل بدل المنبر.

وقال صاحب كتاب عيون التواريخ من أفاضل المخالفين في وقائع السنة الرابعة والخمسين والستمائة: وفي ليلة الجمعة أوّل ليلة من شهر رمضان، احترقَ مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المدينة، وكان ابتداء حريقه من الزّاوية الغربية من الشمال، وكان أحد القومة[2] قد دخل إلى خزانةٍ ومعه نار فعلقت في بعض الآلات، ثم اتّصلت بالسقف بسرعة، ثم دبَّت في السقوف آخذة

---

(١) اللّعان: مباهلة خاصّة بين الزوجيْن من أجل نفي الولد ورفع الحدّ عن الزوج المتَّهِم لزوجته بأنّ ابنها ليس منه.

(٢) القُومة: أي خَدم الحرم الشريف والقائمين عليه.

مقبلة، فأعجلت الناس عن قطعها. فما كان إلاّ ساعة حتى احترق سقوف المسجد أجمع، ووقع بعض أساطينه وذاب رصاصها، وكل ذلك قبل أن ينام الناس، واحترقَ سقف الحجرة النبوية ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ ووقع ما وقع منه بالحجرة، وبقي على حاله، وأصبح الناس يوم الجمعة فعزلوا موضع الصلاة. انتهى.

والقرامطة هدموا الكعبة، ونقلوا الحجر الأسود، ونصبوهُ في مسجد الكوفة.

وفي كل ذلك لم تظهر معجزة في تلك الحال، ولم يُمنَعوا من ذلك على الإستعجال، بل ترتَّبَ على كلٍّ منها آثار غضب الله تعالى في البلاد والعباد بعدها بزمان، كما أنّ في هذا الاحتراق ظهرت آثار سخط الله على المخالفين في تلك البلاد، فاستولى الأعراب على الروم، وأخذوا منهم أكثر البلاد، وقتلوا منهم جمّاً غفيراً وجمعاً كثيراً، وتزداد في كلّ يومٍ نائرة الفتنة، والنّهب والغارة في تلك الناحيّة اشتعالاً.

وقد استولى الإفرنج على سلطانهم مراراً، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وكلّ هذه الأمور من آثار مساهلتهم في أمور الدين، وقلّة اعتنائهم بشأن أئمة الدين سلام الله عليهم أجمعين.

وكفى شاهداً لما ذكرنا من أنّ هذه الأمور من آثار غضب الله تعالى، استيلاء بخت نصّر على بيت المَقْدِس، وتخريبه إيّاه، وهتك

حرمته له، مع أنه كان من أبْنية الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام، وأعظم معابدهم ومساجدهم، وقبلتهم في صلاتهم، وقَتَلَ آلافاً من أصفياء بني إسرائيل وصلحائهم وأخيارهم ورهبانهم.

وكلّ ذلك لعدم متابعتهم للأنبياء عليهم السّلام، وترك نصرتهم، والاستخفاف بشأنهم وشتمهم وقتلهم»[1].

الخلاصة: إنّ المعجزة «فعلٌ ربوبي، وآية إلهية، وحجّة قاطعة، يعجز عنها البشر، وتنحطّ دونها القوى والقُدَر، وتنحسم بها بواعث الشك والإرتياب، وعوابث الوسوسة والإضطراب»[2].

وبعد أن عرفنا المعجزة وشرائطها، وكيف نميّز بينها وبين ما ليس بمعجز، وأنه لايلزم ظهور المعجزات في كل وقت، بعد هذا كله فإنّ التعجّب من هذه الخوارق والمعاجز، أو الاستنكار منها، إنما هو بسبب غرابتها عن المشاهدة والمألوف.

ولكن لاتلبث أن تنقشع سحابة الغرابة إذا عرفنا أنّ هؤلاء بالطّاعة اكتسبوا رضى الخالق عزّوجلّ، فخلقَ الأشياء لأجلهم، وتحت تصرّفهم، فوهبهم الدنيا والآخرة.

ففي الحديث القدسي: «عبدي! خلقتُ الأشياء لأجلك

---

(١) بحار الأنوار: ج ٥٠ / ٣٣٧ ـ ٣٣٩، في تاريخ الإمام الحسن العسكري عليه السّلام.

(٢) الدين والإسلام: ج ٢ / ٢٧٥.

وخلقتكَ لأجلي. وهبتُكَ الدنيا بالإحسان، والآخرة بالإيمان»[١].

و«إنّ لله عباداً أطاعوه في ما أراد، فأطاعهم في ما أرادوا، يقولون للشيء كن فيكون»[٢].

وفي حديثٍ قدسي ثالث: «يابن آدم! أنا أقول للشيء كن فيكون. أطعني في ما أمرتُكَ، أجعلُكَ تقول للشيء كن فيكون»[٣].

وفي حديث قدسي آخر: «عبدي! أطعني أجعلُكَ مَثَلي... أنا مهما أشاء يكون، أجعلُكَ مهما تشاء يكون»[٤].

فمفتاح ظهور هذه المعاجز على العباد هو الطّاعة التّامة لله وَحْدَه. وحينئذٍ لا يبقى مجالٌ لأي تعجّب أو استغراب.

ومن تلك المعاجز مانراهُ عند مشاهد أهل بيت العصمة والطهارة، وقباب وأضرحة أولادهم وذراريهم عليهم السّلام.

ومن سيدات ذلك البيت الطّاهر، والمنبع الزّاكي، سيدتنا ومولاتنا فاطمة المعصومة عليها السّلام، حيث نَجِدُ حَرَمها الشّريف مُزدَلَف أرباب الحوائج، ومأوى كلّ مهموم ومغموم، وحِمى كلِّ مستجيرٍ ومضطهد.

---

(١) الجواهر السنيَّة في الأحاديث القُدسية: ٣٦١.

(٢) المصدر السابق: ٣٦١.

(٣) المصدر السابق: ٣٦٣.

(٤) المصدر السابق: ٣٦١.

فلايَنْكَفئ المحتاج إلاّ ثَلْجَ الفؤاد، ولايرجع القاصد إلاّ قَريرَ العَيْن، ولايَلْبَثُ المريض إلاّ وقد شُفِي.

والآيات والمعجزات التي ظهرت عند مرقدها المبارك ـ على مَدى الأيام والأزمان ـ كثيرةٌ لاتُعَدُّ ولاتُحصى.

وقد مَرَّ عليكم في ما مرّ من الصفحات بعض معجزاتها وكراماتها والتي منها:

١ـ امتداد النور من المرقد الشريف الى عَنان السماء.

٢ـ معاقبتها للمرأة الفاجرة التي كانت تُغرِّر بالنساء، بإلصاق يديها بالضريح حتى جُنَّت.

٣ـ ومن المعجزات التي مرّت، بقاء الأجساد غضّة طريّة بعد أكثر من عشرة قرون من الوفاة.

وغير ذلك من المعاجز والكرامات مما امتلأت به الكتب والمؤلفّات.

ومن الجدير بالذّكر أنّ الكثير من المعجزات هي في الحقيقة نوعٌ من الشفاعة ولكنها في عالَم الدنيا. فمن مظاهر ومصاديق الشفاعة، ما يظهر من المعجزات عند المراقد المشرَّفة حيث يتوسَّل المتوسّلون لشفاء من استعصى شفاؤهم ـ مثلاً ـ فيُشفَع لهم، وتظهر الشفاعة جليّةً على شكل معجزة وكرامة بشفاء ذلك المريض الذي يأس الأطبّاءمن علاجه.

فإذا وصل المقام بنا إلى ذلك فلنتحدَّث حول الشفاعة بشكل عام، وشفاعة السيدة المعصومة عليها السّلام بشكل خاص:

الشفيعة

مصيبة ومأساة..

لكي لاتُسْرَق وتُدَمَّر عقائدنا!!

ما معنى التوسّل؟ وما معنى الشفاعة؟ وما هو الفرق بينهما؟

أدلتنا على صحة الشفاعة

شبهاتٌ وردود:

الشبهة الأولى: شبهة الشّرك بالله تعالى

الشبهة الثانية: هل الإستغاثة بالميت استغاثةٌ بالمعدوم؟

الشبهة الثالثة: هل الشفاعة وسيلة داعية للمعاصي والفَساد؟

أفراد لاتنالهم الشفاعة إلاّ بعد أن تطهرهم النار آلاف السنين!!

أصناف لاتنالهم الشفاعة

أعمالٌ تحجب الشفاعة

ففيمن تكون الشفاعة إذن؟

كيف يستحق أهل الكبائر الشفاعة؟

دفع توهّم: كيف يتغلَّب أمرٌ مستحب على أمرٍ حرام؟

يا فاطمة اشفعي لي في الجنّة

مصيبة ومأساة

كنتُ على مقربة من شخص، وكان سائراً، فاعترضَهُ فقير. فمدَّ يدهُ في جيبه، وأعطى ذلك الفقير شيئاً.

فقال الفقير ـ يريد مكافأة إحسانه ـ: يأخذُ بيدكَ العباس عليه السّلام، ويُنجِّيك.

وكان الشخص قد مشى عدة خطوات، فرجع مغضباً وقال: كانت للعباس يدان، وقد قُطعتا في يوم عاشوراء، فكيف يأخذ بيدي ويُنجِّيني؟

هذا ما نقله لي أحد الأخوة الأفاضل في قم، وقد اعترته الدهشة والذهول مما رأى وسمع. فيالها من مصيبة ومأساة.

لكي لاتشرق وتدمر عقائدنا!!

من المؤسف والمحزن حقّاً أن تجد مثل هذه الشبهات طريقها إلى نفوس النَّشْئ المسلم، وأن تتسلّل التشكيكات إلى العقائد الطيّبة الصافية، حتى صرنا في مقام إثبات ما تسالم عليه جميع فرق المسلمين، وامتلأت كتبهم بالأدلة والأحاديث حولها، فقد اجتمع أهل الباطل على باطلهم، وبَثُّوا سمومهم، ونشروا راياتهم، حتى غَزونا في دورنا ومراكزنا العلمية، فانحسر بعض هذه العقائد الطيبة الصافية عن قلوب مجتمعاتنا، وباتَ بعضها الآخر مَشوباً بالخلل والتصدّع.

والدين والعقيدة لَهِيَ أهم شيء، نموت وتحيا تلك العقيدة، ونضحي بأنفسنا دونها، ففي وصيةٍ لأمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال: «.. فإذا حضرت بَلِيَّةٌ، فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، فاعلموا أنّ الهالك مَنْ هلَكَ دينُه، والحَريب[1] مَنْ حُرِبَ دينه»[1].

---

(١) الحريب: أي السَّليب، والمعنى: أنّ السّليب مَنْ سُلِبَ دينُهُ لا مَن سُلب مالُه.

ومن تلك المسائل التي تُحارَب وتُستهدَف مِن قِبَل أعداء الدين مسألة الشفاعة، والتوسّل بأولياء الله تعالى.

ولكي نفهم كيف تكون السيِّدة فاطمة المعصومة عليها السّلام شفيعةً لنا في الدنيا والآخرة، فلابدّ لنا من بَسْط الكلام في هذه المسألة حتى تنقشع الأوهام والشبهات التي لابَسَتْها، ويَنْزاح عنها ما يُكدِّرُ صفوها.

---

(١) أصول الكافي: ج٢ / ٢١٦ ح٢ كتاب الايمان والكفر. وعنه في بحار الانوار: ج٦٥ / ٢١٢ ح٢.

فما معنى التوسّل؟ وما معنى الشفاعة؟ وما هو الفرق بينهما؟

الوسيلة: أي الطريق والسبيل إلى الله. وهي قد تكون شخصاً كالمعصوم عليه السّلام وقد تكون عملاً كقراءة القرآن. فالتوسّل: هو العملية الحاصلة بين شخصٍ وبين السبيل والوسيط الذي هو الشفيع، بأن يطلب الشخصُ من الشفيع الوجيه عند الله تعالى أن يدعوَ له ويشفع له، إذ التوسّل هو التماس الدعاء من الغير، كتوسّل أبناء يعقوب بأبيهم ليطلب المغفرة لهم من الله تعالى: <**قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا**>[1]، وكتوسّل المسلمين بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، كما في قوله تعالى: <**ولو أنّهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً**>[2]، فهم قد جعلوا النبي وسيلةً لهم إلى الله ليطلب لهم المغفرة منه تعالى.

ويكون النبي هو الشفيع إلى الله تعالى. وبالتالي تكون العملية

---

(١) سورة يوسف: الآية ٩٧.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٤.

الحاصلة بين الوسيط ـ الشفيع ـ وبين الله سبحانه وتعالى: هي الشفاعة.

أي طَلَبُ الشفيع ودعاؤه ليقضي اللهُ تعالى حاجة مَنْ توسَّلَ به إليه، فيجتمع الشفيع مع المشفوع له في الدعاء والمسألة، إذ الشفاعة مشتقة من الشَّفْع، أي يصير الشّفيع شَفْعاً وزوْجاً لصاحب الحاجة بالإنضمام إليه في قضاء حاجته، ولولاه لما قُضيت كانضمام استغفار النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى استغفار المسلمين ليتوب الله عليهم، وهذا هو المعنى اللغوي لكلمة الشفاعة: وهو التّقْوية والإعانة.

ومنه كتاب الشُّفْعَة في الفقه، بأن يَضُمَّ الشخص حصة شريكه إلى حصته ويشتريها منه، عند بيعِ الآخر حصَّتَهُ، فهو أولى بها من طرفٍ ثالث.

وبعد أن اتّضح لنا معنى الكلمتيْن: (التوسل)، و(الاستشفاع)، ينبغي لنا أن نستدل على صحة التوسّل بالغير، واستشفاع الغيْر للمتوسِّل به.

ومن هوان الدنيا في هذا الزمان أن نسعى لإثبات ما هو أمرٌ عقلائي بل وفطري، وأن نقيم الأدلة على ما هو متسالَمٌ عليه عند جميع المسلمين، إلاّ شرذمةٍ قليلين شذَّت عن طريق الحقّ والصواب.

وأمّا التوسّل فقد ظهر لكم مشروعيتهُ من الآيات القرآنية التي مرّت عليكم من توسل أبناء يعقوب عليه السّلام بأبيهم، وتوسّل المسلمين بالنبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

ونكتفي بهذا الموجز، ومَن أراد التفصل فليراجع المطوّلات[1].

مضافاً إلى ماسيأتي من الإستدلالات في مبحث الشفاعة، للتلازم بين هذيْن البحثيْن.

(١) راجع كتاب: زيارة الإمام الرضا عليه السّلام كيف ولماذا؟ للمؤلف: ٦٧ ـ ٨٦

أدلتنا على صحة الشفاعة

١ـ الآيات الدالة على الشفاعة:

ويمكن تقسيم الآيات القرآنية المباركة التي تتحدث عن الشفاعة إلى ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: آياتٌ ترفض الشفاعة بشكل مطلق.

كقوله تعالى: **<يا أيها الّذين آمنوا أنْفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لابيعٌ فيه ولاخُلَّة ولاشفاعة>**[١].

وقوله تعالى: **<ولايُقْبَل منها شفاعة>**[٢].

وقوله تعالى: **<واتقوا يوماً لاتجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً>**[٣].

المجموعة الثانية: آياتٌ تحصر الشفاعة في الله تعالى.

كقوله تعالى: **<مالكم من دونه من وليٍّ ولاشفيع>**[٤].

وقوله تعالى: **<قُل لله الشفاعة جميعاً>**[١].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.

(٢) سورة البقرة: ا لآية ٤٨.

(٣) سورة البقرة: نفس الآية السابقة.

(٤) سورة السجدة: الآية ٤.

فمع حَصْر الشفاعة في الله تعالى، ونَفْيها عن غيره، كيف يمكن إثباتها لغيره سبحانه؟

والجواب: أنه توجد مجموعة ثالثة من الآيات القرآنية تثبت الشفاعة لغير الله تعالى، ولكنها منوطةٌ بإذنه.

كقوله تعالى: <**ولاتنفعُ الشفاعة عنده إلاّ لمن أذن له**>[٢].

وقوله تعالى: <**مَنْ ذا الذي يشفعُ عنده إلاّ بإذنه**>[٣].

فتكون هذه الآيات مقيِّدة ومخصِّصة لإطلاقات وعمومات الآيات الواردة في المجموعتين: الأولى والثانية، فيكون المعنى: أنْ لاشفاعةَ إلاّ لله ولمن أذن له الله، فهي كغيرها من العمومات المخصَّصة من قبيل قولنا: «لاتكرم أحداً» وتخصيصه بقولنا: «أكرم العلماء»، فيكون المعنى بعد التخصيص: «لاتكرم أحداً إلاّ العلماء».

وبالتالي تكون الشفاعة من مختصات الله تعالى، ولاتكون لغيره إلاّ بإذنه عزّوجلّ.

هذا أولاً.

وثانياً: إنّ الآيات الكريمة إنما تنفي الشفاعة عن الكفار والمشركين، فهؤلاء لاتنالهم الشفاعة أبداً.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٤٤.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا استشفَعَ نوحٌ عليه السّلام لابنه الكافر؟

وبالتأمّل الدقيق في الآيات والروايات يظهر الجواب واضحاً، حيث إنّ نوحاً عليه السّلام قد طلب نجاة ابنه لموعدة من الله تعالى سبقت بنجاة أهله، وعندما رآه مشرفاً على الغرقِ أخذته الرِّقة والعطف على ابنه فَطالَبَ بانجاز العِدَة.

فأتاه جواب السماء: إنه إنما وعدناك بإنجاء أهلك في الدين ممن تابعك، وبإغراق مَنْ كانوا على خلافك حتى لو كان مِن صلبك.

فالآيات تنفي الشفاعة عن الكفار، وقد قال تعالى:

<حتى إذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور قلنا احمل فيها من كل زوجيْن اثنين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلاّ قليل>[1].

وفيها يظهر الوعد الإلهي لنوح عليه السّلام.

وقال تعالى على لسان نوح عليه السّلام في الآية اللاحقة:

<ونادى نوحٌ ربّه فقال ربّ إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحقّ وأنت أحكمُ الحاكمين ≅ قال يانوحُ إنه ليس من

---

(١) سورة هود: الآية ٤٠.

أهلك...>[1].

فالمعيار في كونه من أهل نوح عليه السّلام هو الدين والمتابعة للنبي، لا النَّسب وكونه من الصُّلب.

٢ـ ومن الأدلة الدالة على الشفاعة: الأمر في القرآن باتخاذ الوسيلة إليه، كما في قوله تعالى: <**وابتغوا إليه الوسيلة**>[2].

وفيها أمرٌ مطلقٌ بالتوسّل سواء أكان في أمور الدنيا أم الآخرة. ولو كانت الشفاعة باطلةً وغير جائزة، لَلَغى الأمر بابتغاء الوسيلة إليه، لأن التوسّل ينتهي بالتماس الشخص من المتوسَّل به أنْ يطلب الدعاء له من الله تعالى. فإذا قَبِل المتوسَّل به طلبه تبدأ مرحلة الشفاعة واستشفاعِ المتوسَّل به إلى الله. ومع بطلان الشفاعة يلغو الأمر بالتوسّل لعدم ترتّب أي ثمرة على اتخاذ الوسيلة والطريق إلى الله تعالى.

فالآيات الآمرة بالتوسّل تدلّ بالملازمة على الشفاعة وجوازها، ولكن بإذنٍ منه تعالى، كما مرّ.

٣ـ الأحاديث الشريفة الدالة على الشفاعة:

وهي كثيرةٌ جداً، بلغت حدّ التواتر عند العامة والخاصة.

والشفاعة في عالم الآخرة مقبولةٌ عند الجميع حتى عند ابن

---

(١) سورة هود: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.

تيمية ومَنْ تبعه، إذْ المنكرون للشفاعة يقبلونها في عالَمَي الدنيا والآخرة أي في حال وجود وحياة الشافع فقط، ويرفضونها في حال موت وعدم وجود الشفيع، إمّا عناداً وخُبْثاً، وإمّا لشبهةٍ عرضت لهم.

شبهات وردود

ويمكن حصر هذه الشبهات في ثلاث:

الشبهة الأولى: شبهة الشرك بالله تعالى

بيان الشبهة: إن التوسّل بالشفيع نوعٌ من الدّعاء، والدّعاء مُخُّ العبادة، فالمتوسِّلُ يجمعُ الشفيعَ مع اللهِ تعالى في دعائه، وهذا هو الشرك به تعالى، وقد قال في محكَم كتابه <**فلاتدعو مع الله أحداً**>[1].

طلب الشفاعة دعاء لغير الله.

وبعبارة فنّية: وكل دعاءٍ لغير الله عبادةٌ للغير وشركٌ.

فطلب الشفاعة عبادة لغير الله وشرك.

فنسأل المنكرين للشفاعة: هل ثبتت الشفاعة في الشريعة أم لا؟

فإنْ قالوا: لا، أنكروا ما في القرآن وخالفوا ما أقرُّوا به من الشفاعة في حال حياة الشفيع وفي عالم الآخرة.

وإنْ قالوا: نعم. قلنا لهم: هل الشفيع شريكٌ مع الله في المغفرة،

---

(١) سورة الجن: الآية ١٨.

أو أنّه شريكٌ مع طالب الشفاعة ـ أي المشفوع له ـ في طلب المغفرة؟

فإن قالوا بالأوّل، فقد أثبتُوا لله سبحانه الشريك، وصاروا إلى ما فَرَّوا منه ـ مع الإلتفات إلى أنهم أقرُّوا بالشفاعة موجبة جزئية ـ.

وإنْ قالوا بالثاني، أقرُّوا بالحق الذي عليه المسلمون.

وإن قالوا بالفرق بين طلب الشفاعة في الدنيا مِن الشفيع الميِّت وبين طلب الشفاعة في الآخرة حيث يُبعَث الناس قاطبةً، وتُعاد الأرواح الى الأجساد.

قلنا لهم: إنّ ما يكون شركاً في الدنيا، لايكون طاعةً في الآخرة، وإن الشِّرْكَ شركٌ وقبيحٌ في الدنيا والآخرة، وإلاّ لزم انقلاب ما هو قبيحٌ وباطلٌ في الدنيا إلى ما هو حسنٌ وحقّ في الآخرة، وللزم أيضاً أن يجعل الله لنفسه شريكاً بل شركاء له في يوم القيامة.

وهذا تناقض وتهافتٌ بَيِّن، هذا أوّلاً.

وثانياً: ليس كلُّ دعاءٍ وطلبٍ عبادةٌ وطاعة، لأنّ العبادة ليست هي الطاعة المطلقة والإنبعاث المطلق والدعاء المطلق، بل العبادة نحوٌ خاص من الدعاء وهو دعاء الله تعالى فحسب، والطاعة والإمتثال لأمر الله، والإنبعاث عنه، فلكي يكون العمل معنوناً بعنوان العبادة يحتاج إلى قصد العبودية من الداعي للمدعوّ، وأن يرى

ويعتقد أنّ الشافع هو المؤثّر دون الله سبحانه وتعالى.

وأين هذا من طلب الشفاعة، الذي هو دعاءٌ من الله ولكن بتوسّط الشفيع، وطلبٌ من الشفيع أنْ يدعوَ اللهَ له، لا أنّه دعاءٌ مع الله تعالى؟

ولو سألتَ عامة الناس: هل تتوسّلون بالشفيع معتقدين أنه هو المخلّص مستقلاً دون الله؟ أو أنه مخلِّصٌ مع الله وبالإنضمام إليه؟

لو سألتهم، لأنكروا كلّ ذلك، وقالوا: إننا نعتقد أن المؤثّر والمخلِّص هو الله تعالى فحسب، ونجعل الشفيع هو الداعي لنا عند الله في خلاصنا وقضاء حوائجنا.

فكما أنّ الله تعالى يقبض الأرواح بتوسط عزرائيل، ويُنزل الوحي عن طريق جبرائيل، جَعَلَ قضاء كثيرٍ من حوائج عباده بتوسط الشفيع.

ولو كان طلب الدعاء من الشفيع والإستغاثة به شركاً، للزم أن يكون نداؤنا: يا فلان! شركاً، وللزم أن تكون كل استعانة منّا بأحدٍ في قضاء حوائجنا، واللجوء إلى الطبيب مثلاً في شفاء مرضانا، لزم أن يكون كل ذلك شركاً.

وللزم شرك العبيد والإماء والزوجات، حيث يجب امتثال الزوجات لأزواجهم، وإطاعة العبيد والإماء لمواليهم، حتى أن الله تعالى سَلَبَ عنهم القدرة والإختيار في مقابل سيدهم، لقوله

سبحانه: <**عبداً مملوكاً لايقدر على شيء**>[١].

فهل يتوهّم أن الله تعالى حيث أمرهم بهذه الطاعة جعل لنفسه المقدسة شريكاً في العبادة؟!

فدعاء الشفيع، والاستغاثة به، وطلبُ الدعاء منه إلى الله، خال من قصد العبوديّة للشفيع. والمنهيُّ عنه في قوله تعالى: <**فلا تدعو مع الله أحداً**>[٢] هو أنّ العبدَ يقرنُ الصالحينَ بالله في دعائه، ويسألهما معاً في عرضٍ واحد، وذلك بقرينة لفظ «مع». وأين هذا من الشفاعة حيث يُقْرَنُ دعاءُ العبدِ الى دعاء الشفيع فيتقوّى دعاؤه بمن له جاهٌ عند الله تعالى؟

ولو قال قائلٌ: إنّ الله حكمَ بكفر عبدة الأوثان وشركهم، لأجل قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

قلنا: نعم، إن الله حكم بكفر هؤلاء، ولكن منشأ كفرهم أحد أمرين:

إمّا لِبَغْيهم وعُتوِّهم على الله بجعلهم الأصنامَ ومَنْ لا أهلية له من جانب الله شفيعاً ووسيلة يتوسلون بها إلى الله.

وإمّا لعبادتهم لذلك الشفيع حيث قالوا: <**ما نعبدهم إلاّ**

---

(١) سورة النمل: الآية ٣٨.

(٢) سورة الجن: الآية ١٨.

ليقربونا الى الله زلفى>[١].

ونحن لانعبدُ الشفيعَ، وفرقٌ بين جعل الشفيع معبوداً ـ كما عليه أهل الجاهلية ـ، وبين جعله وسيلة إلى الله وحده لاشريك له.

والشفاعة لاتكون إلاّ بإذنٍ من الله تعالى للشفيع، وليس لأحدٍ أن يجعل من مخلوقٍ شفيعاً لمخلوقٍ آخر في حضرة الله تعالى، وماً من شفيعٍ يحقّ له أنْ يتشفّع بغير إذنٍ من الله عزّوجلّ.

فَقُل لي بربِّك: أين الشرك في ذلك[٢]؟؟!!

الشبهة الثانية: هل الإستغاثة بالميت استغاثه بالمعدوم؟

قال المنكرون للشفاعة: لايجوز التوسُّل بالموتى، ورفع الحوائج إليهم، محتجين لعدم الجواز بوجهين:

الوجه الأول: أن هذا التوسّل خطابٌ لمعدوم، وذلك قبيحٌ عقلاً، وإذا لم يكن قبيحاً فهو لغو،[٣] لعدم قدرة الميت على الإجابة.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.

(٢) تمت الاستفادة في ردّ هذه الشبهة والشبهة الثانية من كتاب: البراهين الجليّة في رفع تشكيكات الوهابيّة / مبحث التوسّل والشفاعة، فراجع.

(٣) كون التوسل قبيحاً عقلاً مبتنٍ على مقدمتين:

الأولى: أن التوسّل بالشفيع غير جائزٍ شرعاً.

الثانية: القول بأن الحَسن ما حَسَّنه الشارع والقبيح ما قبّحه الشارع وهو مذهب الأشعري.

فهم يشترطون في الشفاعة حياة الشفيع، حتى يتأثّر بكلام المتوسِّل، فتؤثِّر شفاعتُهُ، والميت صار معدوماً ولا قدرة له.

الوجه الثاني: أنه شرك، لقوله تعالى: <**والذين تدعون من دونه لايملكون من قطمير، إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولاينبئك مثل خبير**>[1].

وسيظهر لكم عدم كون نداء الأموات والاستغاثة بهم توجيهاً للخطاب نحو المعدوم.

وأنّ مخاطبة الموتى والتوسّل بهم لايُعَنونهُ بعنوان الشرك.

أمّا أولاً: فالتوسّل بالموتى ليس خطاباً لمعدوم، لقيام الدليل كتاباً وسنّةً على حياةٍ من نوعٍ آخر بعد خروج الرّوح من الجسد، وهي حياة عالم القبر والبرزخ.

أمّا الكتاب العزيز: ففيه آيات كثيرة تدلّ على هذه الحياة.

١ـ منها، قوله تعالى: <**إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ**

وبناءً على ذلك يكون التوسل قبيحاً. ولكن المقدمتين باطلتان، فالحُسن والقبح عقليان لاشرعيان، كما هو ثابت في محلّه، والتوسل مما يدعو إليه الشرع والعقل، ولذا سيكون الجواب منصبّاً على إشكال اللغوية فقط.

(١) سورة فاطر: الآية ١٣.

يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً>[١].

وهذا الخطاب لايختصّ بعصر النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، بل يتوجه إلى جميع المؤمنين عبر العصور المتمادية، فإذا كان النبي معدوماً ولايؤثّر ولايتأثّر للغى الأمر بالصلاة عليه.

ولقائلٍ أن يقول: أن الفائدة والثواب يصل إلى المؤمنين لا إلى النبي، فتتحقق الفائدة ولايلغو الأمر.

فنقول: سلّمنا، ولكن هذا يكون دليلاً لنا، لا للمنكرين، لثبوت الفائدة وعدم لغوية الأمر بالصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم.

٢ـ ومنها، قوله تعالى بالنسبة إلى يحيى بن زكريا عليهما السّلام:

<**سلامٌ عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً**>[٢]، فإذا كان يحيى عليه السّلام معدوماً ولايتأثّر فكيف يسلّم الله عزّوجلّ عليه؟ وهل يفعلُ الله لغواً؟ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

٣ـ ومنها، قوله تعالى في حق المؤمنين: <**ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً**>[٣]، وقوله تعالى في حق الكافرين: <**النار يُعرَضون**

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

(٢) سورة مريم: الآية ١٥.

(٣) سورة مريم: الآية ٦٢.

عليها غدوّاً وعشيّاً>[١]، فهذه الآيات الشريفة تدل على حياة المؤمنين، وحياة الكفّار قبل يوم القيامة، لأن حياة القيامة ليس فيها بُكرة وعشي.

٤ــ ومنها، مانزل في حقّ الشهداء في قوله تعالى: <**ولاتقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أموات**>[٢]، وقوله تعالى: <**ولاتحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عندربّهم يرزقون ≅ فرحين بما آتهم اللهُ من فضله**>[٣]. وهناك آيات أخرى، ذكرنا منها بعضها.

وعليه فالقرآن يصرّح بالحياة بعدخروج الجسد من الروح، ولاينعدم الإنسان بالموت، غاية ما هنالك أنّ هذه الحياة من الحقائق المُشكّكة، أي ذات المراتب، مرتبتها العليا والأقوى للنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والأئمة المعصومين عليهم السّلام، ثم للشهداء، ثم لبقيّة البشر.

وأمّا مايدلّ من الأحاديث على الحياة البرزخيّة، فهي كثيرةٌ أيضاً. وحسبك ما في أبواب الصّحاح والسنن من: باب أن الميت يسمع خفق النّعال، وباب أن الميت يتكلم في القبر، وباب أن

---

(١) سورة غافر: الآية ٤٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٦٩.

الميت يرى مكانه من الجنة والنار، وباب كيفية السلام على النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، والسلام علي سائر المؤمنين إذا أتى الرجل المقابر.

ولو سلّمنا جدلاً بأن الميت معدومٌ، فهذا لايمنع من الشفاعة، إذ المدار في الشفيع والمتوسَّلُ به أن يكون له عند الله تعالى حرمة وقَدْر، وخير دليلٍ وشاهد على ذلك هو القرآن الكريم الذي يذكر قصة أصحاب الرقيم، عندما حُبِسوا في كهف، وسَدَّت صخرة كبيرة باب الكهف ومَنْفَذَه، فتوسَّلوا بأعمالهم التي أتوا بها سابقاً، فكانت معدومةً حين الدّعاء، ففرّج الله عنهم، وكان ما نالوه من الفرج ليس مسبّباً عن العمل نفسه، بل عن الدّعاء به. فلو لم يكن لأعمالهم قَدْر وحرمة عند الله تعالى لما فَرَّجَ عنهم.

وإذا جاز السؤال بالأعمال والإستشفاع بها عند الله تعالى، فالسؤال بالنبي وآله الأطهار أولى.

لايُقال: بأنّ الأعمال تقتضي المُجَازات والثواب عليها حتى لو كانت معدومةً.

فإنه يُقال: إن استجابة الدعاء لم تكن على الأعمال، وإلاّ لحصلت الإستجابة بلا ذكْر الأعمال، وإنما كانت الاستجابة على الدعاء بالأعمال والتوسُّل بها.

الخلاصة: نداء الأموات والاستغاثة بهم ليس توجيهاً للخطاب

نحو المعدوم. وأن المدار في الشفاعة أن يكون ما يُتوسّل به ذا قَدْرٍ ومنزلة عند الله تعالى حتى لو كان معدوماً.

وأمّا ثانياً: إنّ مخاطبة الموتى والتوسُّل بهم لايعنونه بعنوان الشرك.

فهل يجد أحدٌ فرقاً بين سؤال عيسى عليه السّلام وطلب بني إسرائيل منه شفاء المرضى وإحياء الموتى ويحكم بجواز التوسّل به، كما صرّح به في الكتاب العزيز في قوله تعالى: <**وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله**>[1]، وبين السؤال والتوسّل بمن ارتحل عن هذه الدنيا فيحكم بعدم جواز التوسل به؟ مع أنّ الحياة والممات والشفاء والسقم منه تعالى لاممّن يُتوسَّل به!

فلو كان التوسُّل ونداء غير الله شركاً لما كان فرقٌ بين المستغاث به حيّاً أو ميِّتاً.

وكون الحي قادراً لا دَخْلَ له بمسألة الإيمان والكفر.

ولم يذهب أحدٌ من العلماء في أصولهم إلى أنّ اعتقاد القدرة من العقائد الدينيّة، مع أنّ لازمه إذا اعتقد المضطرُ والمتوسِّلُ قُدْرة المتوسَّل به وإنْ كان ميِّتاً، لما كان التوسُّل به شركاً، أو أنه إذا

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

اعتقد عجز الحي والتجأ به، كان شركاً. ولم يقل بذلك أحدٌ.

نعم، السؤال من العاجز مع إحراز عجزه لغوٌ، لا أنه شرك، وإلاّ لزم انقلاب الإيمان إلى الشرك، وبالعكس، عند تبديل العجز بالقدرة، والتمكّن بعدم القدرة[1].

الشبهة الثالثة: هل الشفاعة وسيلة داعية للمعاصي والفساد؟

إستشكل المنكرون للشفاعة: بأنّ الشفاعة تشبه الغشّ في صالة الإمتحانات، وتشبه الظلم في قاعة المحاكمات، فالممتحِن يُغْضُّ طرفه عن أخطاء تلميذه، أو يغشّشه الإجابة الصحيحة، فينجح في الإمتحان، والقاضي يغُضُّ نظره عن ملف القاتل ـ مثلاً ـ أو يبرِّئه من جريمة القتل.

وهكذا الأمر في الشفاعة، فإنه يتمّ تصحيح المعاصي والذنوب، وقبول الظلم، وتبديل الصّفحة السوداء إلى بيضاء.

فالشفاعة تكون وسيلةً لارتكاب المزيد من المعاصي والتّشجيع عليها.

كما وتستلزم الشفاعة ـ حينئذ ـ التغيير في حكم وإرادة الله تعالى، فمن كان محكوماً بالقصاص والنّار، تُبَرَّء ساحته، ويكون

---

(١) راجع البراهين الجليّة: ص٣١.

من أهل الجنّة.

أمّا الجواب عن هذه الشبهة:

فأوّلاً: إنّ الشفاعة لاتستلزم تغييراً في حكم الله تعالى وإرادته، كما هو حال (المشفوع عنده) من الناس، كالسلطان الذي يحكم بقتل شخصٍ، فيريدُ قتلَهُ، فيأتي المقرَّب عنده ويشفع له، فيقبل شفاعته، ويغيِّر حكمَهُ من القتل الى العفو، فليس الأمر كذلك في محكمة العدل الإلهي.

وللتوضيح نبسِّط القول أكثر. لدينا ثلاثة أمور:

١ـ المشفوع عنده: وهو الله سبحانه وتعالى.

٢ـ الشفيع: كالرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأهل بيته الكرام عليهم السّلام.

٣ـ المشفوع له: وهو المذنب.

وموضوع الشفاعة هو ذلك المذنب الذي يستحق العقوبة بذنبه، فيأتي الشفيع فيشفع له عند الله تعالى فيعفو عنه. فهل يتغيّر حكم الله تعالى وعلمه كما يتغيّر حكم سلاطين أهل الدنيا؟ حاشا لله ذلك.

إن الشفيع عند السلطان قد يُغيِّر ويؤثّر في إرادة وحكم السلطان، دون أن يصدر من (المشفوع له) والمحكوم عليه مايستدعي العفو عنه، ولكن شفاعة (الشفيع) لاتشمل (المشفوع له)

إلاّ بعد أن يصدر منه مايَسْتَوجِبُ الشفاعةَ ـ كما سيأتي بيانه ـ، فالمذنب حكمه العقوبة قبل الشفاعة، ولكنه بضميمة ماصدر منه، وبضميمة الشفاعة، يشمله العفو الإلهي، فالحكم إنما تغيَّر تبعاً لتغيُّر الموضوع، إذ إنّ إرادة الله تعالى كانت منذ البداية هي عقوبة المذنب غير المشفوع له، وهذا مشفوعٌ له بما أتى به من عمل، فلايُعاقب، كالتائب المقبولة توبته، فهو قبل التوبة مستحقٌّ للعقوبة، وبالتوبة يشمله العفو والغفران الإلهي، فالمذنب لم يغيِّر بتوبته علم الله تعالى ولا إرادته، بل غيَّر نفسه، وبَدَّلَ سلوكه، وصار كمن لاذنب له، فتغيّر لذلك الحكم الإلهي بتغيّر الموضوع، ولكلّ موضوع حكمه الخاص.

بينما الشفاعة عند سلاطين الدنيا سببٌ للعفو عن المجرم دون حصول أي تغييرٍ في الموضوع ـ وهو المجرم ـ، ودون أن يصدر منه ما يستوجب الشفاعة والعفو.

نعم، إذا غيَّرَ المجرم ـ الذي يقضي عقوبة السجن ـ سلوكه، وأبدى صلاحه وندمه عمّا اقترفه، فيشمله العفو لحسن سيره وسلوكه، فيكون لائقاً للشفاعة والعفو، كما هو الأمر في محكمة العدل الإلهي.

وثانياً: إنَّ الشفاعةَ وإنْ كانت أمراً متعارَفاً بين الناس، وعليه سيرة العقلاء، وهي ما تُسمَّى اليوم بـ (الوساطة)، فالضعيف يجعل

القويَّ يتوسَّط له في قضاء حاجته عند الحاكم والسلطان في الدوائر الحكوميّة، ولكن هناك فرقٌ بين شفاعة أهل الدنيا وبين شفاعة الأولياء الصالحين.

فالشفاعة في عالم الناس قد تكون وسيلةً إصلاحيةً تربويّة، يعود بها المشفوع له إلى جادة الصّواب، وقد تكون وسيلةً لارتكاب المزيد من المعاصي والتشجيع عليها.

ولكنّ الشفاعة بمفهومها الديني لاتكون إلاّ وسيلة إصلاحية تدعو الى الخير وعدم اليأس من رحمة الله بارتكاب معصيةٍ قد سوَّلت له نفسه جنايتها في وقتٍ من الأوقات.

فالشفاعة عامل إيجابي يدفع النّاس الى الصّلاح، ولايجرِّئهم على ارتكاب المزيد من المعاصي.

واستعراض روايات أهل بيت العصمة والطهارة، يُبَرْهِنُ لك إيجابيّة الشفاعة.

فهناك أفراد لاتنالهم الشفاعة إلاّ بعد أن تُطهِّرهم النار آلاف السنين

وهناك أصناف لاتنالهم الشفاعة.

وهناك أعمال تحجب الشفاعة.

أمّا الأول: أفراد لاتنالهم الشفاعة إلا بعد أن تطهّرهم النار آلاف السنين

فمن الأفراد الذين لاتنالهم الشفاعة إلاّ بعد أنْ تطهِّرهم النّار آلاف السنين، مَنْ وَرَدَ ذكرهم في الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السّلام من أنّ «... المؤمن المسرف على نفسه لايدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مُبْهماً مخوفاً، ثم لن يسوّيه الله عزّوجلّ بأعدائنا، لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولاتّتكلوا، ولاتستصغروا عقوبة الله عزّوجلّ، فإنّ من المسرفين مَنْ لاتلحقه شفاعتنا إلاّ بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة»[1].

وروي عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

«... شفاعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وشفاعتنا، تحيط بذنوبكم يامعشر الشيعة، فلاتعودوا، ولاتتّكلوا على شفاعتنا، فوالله لاينال أحدٌ شفاعتنا إذا فعل هذا[2] حتى يصيبه ألمُ العذاب، ويَرى هولَ جهنَّم»[3].

---

(١) معاني الأخبار: ٢٨٨/ح٢ باب معنى الموت، وعنه في بحار الأنوار: ج٦ / ١٥٣ ح٩.

(٢) فَعَلَ هذا: أي إذا زنى وفَجَر بجارية أخيه، ولم يتب، ولم يتحلّل من صاحب الجارية ـ كما في الرواية ـ .

(٣) من لايحضره الفقيه: ج٤ / ٣٩ ح٥٠٣٤.

فبعض العصاة لاتطهِّرهم إلاّ جهنَّم، ثم تنالهم الشفاعة.

أمّا الثاني: أصناف لاتنالهم الشفاعة

فمن تلك الأصناف:

١ـ السلطان الظالم.

٢ـ المغالي في الدين.

٣ـ النّاصبي.

ـ فعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال:

«صنفان لاتنالهما شفاعتي:

سلطانٌ غشومٌ عسوف.

وغالٍ في الدِّين مارقٍ منه غير تائب ولانازع»[١].

ـ وعن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

«ولو أن الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين شفعوا في ناصبٍ ما شُفِّعوا»[٢].

وسُمِع الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال:

«مَنْ أبْغَضَ عليّاً دَخَل النار، ثم جَعَلَ اللهُ في عنقه إثنتي عشرة ألف شعبة، على كل شعبة منها شيطان يبزقُ في وجهه

---

(١) قرب الإسناد: ٦٤ ح٢٠٤.

(٢) المحاسن: ج١ / ٢٩٤ ح١٩٢.

ويَكْلَح[١]»[٢].

أما الثالث: أعمال تحجب الشفاعة

فمن تلك الأعمال التي تحجب الشفاعة، ويُحرَم فاعلها نعمةَ الشفاعة:

١ـ عدم الإيمان بالشفاعة.

فعن الإمام الرِّضا عن أبيه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، أنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«مَنْ لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي»[٣].

٢ـ التعرُّض لذرية الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم بأذىً وغيره:

فعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال:

«والله لاتشفَّعْتُ فيمن آذى ذُرِّيتي»[٤].

٣ـ الإستخفاف بالصلاة:

فَعن الإمام الباقر عليه السّلام: أنه قال:

---

(١) يَكْلَح: أي يُكَشِّر في عبوس.

(٢) المحاسن: ج١ / ٢٩٧ ح٢٠٢.

(٣) أمالي الصدوق، المجلس الثاني: ١٦ ح٤.

(٤) أمالي الصدوق، المجلس التاسع والأربعون: ٢٤٢ ح٣.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«لاينال شفاعتي مَن استخفَّ بصلاته، ولايَرِدُ عليَّ الحوض، لا والله»[١].

وعن أبي بصير، قال: «دخلتُ على (أم حميدة)[٢] أعزّيها بأبي عبدالله عليه السّلام، فَبكَت وبَكيتُ لبكائها.

ثم قالت: يا أبا محمد لو رَأيتَ أبا عبدالله عليه السّلام عند الموت لَرأيتَ عَجَباً، فَتَحَ عَيْنَيْهِ، ثم قال: اجمعوا إليَّ كلّ مَن كان بيني وبينه قرابة!

قالت: فما تركنا أحداً إلاّ جمعناهُ.

قالت: فَنَظَرَ إليهم.

ثم قال: إنّ شفاعتنا لاتنال مستخفّاً بصلاته»[٣].

٤ـ شرب المسْكِر:

فعن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«... لا واللهِ! لايَنال شفاعتي من شربَ المسكر ولايَرِدُ عليَّ

---

(١) المحاسن: ج١ / ١٥٩ ح٦.

(٢) الظاهر أنّ المراد هي السيدة «حميدة المصفّاة» زوجة الإمام الصادق عليه السّلام، بقرينة تعزيتها بشهادة الإمام عليه السّلام.

(٣) المحاسن: ج١ / ١٥٩ ح٨.

الحوض، لا والله»[١].

نعم، بعض مَنْ يأتي بهذه الأعمال، وبعض تلك الأصناف، قد يصدر منهم ما يمتّعهم بنعمة الشفاعة ولكن بعد تطهيرهم إمّا بالعذاب في عالم البرزخ، وإما بنار الآخرة ـ كما مرّ عليكم ـ.

وعدم نَيْل الشفاعة تارةً يكون لفَقْد المقتضي، أعني قابلية الشفيع للشفاعة، بأن تكون دائرة شفاعته محدودة بثلاثين مؤمناً ـ مثلاً ـ لايتجاوزها الى أكثر من ذلك. أو يكون عدم الشفاعة من جهة عدم قابلية المذنب للشفاعة كأن يكون ناصبياً. وتارةً يكون عدم الشفاعة لوجود المانع، بأن يكون مؤمناً ولكن بلغت معصيتُهُ حدّاً يمنع الشفاعة، فلابدّ من رفع هذا المانع بتطهيره من ذنبه، ثم تشمله الشفاعة.

أيها القارئ الكريم:

تلك كانت بعض الأصناف التي تُحَرم الشفاعة، وهذه كانت بعض الأعمال التي تحجب الشفاعة.

---

(١) الكافي: ج٦ / ٤٠٠ ح١٩.

ففيمن تكون الشفاعة إذن؟

الجواب: لايَنال الشفاعة كافرٌ أو منافق، وإنما ينالها مؤمنٌ قد ارتكب كبيرةً.

فعنه صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«وأمّا شفاعتي ففي أصحاب الكبائر من أمتي ماخلا أهل الشرك والظلم»[1] كما قال تعالى: <**ما للظالمين من حميمٍ ولاشفيع يطاع**>[2].

وفي حديث آخر عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[3].

ولكن:

كيف يستحق أهل الكبائر الشفاعة؟

إنّما استحقّوها واستَوجبوها بإتيانهم عملاً أهَّلَهُم للشفاعة.

ومن تلك الأعمال:

---

(١) بحار الأنوار: ج٨ / ٣٩ ح١٨ عن الخصال.

(٢) سورة غافر: الاية ١٨.

(٣) من لايحضره الفقيه: ج٣ / ٥٧٤ ح٤٩٦٣.

١ـ زيارة المعصومين عليهم السّلام:

فَعن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السّلام، أنه قال:

«مَنْ أتاني زائراً كنتُ شفيعَهُ يوم القيامة»[١].

وقال الإمام الحسين عليه السّلام لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: ـ يا أبتاهُ! ما لمَن زارَك؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم: يابُنيّ! مَنْ زارَني حيّاً أو ميِّتاً، أوْ زارَ أباكَ، أو زارَ أخاكَ، أو زارَكَ، كانَ حقّاً عَلَيَّ أنْ أزورَهُ يوم القيامة، وأخلّصَهُ من ذنوبه»[٢].

ورَوى البَزَنطي عن الإمام الرضا عليه السّلام قال:

«مازارَني أحدٌ مِن أوليائي عارفاً بحقّي إلاّ شفعتُ فيه يوم القيامة»[٣].

٢ـ مودّة وإكرام ذُريّة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم:

فعن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السّلام أنه قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

---

(١) الكافي: ج٤ / ٥٤٨ ح٣.

(٢) المصدر السابق: ح٤.

(٣) مَن لايحضره الفقه: ج٢ / ٥٨٣ ح٣١٨٤.

«إنّي شافعٌ يومِ القيامة لأربعة أصناف ولو جاءوا بذنوب أهل الدنيا:

رجلٌ نَصَرَ ذريَّتي.

ورجلٌ بَذَلَ مالَهُ لذريَّتي عند المضيق.

ورجلٌ أحبَّ ذريَّتي باللِّسان والقلب.

ورجلٌ سَعَى في حوائج ذريَّتي إذا طُرِدوا أو شُرِّدوا»[1].

٣ـ صنع المعروف:

عن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السّلام، قال:

«إنّ المؤمن منكم يوم القيامة لَيُمَرُّ عليه بالرَّجل وقَدْ أمِرَ به إلى النّار. فيقول له: يا فلان أغِثْني، فقد كنتُ أصْنَعُ إليك المعروف في الدنيا.

فيقول المؤمن للمَلَك: خَلِّ سبيلَه.

فيأمرُ اللهُ المَلَكَ أنْ أجزْ قولَ المؤمن.

فيُخلِّي المَلَكُ سبيله»[2].

فيدخل (المشفوع له) الجنّة بسبب ذلك العمل الذي رَجح على معصيته من دون أن يرى العذاب.

وفي المقابل مَنْ لاتنالهُ الشفاعة حتى يدخل جهنّم ويذوق ألَمَ

---

(١) الكافي: ج٤ / ٦٠ ح٩.

(٢) المحاسن: ج١ / ٢٩٤ ح١٩٤.

العذاب ـ كما مرّ ـ.

وبعد هذا كلّه، هل يبقى شكّ أو ريب في أنّ الشفاعة عاملٌ إيجابي يدعو إلى الصّلاح، ويحفِّز على ترك الذنوب والمعاصي؟

دفع توهم: كيف يتغلب أمر مستحب على أمر حرام؟

قد يخطر ببال البعض فيتساءَل: كيف لعملٍ مستحب كزيارة النبي والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم، وكإكرام ذريتهم، أن يكون له هذه القوة ليرجح على أعمال محرّمة؟

وهذا الإشكال يتوجّه أيضاً في تَفَوُّق بعض المستحبات من حيث الثواب على بعض الواجبات، فكيف يكون ذلك؟

وقد أجاب الشهيد الثاني ـ قدس سره الشريف ـ على مَنْ قال بأفضيلة الواجب على المستحب مطلقاً:

كون الواجب مطلقاً أفضل من الندب ممنوعٌ، وسند المنع ما ذُكِر في المثالين: أي أفضلية إبراء المعسِر من الدَّيْن مع ندبه على الإنظار الواجب ليتمكّن من أداء دينه، وأفضلية إعادة المنفرد صلاتَه جماعة، مع أنّ صلاة الجماعة مستحبة والصلاة التي صلاّها منفرداً كانت واجبة.

والتحقيق: أنّ المراد من تفضيل الواجب على الندب مع تساويهما كيفيّةً وكميّةً، كصلاة ركعتين ـ مثلاً ـ واجبة أفضل منها

مندوبة، والصدقة بدرهم واجباً أفضل منها مندوباً، وهكذا فيرتفع الإشكال[١].

هذا في الواجبات، وهكذا الأمر في المحرّمات فقد يتغلّب أمر مستحب على كثير من المحرّمات ولاتستطيع أن تقف أمام ذلك الأمر المستحب، وهذا من الألطاف الإلهية بالعباد، هذا أولاً.

وثانياً: يكفي أن يكون العبد مؤمناً موالياً لأمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السّلام، حتى يتغلَّب إيمانه على كل معصيةٍ اقترفها في غياب عقله، وركوب هواه.

وبهذا الإيمان والولاء تمتلأ صحيفته من دون أن يصدر منه ذِكْرٌ أو عمل، فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

«إنّ الرجل ليخرج من منزله إلى حاجةٍ، فيرجع وما ذَكَر اللهَ عزّوجلّ فتُملأ صحيفته حسنات.

قال الراوي: وكيف ذلك، جُعلْتُ فداك؟

قال عليه السّلام: يمرّ بالقوم ويذكرونا أهل البيت ـ أي بالسّوء ـ، فيقولون: كُفُّوا، فإنّ هذا يحبّهم.

فيقول الملَكَ لصاحبه: أكتب هبة [أو حب] آل محمّد في فلان [اليوم][٢].

---

(١) رسائل الشهيد في ضمن كتاب حقائق الإيمان: ٢٢٨ المسألة ٥١.

(٢) معاني الأخبار: ١٨٣.

وإتضح أن الشفاعة فيها إظهار لعظمة الخالق، وعظمة الشافع، وعظمة العمل المشفوع به، فهي:

١ـ إظهارٌ لعظمة الخالق جَلَّ وعلا:

أرأيتَ المَلِكَ كيفَ ينصبُ الوزراء والقوّاد والحجّاب، فيقومون بالوظائف والأعمال، وتكون له جهة الإشراف والمراقبة؟

فكذلك الأمر مع مَلِك الملوك والمَلِكَ الحقيقي، فهو تعالى اسمه أوْكَلَ الوحيَ إلى جبرائيل، وقبضَ الأرواح إلى عزرائيل، وأمرَ الرِّياح والأمطار إلى ملائكة آخرين، وأوكَلَ هدايةَ الناس إلى الرُّسل، مع قدرته تعالى على كلِّ ذلك بمجرّد إرادة منه فيقول كن فيكون. ومن ذلك أنْ جَعَلَ الشفاعة لرسلِه وأوليائه، وكلُّهُ إظهاراً لعظمته، وتجلّياً لقدرته.

٢ـ وإظهارٌ لعظمة العمل المشفوع به:

وقد مَرَّ عليكم مثل تلك الأعمال كزيارة المعصومين عليهم السّلام وإكرام ذراريهم.

٣ـ وإظهارٌ لعظمة الشافع:

فدَرَجة الشفاعة درجةٌ سامية، وكلّما تعاظَمَتْ منزلةُ الشفيع عند الله، كلّما كانت شفاعتُهُ أكبر. فالشفعاء يوم القيامة على درجات ومراتَب:

فمنهم مَن يشفع في جاره وحميمه.

فَعَن الامام الصادق عليه السّلام:

«إنّ الجار يشفع لجاره، والحميم لحميمه»[١].

وسُئل الإمام الصادق عليه السّلام عن المؤمن هل يشفع في أهله؟

قال: «نعم المؤمن يشفع فيُشَفَّع»[٢].

وعن الإمام الباقر عليه السّلام:

«... وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة لَيشفع لثلاثين إنساناً، فعندَ ذلك يقول أهل النار: ﴿فمالنا من شافعين ولاصديقٍ حميم[٣]﴾[٤].

ومنهم مَنْ تصل منزلتُهُ ليشفع في مِثلِ ربيعةَ ومُضرَ.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

«مَنْ ماتَ يوم الخميس بعد زوال الشمس إلى يوم الجمعة وقت الزوال، وكان مؤمناً، أعاذهُ الله عزّوجلّ من ضغْطةِ القبر، وقَبِلَ شفاعته في مثل ربيعة ومضر»[٥].

---

(١) المحاسن: ج١ / ٢٩٤ ح١٩٢.

(٢) المصدر السابق: ح١٩٣.

(٣) سورة الشعراء: الآية (١٠٠ ـ ١٠١).

(٤) الكافي: ج٨ / ١٠١ ح٧٢.

(٥) مَن لايحضره الفقيه: ج٤ / ٤١١ ح٥٨٩٦، وقوله «في مثل ربيعة ومضر»: أي بمثل عدد قبيلتيْ ربيعة ومضر.

إلى أن تصل المنزلة إلى منزلة المقام المحمود، وهي منزلة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي أعلى منزلة.

قال الإمام الباقر عليه السّلام:

«إنّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم شفاعةً في أمّته»[١].

بل عن الإمام الصادق عليه السّلام أنه قال:

«ما أحدٌ من الأوّلين والآخرين إلاّ وهو يحتاج إلى شفاعة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم القيامة»[٢].

---

(١) المحاسن: ج١ / ٢٩٤ ح١٩٠.

(٢) المصدر السابق: ص٢٩٣ ح١٨٨.

يا فاطمة إشفعي لي في الجنّة

وأمّا السيّدة المعصومة، حفيدتُهُ صلّى الله عليه وآله وسلّم هيَ الأخرى لها درجةٌ مرموقةٌ من الشفاعة.

فقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السّلام أنَّه قال:

«ألا إنَّ قم الكوفة الصغيرة، ألا إنَّ للجنّة ثمانية أبواب، ثلاثة منها إلى قم، تُقْبَضُ فيها امرأةٌ من وُلْدي، إسمها فاطمة، بنت موسى، وتدخل بشفاعتها شيعتي الجنّة بأجمعهم»[1].

وهذا مما يدلُّ على مدى عظمة السيدة المعصومة عليها السّلام، وعُلُوِّ شأنها عند الله تعالى.

وبعد هذا البحث في الشفاعة، هل بقي عندك شكٌّ أوشبهة فيها؟ فإذا ارتفعت الأوهام والشكوك، فَرَدِّدْ معي:

يا فاطمة إشفعي لي في الجنّة ...

آل النبيِّ ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم، أعْطَى غَداً بيدي اليمين صحيفتي[2]

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٧ / ٢٢٨ ح٥٩ عن كتاب مجالس المؤمنين للقاضي نور الله التستري.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٨٠. عن الشافعي.

ثَبْتٌ ببعض المصادر والمراجع

القرآن الكريم

* * *

١ـ إثبات الهداة

الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ).

المطبعة العلمية ـ قم المقدسة.

٢ـ إثبات الوصيّة

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت[1] ٣٤٦ هـ).

المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٣ـ الإحتجاج

الطبرسي: أبو منصور أحمد بن علي (من علماء القرن السادس).

إنتشارات الأسوة ـ قم المقدسة.

٤ـ أخبار الزينبات

العبيدلي: أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني ـ (ت ٢٧٧ هـ).

طبع في قم سنة ١٤٠١ هـ.

---

(١) ت: إختصار لكلمة (تُوفّي).

٥ـ الأخبار الطِّوال

الدَّيْنَوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ).

دار إحياء الكتب العربية ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ١٩٦٠ م.

٦ـ إختيار معرفة الرجال (رجال الكشِّي)

الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (شيخ الطائفة ت ٤٦٠ هـ).

تعليق حسن المصطفوي ـ مركز تحقيقات ومطالعات جامعة مشهد.

٧ـ الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

المفيد: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النّعمان (ت ٤١٣ هـ).

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ـ الطبعة الاولى ١٤١٣ هـ.

٨ـ أسنى المطالب في مناقب سيِّدنا علي بن أبي طالب

الجزري الشافعي: أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ).

تقديم وتحقيق وتعليق محمد هادي الأميني ـ مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة ـ إصفهان.

٩ـ إعلام الورى

الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس).

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٠ـ أعيان الشيعة

الأمين: محسن.

دار التعارف ـ بيروت ١٤٠٦ هـ.

١١ـ أمالي الصدوق

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ).

مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

١٢ـ الإمامة والسياسة

إبن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).

تحقيق علي شيري ـ بيروت.

١٣ـ أنوار المشعشعين

الأردستاني: محمد علي بن حسين (ت ١٣٣٥ هـ).

تحقيق: محمد رضا الأنصاري ـ الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ـ قم المقدسة.

١٤ـ آثار البلاد وأخبار العباد (المترجم)

القزويني الشافعي: زكريا بن محمد بن محمود (٦٠٥ ـ ٦٨٢ هـ).

الطبعة الأولى ـ مطبعة سپهر ـ طهران.

١٥ـ بحار الأنوار

المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١ هـ).

طبعة بيروت.

١٦ـ البراهين الجليّة في رفع تشكيكات الوهابية

القزويني: محمد حسن ـ من تلامذة الآخوند الخراساني ـ (١٢٩٦ ـ ١٣٨٠ هـ).

دار الغدير ـ بيروت ـ ١٣٩٤ هـ

١٧ـ تاريخ الأمم والملوك

الطّبري: أبوجعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ).

دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

١٨ـ تاريخ قم

القمي: حسن بن محمد بن حسن (من علماء القرن الرابع).

ترجمةُ: حسن بن علي بن حسن بن عبدالملك القمي في سنة ٨٠٦ هـ

١٩ـ تاريخ مذهبي قم

فقيهي: علي أصغر.

انتشارات زائر ـ قم المقدسة.

٢٠ـ تاريخ اليعقوبي

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.

دار صادر ـ بيروت.

٢١ـ تحفة العالِم في شرح خطبة المعالم[1]

آل بحر العلوم: جعفر بن محمد باقر بن علي بن رضا بن محمد مهدي.

مكتبة الصادق ـ طهران ـ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.

٢٢ـ تذكرة الخواص

سبط بن الجوزي: يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (ت ٦٥٤ هـ).

مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران.

٢٣ـ تفسير كنز الدقائق

المشهدي: ميرزا محمد صاحب المزار الكبير.

دار الغدير ـ قم المقدسة ـ طبع في ١٤٢٤ هـ.

٢٤ـ الثقلان

المظفّر: محمد الحسين

مكتبة نينوى الحديثة

---

(١) أي كتاب معالم الدين للشيخ حسن بن الشهيد الثاني.

٢٥ـ جامع الشتات

الميرزا القمي: أبو القاسم.

الطبعة الحجرية.

٢٦ـ الجواهر السَّنيَّة في الأحاديث القدسيّة.

الحرّ العاملي: محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت ١١٠٤ هـ).

إنتشارات طوس ـ مشهد.

٢٧ـ حقائق الإيمان

العاملي: زين الدين بن علي بن أحمد العاملي ـ الشهيد الثاني ـ (ت ٩٦٥ هـ).

تحقيق السيد الرجائي ـ الطبعة الأولى ـ قم المقدسة.

٢٨ـ حياة الإمام الرِّضا عليه السلام

القرشي: باقر شريف.

إنتشارات سعيد بن جبير ـ قم ـ الطبعة الأولى ١٣٧٢ هـ. ش.

٢٩ـ حياة الحيوان الكبرى

الدَّميري: كمال الدين محمد بن موسى (ت ٨٠٨ هـ).

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٣٠ـ الحياة السياسيّة للإمام الرِّضا عليه السلام

العاملي: جعفر مرتضى.

دار الأضواء ـ بيروت ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٣١ـ حياة محمّد صلى الله عليه وآله

هيكل: محمد حسين.

دار الهدى للطباعة والنشر.

٣٢ـ الخرائج والجرائح

الراوندي: قطب الدين (ت ٥٧٣ هـ).

تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ـ الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ـ قم المقدسة.

٣٣ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال

العلامة الحلي: أبو منصور الحسن بن يوسف (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ).

مؤسسة نشر الفقاهة ـ ١٤١٧ هـ ـ قم المقدسة.

٣٤ـ دائرة المعارف الإسلامية الشيعيّة.

٣٥ـ دلائل الإمامة

الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (من أعلام القرن الخامس الهجري).

تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم ـ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

٣٦ـ الدِّين والإسلام

كاشف الغطاء: محمد الحسين.

دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت.

٣٧ـ الذَّخيرة في علم الكلام

المرتضى: علي بن الحسين (ت ٤٣٦ هـ).

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٨ـ رجال النجاشي

النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس (٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ).

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٩ـ روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان

العاملي: زين الدين الجبعي (الشهيد الثاني ت ٩٦٥ هـ).

مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم.

٤٠ـ زندگانى حضرة معصومة عليها السلام

المنصوري: مهدي.

٤١ـ زيارة الإمام الرضا عليه السلام... كيف ولماذا؟

للمؤلف

الطبعة الأولى ـ ١٤١٨ هـ قم المقدسة.

٤٢ـ سفينة البحار

القمي: عباس

دار الأسوة ـ إيران ١٤١٤ هـ.

٤٣ـ شبهاي پيشاور در دفع از حريم تشيّع

الشيرازي: سلطان الواعظين.

دار الكتب الإسلامية الطبعة ٣٥.

٤٤ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار

المغربي التميمي: القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ).

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤١٢ هـ.

٤٥ـ الصواعق المحرقة

الهيتمي: أحمد بن حجر المكي (٨٩٩ ـ ٩٧٤ هـ).

مكتبة القاهرة ـ ميدان الأزهر.

٤٦ـ ضيافة الإخوان وهدية الخلاّن

القزويني: رضي الدين محمد بن الحسن (ت ١٠٩٦ هـ).

مجمع الذخائر الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ـ قم المقدسة.

٤٧ـ علل الشرائع

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ).

مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٤٠٨ هـ..

٤٨ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب

إبن عنبة: جمال الدين أحمد بن علي الحسيني (ت ٨٢٨ هـ).

دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

٤٩ـ عوالم العلوم

البحراني: عبدالله بن نورالله.

تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي ـ عجَّل الله تعالى فرجه الشَّريف ـ قم.

٥٠ـ عيون أخبار الرِّضا عليه السلام

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ).

عنى بتصحيحه السيد مهدي اللاجوردي ـ قم.

٥١ـ عيون الأخبار

الباهلي: إبن قتيبة أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).

مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ ـ ١٩٢٥ م.

٥٢ـ عيون المعجزات

حسين بن عبدالوهاب (من علماء القرن الخامس الهجري)

منشورات الشريف الرضي ـ ١٤١٤ هـ ـ قم المقدسة.

٥٣ـ الغدير

الأميني: عبدالحسين النجفي.

دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

٥٤ـ فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليها السلام

الأميني: محمد هادي.

الطبعة الأولى ـ قم المقدسة.

٥٥ـ فرحة الغري

ابن طاووس: غياث الدين عبدالكريم (ت ٦٩٣ هـ).

منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدسة.

٥٦ـ فرق الشيعة

النوبختي: الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث الهجري).

دار الأضواء ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٥٧ـ في سبيل موسوعة علمية

أحمد زكي.

دار الشروق ـ بيروت ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

٥٨ـ القاموس المحيط

الفيروزآبادي: مجدالدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ).

دار إحياء التراث ـ بيروت.

٥٩ـ قرب الإسناد

الحِمْيري: أبو العبّاس عبدالله بن جعفر (من أعلام القرن الثالث الهجري).

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ١٤١٣ هـ

٦٠ـ الكافي

الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ).

دار الكتب الإسلامية ـ طهران ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ.

٦١ـ كامل الزّيارات

إبن قولويه: أبو القاسم جعفر بن محمد (ت ٣٦٧ هـ).

صحَّحه وعلَّق عليه العلاّمة الشيخ عبدالحسين الأميني ـ المطبعة المرتضوية ـ النجف الأشرف ١٣٥٦ هـ.

٦٢ـ الكامل في التاريخ

إبن الأثير: عزّالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني.

تحقيق: علي شيري ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٩ م.

٦٣ـ كريمة أهل البيت

علي اكبر مهدي پور.

مؤسسة نشر ومطبوعات حاذق ـ قم ١٤١٥ هـ

٦٤ـ الكشّاف

الزَّمخشري: جاد الله محمود (ت ٥٢٨ هـ).

دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦٥ـ كشف الغمّة في معرفة الأئمة

الأربلي: علي بن عيسى (ت ٦٩٢ هـ).

انتشارات الشريف الرضي ـ الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ـ قم المقدسة.

٦٦ـ كشكول البهائي

البهائي: محمد بن الحسين العاملي.

طبعة بيروت.

٦٧ـ كمال الدين وتمام النّعمة

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١ هـ).

موسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة.

٦٨ـ الكنى والألقاب (مجلدان)

القمي: عباس (ت ١٣٥٩ هـ).

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة.

٦٩ـ لسان العرب

ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ).

٧٠ـ المحاسن

البرقي: أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ).

تحقيق السيد مهدي الرجائي ـ المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ـ قم ١٤١٣ هـ.

٧١ـ مروج الذّهب

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ).

تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ الطبعة الرابعة ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م ـ طبعة مصر.

٧٢ـ مستدرك سفينة البحار

الشاهرودي: علي نمازي.

مؤسسة البعثة ـ طهران ١٤٠٦ هـ.

٧٣ـ مستدرك الوسائل

النّوري ـ حسين.

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.

٧٤ـ المسلسلات (في ضمن مجموعة كتب أخرى)

القمي: أبو محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي (من علماء القرن الرابع الهجري).

مجمع البحوث الإسلامية ـ مشهد ـ الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ.

٧٥ـ مشارق أنوار اليقين

الحافظ البرسي: رجب (ت ٨١٣ هـ).

انتشارات الشريف الرضي ـ ١٤٢٢ هـ ـ قم المقدسة.

٧٦ـ مصباح الزائر

ابن طاووس: رضي الدين علي (ت ٦٦٤ هـ).

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٧٧ـ مصباح المتهجّد

الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ).

مؤسسة فقه الشيعة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ

٧٨ـ معاني الأخبار

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١ هـ).

منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدسة.

٧٩ـ معجم البلدان

الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله.

دار إحياء التراث ـ بيروت ١٣٩٩ هـ.

٨٠ـ المعجم الزولوجي الحديث

الملكي: محمد كاظم.

مطبعة النعمان ـ النجف الأشرف ـ الطبعة الأولى (١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٨ م).

٨١ـ المقنعة

المفيد: أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ).

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدسة.

٨٢ـ مناهج اليقين في أصول الدين

العلامة الحلي: الحسن بن يوسف (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ).

تحقيق محمد رضا الأنصاري القمي ـ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ـ قم المقدسة.

٨٣ـ منتهى المطلب في تحقيق المذهب

العلامة الحلي: الحسن بن يوسف (٦٤٨ ـ ٧٢٦ هـ).

تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية ـ مشهد المقدسة.

٨٤ـ منتهى المقال في أحوال الرجال

المازندراني الحائري: أبو علي محمد بن اسماعيل (ت ١٢١٦ هـ).

تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٨٥ـ مقاتل الطالبيين

الإصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين.

المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م).

٨٦ـ المنقد من التقليد والمرشد إلى التوحيد

الرازي: سديد الدين محمود الحمصي (توفي في أوائل القرن السابع الهجري).

تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

٨٧ـ مَن لايحضره الفقيه

الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ).

دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٨٨ـ ناسخ التواريخ

عباس قُليخان سپهر (ت ١٢٩٧ هـ).

المكتبة الإسلامية ـ طهران ـ ١٣٥٣ شمشي.

٨٩ـ النقض

القزويني الرازي: عبدالجليل.

٩٠ـ الهداية الكبرى

الخصيبي: الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤ هـ).

مؤسسة البلاغ ـ بيروت ـ ١٤١٩ هـ .

٩١ـ وسائل الشيعة

الحُرّ العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ).

تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.